

**بين العقل والقلب  
الاعجاز المبين**

الكتاب: بين العقل والقلب الاعجاز المبين  
الكاتب: د. ماهر جميل بايزيد  
الطبعة الأولى: 2020  
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف  
موافقة وزارة الاعلام السورية على الطباعة  
رقم/117819 / تاريخ 2020/2/11  
دار المرساة للطباعة والنشر والتوزيع  
سورية- اللاذقية: 0936482050

د. ماهر جميل بايزيد

# بين العقل والقلب الاعجاز المبين



## مقدمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتسدد القلوب والتصرفات، أما بعد :

فقد أكرمني الله عزَّ وجل، وله الفضل والمنة، أن أخرجت هذا الكتاب، ومكثت في تأليفه تسعة أعوام، أولى بدايات هذا الكتاب كانت فكرة راودتني كثيراً تقول أن القرآن الكريم يخاطب أهل العقول الذكية في كل موضع وموضوع، يحض العقل على تدبر آياته وفهم معجزاته الفكرية والعقلية، وفهم أحكامه وتعلُّقها، لأن العلم والمعرفة أداة العقل، فبحث عن علاقته بحمل أمانة التكليف، وتمييزه الحسن من القبيح، فالإنسان خلق ليعرف الله عزَّ وجل عبر خطاب الشرع، ليخرج العبد من داعية هواه، ليكون عبداً خاضعاً عن طواعية، ومستسلماً لله عزَّ وجل.

هنا تكمن عملية الابتلاء في الضبط العقلي للنفس، لردع أهوائها وشهواتها المنحرفة، فيرفض الدنيا وقبائح الأعمال والتصرفات، ويحرس الحقوق والحدود، فالنفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها، لأنها ميالة للأنا والاستعلاء، فلا بد من تمحيص وتنقية الأفكار الواردة إليه، فيعقل ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره، فصالح الدين والدنيا لا يتم إلا باستقامة النفس وطهرها، لكي تتبعد عن فاحشة الخنا، ورجس الهوى، بخضوعها للنقل والعقل، لترتقي لمرتبة النفس المطمئنة (فالإنسان لا يعاب في طبعه، إنما يعاب إذا فعل ما في طبعه).

فتعالوا معاً نبحث في العقل المسموع والمطبوع في القرآن الكريم وسنة رسوله محمد ﷺ، وكما قال الإمام عليّ كرم الله وجهه:

أبى العقل عقلي  
ولا ينفذ مسموع  
فمطبوع ومسموع  
إذا لم يك مطبوع  
كما لا تنفذ الشمس  
ومضوء العيب ممنوع

وقبل أن نتعرف على الكتاب، اسمحوا لي أن أقدمه إلى سيد البشرية محمد ﷺ الذي أدبه الله فأحسن تأديبه، وزكى أوصافه وأخلاقه وجعله صفيه، وحببيه، وإلى روح والديّ يرحمهما الله.

د . ماهر جميل بايزيد



## انحطاط فكر الإنسانية

### وأثر الإسلام في التغير الفكري عند العرب

**ساد** الظلام الدامس على الإنسانية في كثير من مراحلها، حيث عمت الفوضى في القيم الروحية والفكرية، نتيجة عبث المتلاعبين والمشعوذين وسطوتهم على المراكز الروحية في أنحاء المعمورة، أدت بكثير من الناس إلى مرتع الجهل والوهم والخرافة.

لو اتجهنا إلى بلاد فارس فكانوا يتعبدون بعض الظواهر الطبيعية على أنها آلهة، حتى سمو الشمس «عين الله»، والضوء «ابن الله»، واتخذوا النار رمزاً لآلهة الخير يشعلونها في معابدهم.

ويعتبر "زرادشت" ملهم لهذه الديانة «أفستا» فقال: ((إنه دعا إلى التوحيد وأبطل الأصنام، وقال إن نور الله يسطع في كل ما يشرق ويلتهب في الكون، وأمر بالاتجاه نحو جهة الشمس والنار ساعة الصلاة، لأن النور رمز إلى الإله، وأمر بعدم تدنيس العناصر الأربعة وهي: النار والهواء والتراب والماء))<sup>(1)</sup>.

جُهلَت الحقيقة بتعطيل الفكر وبلادة العقل لكثرة الخرافة والشعوذة، ففي الهند أصبحت البقرة ونهر الغانج والأجرام السماوية آلهة تعبد.

<sup>1</sup> - علي الحسيني أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم، دار القلم، ص 60.

وهكذا أصبحت الديانة خليطاً من الأوهام والخرافات، بل ويتفننون في الإسراف على معابدهم وإظهارها بأجمل حلة، وبالْحَقِيقَة هم يغطون هذه الخرافات بإظهار الزينة والمهابة على معابدهم.

أسئلة مطروحة... ١٩.

✓ هل العرب كانوا أحسن حالاً من هؤلاء؟

✓ ما أثر الإسلام في التغير الفكري للعرب؟..... تعالوا نتابع معاً.

إن الضعف في تحليل الحوادث يعلل لنا التجاء العرب القدامى إلى الكهنة والعرافين لتفسير الحوادث وتحليلها.

الذي يعمل على تكوين عقلية الشعوب عاملان قويان، البيئة الطبيعية، وأدواتها: الجبال، الصحراء، البحار، التي تحيط بها، والبيئة الاجتماعية وأدواتها: المعتقدات والعادات والتقاليد والأعراف ونظام القبيلة كلها تؤثر على تكوين العقلية للإنسان، والذي يحرك كل هذه الأدوات هي اللغة وهي الحاضنة للموروث الشعبي والثقافة والفكري لأي أمة.

وقديماً قالوا: ((إن الشعر ديوان العرب))، سجلت فيه عاداتهم وأخلاقهم وعقائدهم ومعاركهم، والمعلقات السبع والشعر الجاهلي خير تمثيل لهذا السجل. ولو تقصينا أحوالهم الفكرية قبل الإسلام لوجدنا أنها تعتمد على حمية الجاهلية. والجاهلية هنا ليست من الجهل الذي هو ضد العلم، بل هو الغضب والأنفة والحمية وحب المفاخرة وهذا ما سجلها شعرهم ولذا سمي بعصر الجاهلية.



بهذه الحمية الجاهلية وضعف خيالهم لضعف تجديد الصور الذهنية لديهم. ولكثرة الصور النمطية والانطباعات القديمة نتج عن ذلك كله ضعف تفسير الحوادث وتعليلها مما زاد من أميتهم.

ويصف "ابن خلدون" حالة العرب الجاهلية أنهم: ((أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب حُلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التحاسد والتنافس.

فإذا كان فيهم النبي أو الولي الذي يبعثهم على القيام بأمر الله، ويذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق، ثم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الأخلاق، إلا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيي لقبول الخير، ببقائه على الفطرة الأولى، ويُعدّه عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات))<sup>(1)</sup>.

فيظهور الإسلام فيهم ومن ظهراينهم أدى لحدوث انقلاب في جميع مفاهيمهم السائدة وخاصة العقائدية، واستبدلت الصورة الذهنية وتنشطت نتيجة تدفق ينابيع العلم والمعرفة فكانت ثورة فكرية غيرت مفاهيمهم وعاداتهم وصححت أخلاقهم وطهرت قلوبهم من المعتقدات والأوهام والخرافات البائدة المتحجرة بعقولهم.

وبسبب هذا النور الساطع الذي أعات الله عز وجل به العرب والإنسانية جمعاء من ظلام الجهل، إلى نور الإسلام تفتحت عقولهم وانقلبت مفاهيمهم رأساً على عقب، واصطبغوا بصبغة الإسلام.

---

<sup>1</sup> - عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون: المقدمة، ص140، طبعة المكتبة العصرية.

فالانتقام والأخذ بالثأر لم يعد خيراً للخصال، بل حمية الجاهلية تحولت إلى خضوع واستسلام لله والانقياد لأمره.

فزادت قيم التسامح والتآلف بينهم وأحيت قلوبهم:

○ قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام/122 .

نور الإيمان أضاء عقولهم وبدأ التغيير من داخل النفوس، وعنه ﷺ قال في خطبة الوداع، (يا أيها الناس إن الله تعالى أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وادم من تراب، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى<sup>(١)</sup> .

وعنه قال ﷺ: ﴿لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصِيَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup> .

تعالوا معاً نستعرض في لقطة سريعة الحوار الذي دار بين النجاشي ملك الحبشة وبين جعفر بن أبي طالب عندما ذهبوا إليه فراراً لدينهم.

فسألهم النجاشي: ((ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني ولا في دين أحد من الملل؟)).

فكان الذي تكلم جعفر بن أبي طالب فقال: ((أيها الملك: كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبة وصدقته وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان.

<sup>1</sup> - أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي: سنن أبو داود، رقم/5116 .

<sup>2</sup> - أخرجه أبي داود برقم/5121 .

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش...  
فصدقناه وأمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله...<sup>(١)</sup>.

إن أثر الإسلام كان عظيماً وأثاره عمت الحياة العلمية والمعرفية، والنفس ناطقة  
لأحوال صاحبها وبالعزيزية والإصرار اقتبسوا العلم والمعرفة والمتابعة وبالممارسة  
تشربت قلوبهم العلم وصبروا على قلة الحيلة لكي يتمكنوا ويتعودوا على هذا  
التغيير.

((والمزاوات تعطي الملكات، ومعنى هذا أن من زاول شيئاً، واعتاده وتمرن عليه،  
صار ملكة له وسجية وطبيعة، وقالوا: والعوائد تنقل الطباع، فلا يزال العبد  
يتكلف الصبر، حتى يصير الصبر له سجية، كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار  
والسكينة والثبات، حتى يصير له أخلاقاً، بمنزلة الطباع))<sup>(٢)</sup>.

((والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل، يقع أولاً وتعود منه للذات صفة،  
ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون  
ملكة أي صفة راسخة))<sup>(٣)</sup>.

عرفوا أنهم طليعة هذه الأمة فجاهدوا أنفسهم وصبروا وتحملوا المشاق فتغيرت  
النفوس والطباع والعادات ونهلوا من علوم القرآن وسنة المصطفى عليه السلام،  
وفتحوا الأقطار والبلدان وامتزجت الثقافات واللغات والعلوم واتسعت مداركهم  
العقلية ووعبهم ومعرفتهم عندها تبلورت خصوصية الأمة وحضارتها.

ففضل الإسلام على العرب كفضل الشمس على الأرض وفضل الماء على التراب.

---

<sup>1</sup> - أبي محمد عبد الملك بن هشام المعروف بـ ابن هشام: السيرة النبوية، ص 330.

<sup>2</sup> - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية: عدة الصابرين  
وذخيرة الشاكرين، ص 18.

<sup>3</sup> - مقدمة ابن خلدون، ص 554.

فتعالوا نبداً:

- ✓ لماذا خُلِقَ الإنسان العاقل؟.
- ✓ ماذا تعني كلمة العقل؟.
- ✓ ما حقيقة العقل؟.

### خلق الإنسان العاقل

**منذ** أن خُلِقَ الإنسان أعطيت له قيمة عظيمة وشرف تشریفاً كبيراً هيئت له الأرض لاستقباله:

- قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة/30.
- خلق الله عز وجل آدم ونفخ الروح فيه، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ الحجر/29.

بهذه النفخة الروحية أصبح للإنسان قبساً من نور الله فاستحق بهذا القبس النوراني أن تميز عن بقية الكائنات وارتقى إلى أعلى مراتب الكمال والتفضيل، قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَا هُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء/70.

هذا الإنسان يحمل ثنائية متناقضة: أصل ترابي - أرضي - وأصل روحي - علوي.

ولا يمكن أن تستقر لولا وجود ضابط بينهما هو العقل الذي به تميز الإنسان عن بقية المخلوقات ليميز بين الحق والباطل وليكون قادراً على حمل أمانة الرسالة بالإعمار والاستخلاف في الأرض ويسعى لمعرفة خالقه فيعبده حق العبادة إنها صورة من صور الإعزاز والتكريم.

○ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ الإسراء/70.

أي لقد شرفنا ذرية بني آدم على جميع المخلوقات بالعقل والعلم والنطق، وتسخير جميع ما في الكون لهم<sup>(1)</sup>.

لكن هناك من وقف بالمرصاد لهذا الإنسان منذ لحظة وجوده، إنه إبليس اللعين، رفض أمر الله عز وجل بالسجود لآدم سجود تحية وتكريم لأنه أستكبر و أبى؛ ففسق عن أمر ربه.

والاستهانة بهذا المخلوق عصيان لأمر الله تعالى وله عواقب وخيمة: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ﴾ 34 ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الحجر/35.

بدأت المعركة بين الإنسان المكرم من الله تعالى وإبليس المطرود من رحمة الله، معركة بدأت من هذه الكلمات:

○ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر/39.

المعركة بين الحق والباطل متصلة إلى قيام الساعة، إبليس أعلن الحرب ظاهرة وباطنه، مكشوفة ومستورة على آدم وذريته، أسلحته بث الإغواء والرذيلة والوسوسة، والوعود الباطلة لكن جاء الرد سريعاً من الحق تبارك وتعالى:

○ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر/42<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن الصابوني: صفوة التفاسير، ص 652.

<sup>2</sup> - د. ماهر بايزيد: لنين منظومتنا الأخلاقية، ص 23.

لقد أبدع الله عزّ وجلّ هذا الكون وسخره من أجلك أيها الإنسان إنك  
المخلوق الوحيد على الأرض الذي باستطاعته قهر كل المخلوقات التي عليها، لكن  
لا تنسى الحكمة والغاية الحقيقية من وجودك أن تتعرف إلى الله عزّ وجلّ وأن  
تخضع له.





## الفرع الأول

### ماذا قيل عن العقل

**يقول** الرازي في مختار الصحاح عن مادة العقل: ((الحجر والنهي، و«تعقل» تكلف العقل، مثل تحلم وتكيس))<sup>(١)</sup>.

يقول "الفيروز آبادي" في قاموس المحيط: ((العقل: العلم بصفات الأشياء، من حسنها وقبحها، وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو القوة بكون التميز بين القبح والحسن))<sup>(٢)</sup>.

يقول "راغب الأصفهاني": ((وأصل العقل الإمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال))<sup>(٣)</sup>.

ويقول "أحمد المقري": ((العقل: غريزة يتهياً بها الإنسان إلى فهم الخطاب))<sup>(٤)</sup>.

ويقول "زكي نجيب محفوظ" عن العقل: ((أسم يطلق على فعل من نمط ذي خصائص يمكن تحديدها وتميزها، والفعل ضرب من النشاط يعالج به الإنسان الأشياء على وجه معين)).

---

<sup>1</sup> - محمد بن زكريا أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، ص 395-396.

<sup>2</sup> - مجد الدين الفيروز آبادي: قاموس المحيط، ص 1336.

<sup>3</sup> - أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 345.

<sup>4</sup> - أحمد بن محمد الفيومي المقرئ: معجم المصباح المنير، ص 263.

العقل ليس له وجود لفظي في القرآن، إنما جاء بصيغة فعلية: (يعقلون- وتعقلون- وما يعقلها إلا العالمون) هذا دليل هام على أن وظيفته فعلية إجرائية.

وقد أحصيت مفردة "عقل، بتصريفاتها المتنوعة من كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لـ محمد فؤاد عبد الباقي<sup>(1)</sup> فكان المجموع ثماني وأربعون مرة، وقمت بتقسيمها إلى تسع مجموعات حسب تكرارها ونوعها.

- المجموعة الأولى (أفلا تعقلون) تكررت ثلاث عشرة مرة.
- المجموعة الثانية: (لا يعقلون) تكررت إحدى عشرة مرة.
- المجموعة الثالثة: (لعلكم تعقلون) تكررت ثماني مرات.
- المجموعة الرابعة: (لقوم يعقلون) تكررت ثماني مرات.
- المجموعة الخامسة: (يعقلون) تكررت مرتين.
- المجموعة السادسة: (إن كنتم تعقلون) تكررت مرتين.
- المجموعة السابعة: (يعقلون) تكررت مرتين.
- المجموعة الثامنة: (تعقل) مرة واحدة.
- المجموعة التاسعة: (ما عقلوه) مرة واحدة.

وكثيرة هي الكلمات والمعاني المرادفة لمعنى العقل في القرآن تعود إلى اختلاف وظائف العقل منها التفكير، القلب، الرشد، الحكمة، الفقه، النظر، البصيرة، الرأي، العلم، التذكر، الاستنباط، الحجر، النهي، الأحلام، أولو الأبواب، أولو الأبصار والتدبر، هذه بعض الألفاظ التي تعطينا لمحة سريعة عن وظائف ومهام العقل.

---

<sup>1</sup> - محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ص575.

## أقوال العلماء والأدباء عن العقل:

يقول عباس محمود العقاد: (( في مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع في المحذور والمنكر، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة «عقل» التي تؤخذ منها العقال، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها مئات الملايين من البشر، فإن كلمة Mind وما خرج من مادتها في اللغات الجرمانية تفيد الاحتراس والمبالاة وينادى بها على العاقل الذي يحتاج إلى التنبيه والاحتراس))<sup>(1)</sup>.

قال الماوردي في العقل:

(( اعلم أن لكل فضيلة أسأ «أصلاً» ولكل أدب ينبوعاً، وأسّ الفضائل، وينبوع الآداب، هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلاً، وللدنيا عماداً، فأوجب التكليف لكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وألف به بين خلقه، مع اختلاف همهم وآريهم، وتباين أغراضهم ومقاصدهم، وجعل ما تعبدهم به قسمين: قسماً وجب بالعقل، فوكده الشرع، وقسماً جاز في العقل فأوجبه الشرع، فكان العقل لهما عملاً))<sup>(2)</sup>.

ويقول الشيخ محمد الغزالي عن مكانة العقل في الإسلام:

((إن حدة الذكاء، ويقظة الفكر، واستتارة الرأي: عناصر لا بد منها في تكوين الإيمان الصحيح، فإن الإيمان معرفة بلغت حد اليقين وانتفت معها الريبة، وحيث لا يوجد الإدراك الواضح والفهم الناضج يصبح اليقين غير ذي موضوع... فالعقول

<sup>1</sup> - عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ص4.

<sup>2</sup> - علي بن محمد البصري أبو الحسن الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص11، نسخة دار ابن كثير.

الذكية وحدها هي التي تستطيع اختراق أسرار الكون ومعرفة آيات الله في شتى  
الأمكنة والأزمنة)).

بين الإمام أبو حامد الغزالي حقيقة العقل فقال: ((والحق الكاشف للغطاء  
فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان:

فالأول: الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبول  
العلوم.

والثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات  
واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من واحد.

والثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنكته التجارب  
وهذبته المذاهب يقال إنه عاقل في العادة، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً.

والرابع: أن تنتهي قوة الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية  
إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فالأولان بالطبع والأخيران بالاكْتساب.

ولذلك قال علي كرم الله وجهه:

فمطبووع ومسموع

أبى العقل عقليه

إذا لم يك مطبووع

ولا ينفخ مسموع

ومضوء العيب ممنوع<sup>(1)</sup>

كما لا تنفخ الشمس

<sup>1</sup> - محمد بن محمد أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص 110.

## الفرع الثاني

### حقيقة العقل

**إن العقل من أعظم نعم الله عزّ وجل على الإنسانية جمعاء، به عُرِفَ صدق القرآن الكريم، وبه عرفت حجة الرسالة المحمدية وبالعقل تميز الإنسان عن بقية المخلوقات.**

العقل: وسيلة وملكة وصفة إنسانية تسعى لإصابة الحق ومعرفته بمسالك كثيرة مترابطة ومحددة له، وفق ضوابط وأحكام شرع الله المحكمة ينتهي بها لتحقيق الغاية الأولى لاستخلاف الإنسان في الأرض، وحمله أمانة الخلافة، ولهذا جعل الله عزّ وجل هذا العقل منوطاً للتكليف الشرعي وهذا هو دور العقل الفعلي الأسمى.

العقل هو ملكة غريزية نورانية معرفية فوق المحسوسات تقوم بإجراء سلوكي فعلي احترازي رقابي، قمعي، ناهي، ضابط، مانع-حاجز، إنه اجتنابي يمنع المحذور، ويضبطه بقوة تمنعه من الانفلات وتحيط وتحجر عليه، مما تدعو إليه النفس لركوب الهوى وحب الشهوات، فينهى ويزجر ويحد من انفلات وشروء الهوى ويكبح الشهوات الشيطانية وارتكاب المعاصي والمنكرات فيحد من طبع النفس الأمارة بالسوء.

والعقل الوسيلة الأساسية لمعرفة الله عزّ وجل بعد أن يفهم هذا العاقل ويدرك ويستوعب منهج الله عزّ وجل الذي وصل عبر رسوله الكريم بالعلم والمعرفة التي هي أداة العقل فيحرسه من الانفلات.

○ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿40﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ الانزاعات/40.

والعقل عقلا، عقل الواعي ومحلّه في رأس الإنسان (الدماغ) ونوافذه وبواباته الإدراكية هي البصر والسمع والنطق واللمس والشم وهي تستقبل المعلومات والعلم وتحللها وتوضع بالذاكرة بخيالات وصور ذهنية.

والعقل الضابط الواعظ ومحلّه قلب الإنسان وهو عقل طبعي وهو أبو العلم يزداد تألقاً بقوة الإيمان المتوقد في قلب الإنسان المؤمن، فيبصر به القلب وهو وعاء جوهر النفس الإنسانية.

فتسمو وترتقي هذه النفس بسمو هذه الملكة النورانية لهذا قيل: ((ما عرف الله إلا بالعقل ولا أطيع إلا بالعلم)) فيتناسب ارتقاء هذا الإجراء طرداً مع نور الإيمان ويزداد تألقاً بالعلم والمعرفة وكثرة التجارب.

هذا هو العقل يزداد إعماله حرصاً لتحري الحلال والنهي عن المحرمات والشبهات، ويزداد إعمال العقل تألقاً بازدياد اكتساب المعرفة الدينية وتطبيق شرع الله فيزداد طرداً مع الإدراك والوعي في فهم ما شرعه الله لأن حامله عرف عواقب الأمور فيجمع هوى نفسه وشهواته الداعية إلى لذة ما،.

بينما الجاهل الأحمق فهو سفيه العقل لا يعرف حلالاً ولا حراماً يمشي بأهوائه وشهواته فلا يمنعه شيء ولا يحده ويكبحه عقلٌ فهو كالبعير بلا عقل يعقله.

○ كما قال تعالى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة/171.

لأنهم انغمسوا في الحياة الدنيا وغرثهم لذاتها.

○ قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام/32.

والعقل محدود بحدود البوابات الإدراكية التي يملكها الإنسان، ولا يمكن أن يتخطاها، تدل دلالة أكيدة على قصوره، ومحدوديته، فالى اليوم يعجز العلماء وأدواتهم عن فهم وتفسير الكثير من الأمور الكونية والحوادث التي تحدث فيه.

لهذا ولكي لا تشط عقولنا كانت الرسائل السماوية تعلم الإنسان وتفهمه ضمن حدود إدراكه العقلي واجباته اتجاه خالق الكون لكي يعيش هذا الإنسان بأمان وطمأنينة في أرض الله الواسعة، وهنا تكمن الغاية الأساسية للإنسان، فمن كان يريد الارتقاء والسمو وتزكية النفس فعليه باستنهاض ملكات عقله عندها يعقل آيات الله والمسارة إلى طلب العون من الله عزّ وجل ليمده بطاقة الإيمان لكي يتدبر آياته في الأنفس والآفاق:

○ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ البقرة/242.

((وكلما كان العبد عارفاً بربه، محباً له قائماً بعبوديته متمثلاً أمره مبتعداً عن نواهيه تحقق له بهذه المعرفة والعبودية اللتين هما غاية الخلق والأمر وكمال الإنسان وسموه المنشود))<sup>(1)</sup>.

إن الهداية الدلالية والتوفيقية من الله يهدي بها عقول الناس إلى ربهم فيستقر الإيمان في قلوبهم.

عندها يصبح المؤمن العاقل مستعداً لأي امتحان وابتلاء صابراً محتسباً ثابتاً عزيزاً كريماً لأنه يعلم أن هذه الحياة ممر للآخرة.

فالعاقل من يتشبث على الصراط المستقيم في الدنيا ويدفع دفعاً هوى النفس وشهواتها، ومسالك الباطل عن السبيل.

---

<sup>1</sup> - عبد الرزاق بدر: فقه الأسماء الحسنی، دار التوحید للنشر، ص 19.

وفي حديث "النواس بن سمعان" عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبِي الصِّرَاطِ سُورَانٌ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرَخَّاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعُوجُوا وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لِمَا تَفْتَحُهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحَهُ تَلَجَّهُ، فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودَ اللَّهِ وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةُ مَحَارِمَ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابَ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَأَعِظَ اللهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ﴾<sup>(1)</sup>.

والداعي من فوق الصراط واعظ الله في القلب هو العقل الضابط الواعظ.

ألا يكفيننا من العقل أنه يعقل ما حلل الله لنا وما حرم الله علينا، ألا يكفيننا من العقل أنه يدل صاحبه على صدق رسالة نبي الرحمة، لكن الحقيقة أن العقل جندي من جنود الله، يرضخ لأمر الله، يملك سلطة الضبط والوعظ على نفس صاحبه وله حدود لا يمكن أن يتخطها، ويدرك حقائق الأشياء ضمن نطاق محدوديته.

ولا يمكن أن يكون حكماً طالما هو تحت سيطرة الشرع فكل ما أنكره شرع الله هو منكر ولو تعارف عليه الناس وكل ما عرفه شرع الله هو معروف وإن أنكره الناس، فالعقل أمام النقل راضخ ومزعن ومطيع إطاعة كاملة للنقل، وأما الجهلاء الحمقى فليذهبوا إلى أسواق النخاسة هناك قد يجدون ما يسرهم.

قلوبهم مرآة مشاعرهم ومعتقداتهم، وعقولهم فهي ظلماء كظلمة الليل حقداً وعتواً واستكباراً ودفعاً للحق.

فهل تستوي القلوب المضاءة بنور من الله وقلوب مظلمة كظلمة الليل، لا يستويان.

<sup>1</sup> - رواه أحمد بن حنبل من مسنده.



### أسئلة مطروحة:

- ✓ ما هو الجهاز العصبي للإنسان؟
- ✓ هل العقل البشري محله في الدماغ؟



### الجهاز العصبي للإنسان

**ينظم** الجهاز العصبي للإنسان نشاط الجسم كله، فهو مسؤول عن تقلص العضلات، إفراز الغدد، عمل القلب، استقلاب المواد استقبال المنبهات الحسية... الخ.

- يتألف الجهاز العصبي من الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب.
- يشكل الدماغ مع النخاع الشوكي الجهاز العصبي المركزي.
- ينشأ من الدماغ/12/زوج من الأعصاب الدماغية.
- ينشأ من النخاع الشوكي/31/زوج من الأعصاب الشوكية، تعطي هذه الأعصاب فروعاً إلى مختلف أعضاء الجسم<sup>(1)</sup>.

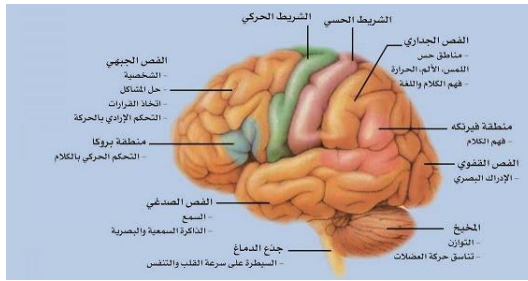
---

<sup>1</sup> - أعصاب النخاع الشوكي/الحبل الشوكي/عددها/31/زوج منها/8/أزواج رقبية، 12/صدرية، 5/أزواج قصبية، 5/أزواج عجزية، 1/زوج عصبي، هذه الأعصاب تتفرع من الحبل الشوكي المحاط بعظام الفقرات لتحميه، والحبل الشوكي يتركب من حزمة عصبونات وهذه الأعصاب تتفرع عنه لنقل السيالات العصبية من كافة أنحاء الجسم إلى الدماغ، ومن الدماغ إلى كافة أنحاء الجسم وذلك لوجود عصبونات حسية وأخرى حركية.

○ يستقر الدماغ في جوف القحف، يبلغ وزنه عن البالغين/1280 -  
1380غ/وسطياً.

يتألف الدماغ من:

- (1) نصفي كرة: تشكل حوالي 85% من كتلة الدماغ.
  - (2) جذع الدماغ: مسؤول عن عملية التنفس، وضربات القلب، وتنظيم درجات الحرارة في الجسم ويقع جذع الدماغ عند اتصال الدماغ بالحبل الشوكي.
  - (3) المخيخ: مسؤول عن ضبط توازن الجسم، وضبط الحركات الإرادية، ويقع أسفل مؤخرة الرأس.
- يحيط بالدماغ ثلاثة أغشية: خارجية - متوسطة - داخلية، ويسمى الغشاء الداخلي الأم الحنون وهذا الغشاء الداخلي يغطي القشرة الدماغية والتي سمكها حوالي/3مم/ولها أهمية كبيرة في الوظائف الحسية والحركية للإنسان.



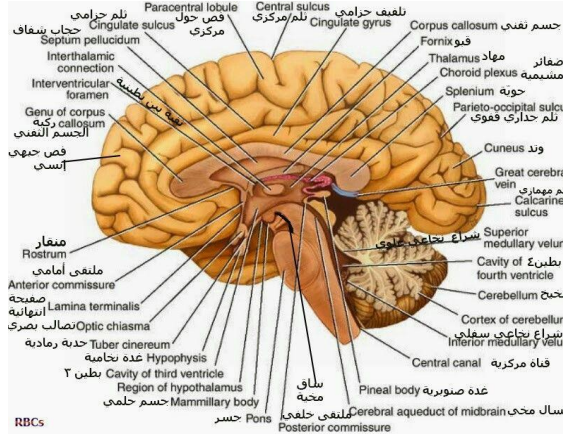
الشكل رقم (1)

## أقسام الدماغ

## معجزة القشرة الدماغية:

الدماغ مقسم إلى نصفان كرويان، وكل نصف مسؤول عن الوظائف الحركية والحسية في النصف الآخر من الجسم، بمعنى آخر النصف الأيسر من الدماغ مسؤول عن القسم الأيمن (الشق الأيمن)، فإذا وضع شيء ما في راحة اليد اليسرى، النصف الأيمن عن الدماغ هو الذي يشعر بتركيبه ويحركه.

يحيط بالدماغ القشرة الدماغية التي تغطي تلافيف الدماغ وهي رمادية اللون. ولو قسمنا المخ البشري «الدماغ» كما تنقسم التفاحة نرى الجسم الجاسئ يشكل هلالاً طوله/5-6سم/ أبيض اللون لاحتوائه على ملايين الألياف العصبية التي تربط نصفي الدماغ ويلعب دور في تنظيم وظائف المخ والتخطيط والذاكرة.



الشكل رقم (2)

## القشرة الدماغية والجسم الجاسئ

وينقسم الدماغ المغطى بالقشرة الدماغية إلى أربعة فصوص: الفص الجبهي: الأمامي في مقدمة الرأس أعلى الحاجبين - مسؤول عن السمات الشخصية والانفعالية للإنسان.

((هذه المناطق المخية تلعب دوراً مهماً في عمليات التخطيط والتنظيم والمهارات العقلية عالية المستوى))<sup>(1)</sup>.

1- الفص الخلفي: القفوي في مؤخرة الرأس - مسؤول عن الإبصار.

2- الفص الجداري: بين الجبهي والقفوي مسؤول عن المهارات البصرية واللغوية.

3- الفص الصدغي: بين تحت الجداري، ويحده من الأمام الجبهي ومن الخلف القفوي - مسؤول عن الذاكرة والسمع.

ترتبط القشرة الدماغية مع باقي أقسام الجهاز العصبي بمسالك صاعدة ناقلة للتنبهات الحسية، وبمسالك نازله حركية من القشرة الدماغية إلى بقية أجهزة الجسم، هذه المسالك تمر بها النبضات والإشارات الكهروكيميائية لتنفيذ الأوامر الحركية، فلو نزعنا من مكانها وفردت لغطت مساحة غرفة 10/م<sup>2</sup>، ولا يتجاوز سمكها 2-5 ملم/تغطي تلافيف الدماغ.

يعتقد العلماء أن لهذه القشرة الدماغية دوراً هاماً في عملية إثارة المشاعر الإنسانية والتحكم بدرجة شدتها، وضبط الأمور.

أما الدماغ فيتكون من 100/مليار خلية عصبية وفي بعض المراجع أكثر من 16/بليون خلية عصبية، إضافة للخلايا الداعمة (اللاصقة) والتي تساعد الخلايا العصبية في تغذيتها وتثبيتها، ويعتقد أن لها دوراً في مستوى ذكاء الإنسان

---

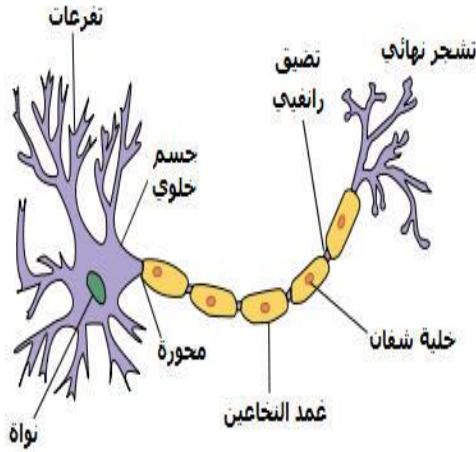
<sup>1</sup> - سلسلة عالم المعرفة: المخ البشري، العدد رقم 287، تأليف كرسيتين تمبل، ص 62.

ولا أحد يعلم عددها، لهذا التاريخ لم يتوصل العلم عن معرفة إلا 10% من عملها .

الوحدة الأساسية للدماغ هي الخلية العصبية، تعالوا نتعرف عليها .

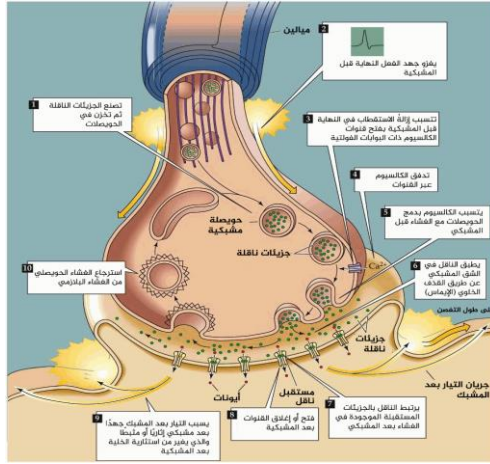
الخلية العصبية (العصبون):

تتألف من محور العصبي AXON اسطواناني الشكل، وجسم الخلية يشبه نجم البحر، ولهذا الجسم زوائد تدعى الشجيرات العصبية التي في نهاية المنطقة التي تفصل الخلية الأولى عن الخلية الثانية تسمى هذه المنطقة بالمشبك العصبي SYNAPSE .



الشكل رقم (3)

الخلية العصبية



الشكل رقم (4)

### المشبك العصبي

تنتقل النبضة أو الإشارة العصبية باتجاه واحد تسمى السيالة العصبية حيث تستقبل من الشجيرات العصبية للخلية الأولى إلى الخلية المجاورة للثانية وهكذا.

آلية عمل المشبك العصبي Synapse (الموصل العصبي)<sup>(1)</sup>:

وهو عبارة عن موصل أو نقطة التقاء بين العصبون وخلية مستفعدة.

ينقل هذا المشبك العصبي الدفعات العصبية باتجاه واحد من العصبون المفرز إلى العصبون الآخر وفيه حويصلات مشبكية داخلها مواد كيميائية تسمى الناقلات العصبية الكيميائية.

<sup>1</sup> - د. حسين حمامي: علم النسيج، منشورات جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، ص 147.



لأن الإشارة أو النبضة العصبية لا تمر بشكل مباشرة إلا بحصول تفجير بعض الحويصلات نتيجة فرق جهد كهربائي.

عندها تفرز مواد كيميائية تدعى (الناقلات العصبية الكيميائية) التي باستطاعتها فقط أن تمر عبر المشبك العصبي لتصل لمستقبل في جدار الخلية الثانية، بهذه الطريقة تصل النبضة العصبية أو الإشارة العصبية من خلية إلى أخرى، وأهم المواد الكيميائية (الناقلات العصبية الكيميائية):

السيروتونين، الأدرينالين، النور أدرينالين، الدوبامين، استيل كولين، تأثيرها هام على الحالة النفسية والمزاجية للإنسان.

مثال: السيروتونين - ناقل عصبي كيميائي - يساعد على تهيئة مزاج الإنسان وهو مضاد اكتئاب.

إن أصحاب المستويات المنخفضة من السيروتونين النساء، وهنَّ أكثر عرضة للاكتئاب من الرجال، ومستوى سيروتونين في المخ لدى النساء يعادل نصفه لدى الرجال، وهذا ما يفسر كون النساء أكثر عرضة للاكتئاب من الرجال.

إن انخفاض السيروتونين المستمر يؤدي إلى الضغط النفسي، مزاج سيء للغاية، تظهر أعراض الوسواس القهري، انفعال لا مبرر له، نظرة تشاؤم وقد يؤدي إلى الانتحار، ومن المفارقة الغريبة تبين أن مع تقدم العمر يقل مستوى السيروتونين مما يزيد حالة الاكتئاب عند الرجال وتتضاعف عند النساء.

هذه العمليات تجري بسرعة البرق بين الخلايا العصبية بأقل من 0.0001 من الثانية من انفجار الحويصلات وتحرير النواقل العصبية الكيميائية لتساعد الإشارة العصبية في التقدم من خلية إلى أخرى، وبقيّة النواقل العصبية الكيميائية

إما أن يحتفظ بها بالحويصلة أو أن تتحطم بواسطة أنزيمات كيميائية وأهمها: أنزيم المؤكسد لواحدات الأمين.

وتعليل ذلك أن زيادة المواد الناقلة العصبية الكيميائية - أدريالين - نور أدريالين - سيروتونين - استيل كولين - دوبامين - في الدماغ قد يولد حالات من الاضطراب النفسي للإنسان.

وهنا دور الطب في عملية التخفيف من الأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب والتشاؤم والانفعال السريع والضغط النفسي.

مثال آخر: شخص يجتاز الطريق «يسمع تنبيهاً صوتياً من السيارة» الحادث سيقع لكنه نجا بعناية وحماية الله عزّ وجل، تنبه لاحتمال وقوع حادث بأسرع من البرق بأن يتراجع عن اجتياز الطريق نتيجة وصول الرسائل التنبيه وأوامر القشرة الدماغية بالتوقف عن متابعة السير.

وذلك بفرز النواقل العصبية الكيميائية مثل نور أدريالين المسؤول عن إعداد الجسم للتعامل مع المصاعب والمواقف الخطرة والمفاجئة سبحانه الله.

مثال آخر: ((مرض باركنسون - نلاحظ التأثيرات الناجمة عن نقص الموصل العصبي المسمى بالدوبامين، إذ تتوقف الخلايا (الموجودة في منطقة المخ)، والتي تسمى المادة السوداء عن العمل بكفاءة، ولا تفرز كمية كافية من الدوبامين مما ينتج عن ذلك صعوبة السيطرة على الحركات الإرادية))<sup>(1)</sup>.

مثال آخر: الغدة الصنوبرية التي تقع أعلى وخلف الأذن في الدماغ تحوي على كمية من السيروتونين يفوق/50/مرة ما يحتويه باقي المخ البشري وذلك لوجود أنزيمات تخلق هذا الهرمون فيها لأن السيروتونين يساعد على تشكل الميلاتونين وخاصة عند

---

<sup>1</sup> - عالم المعرفة: المخ البشري، العدد رقم 287، تأليف كرستين تمبل، ص12.

بداية النوم ويقل في حالة النوم العميق، فسبحان الله فالذي يتوضأ ويصلي الفجر فإنه يشغل بالطمأنينة وراحة البال ونشاط الجسم، لأن الميلاتونين مسؤول عن تنظيم الإيقاع الحيوي للجسم وينظم ساعات النوم، وتعديل الحالة المزاجية للإنسان.

فمن جنداً هذه المواد لخدمة المؤمن الذي يصلي الفجر:

○ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الفتح/4.



## الفرع الأول

### هل العقل البشري موجود في الدماغ

**الأساطير** القديمة والفلاسفة الماديون يقولون أن الدماغ كتلة واحدة هو مركز العقل لكثرة المراكز الحيوية فيه، أمثال أفلاطون وأبو قراط وديكارت وداروين صاحب نظرية التطور التي هوت وضاع بريقها أي اختزال الحياة إلى مادة وتفاعلات كيميائية وفيزيائية! ويعتقدون أن الدماغ هو مركز العقل. نعم إن القشرة الدماغية لها دور هام في عمليات النطق، والتحكم بالأشياء والمشاعر الإنسانية، والذاكرة، لكن:

• هل المشاعر الإنسانية من الرأفة والرحمة والعدل والكرامة، هي نتاج مواد كيميائية وتفاعلات كيميائية مادية؟.

• هل تتشكل هذه المشاعر في القشرة الدماغية باتحاد مواد كيميائية؟.

الحقيقة الساطعة أن العلم يعجز عجزاً مؤكداً على إثبات أن هذه المشاعر وهذه القيم تكون نتاج إشارات وومضات كهروكيميائية.

وأنا على استعداد لأخذ جرعة من هذه التفاعلات لعلني أصبح عادلاً ومن أهل الرأفة والرحمة والسكينة!!.

▪ هل التفاعلات الكهروكيميائية المادية تحول النفس من نفس أمارة بالسوء إلى نفس مطمئنة؟.

- هل الدماغ له المقدرة على التمييز بين الحق والباطل؟
- هل الدماغ هو الذي يفرز الضمير، الوجدان، والوازع الأخلاقي؟ ويمنع العدوان وينصر المظلومين ويطمح للعدل والإنصاف؟
- هل الدماغ هو الذي يفرز سلوكنا الأخلاقي؟
- هل هذه المعادلات المادية الفيزيائية أو الكيميائية أو الكهروكيميائية تنتج عقلاً يعقل أوامر الله؟ وينهى عن الفحشاء والمنكر؟
- هل الدماغ ينتج ويفرز مواد تحث الإنسان على التبصر والتدبر والتأمل والفراسة والحكمة وووو.....عجبي!!!، سنقولها للماديين والعلمانيين نعتذر عن أوهامكم وترهاتكم كل هذه النظريات المادية باطلة.

لكن من قال بأن الدماغ لا عمل له!!!؟.

الدماغ تجري فيه عشرات بل الألوف من العمليات الحيوية والعمليات الكيميائية والكهروكيميائية إنه يستقبل الرسائل الحسية من البوابات والنوافذ الإدراكية للعقل الواعي ويحولها إلى صور ذهنية ليدرك بها الإنسان وفيه ذاكرة عظيمة تحفظ ما يصل من الحواس ويرسل رسائل حركية لكافة أنحاء الجسم.

ولو نزع الدماغ وفردَ على الأرض كمصانع للعمليات التي يقوم بها لما اتسعت اليابسة له قط.

إن الحفاظ على الدماغ حفاظاً على الحياة، وأي تلف جزئي به يؤدي لتخريب في الوظائف الجسمية والحسية للإنسان فالرأس يحمل النوافذ والبوابات الإدراكية للعقل الواعي والذي يسمى العقل المسموع.

**أسئلة مطروحة:**

- ✓ ما هي البوابات الإدراكية للعقل الواعي؟
- ✓ ماذا يستفيد منها العقل الواعي.
- ✓ كيف تصنع الصور الذهنية.

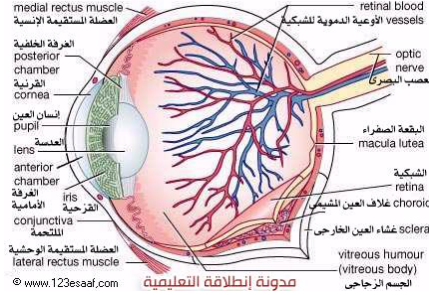
## الفرع الثاني

### البوابات الإدراكية للعقل الواعي

#### «العقل المسموع»

إن البوابات الحسية التي بها يرتبط الإنسان بمحيطه الخارجي ليُدرك الأشياء ويعي ما حوله، فأَيُّ خلل في أدائها يؤدي حتماً لقلّة إدراك هذه الأشياء ووعيها، ومراكز تحليلها في الدماغ.

تعالواً معاً نبحث في معجزة الإبصار: كيف نبصر الأشياء؟<sup>(1)</sup>.



الشكل رقم (5)

#### تشرح العين

<sup>1</sup> - فاسيلي تاتارينوف: تشرح فيزيولوجيا الإنسان، دار المير، موسكو.

خلوق نور باقي: الإنسان ومعجزة الحياة، دار الصحوة للنشر، سنة 2000.

عالم المعرفة: المخ البشري، العدد رقم 287، تأليف كرتين تمبل.

## معلومات إثرائية:

ينفذ الضوء المستقيم عبر القرنية « أول حاجز للعين » عندها ينكسر الضوء وينفذ إلى العدسة لينكسر مرة أخرى ليصل إلى الشبكية وهي صفحة في قعر العين فيها خلايا مخروطية تستجيب للضوء والألوان (الرؤيا النهارية) وخلايا العصوية تستجيب للضوء الباهت (الرؤيا الليلية).

وظيفة الشبكية تحويل الحزم الضوئية إلى تفاعلات كيميائية ثم إلى سيالة عصبية كهربائية التي تتجه عبر العصب البصري لمركز الرؤيا في الدماغ، الشكل رقم (5).

إن نافذة العين «البؤبؤ» الشبيهة بعدسة الكاميرا تضيق وتتسع حسب شدة الضوء لتحمي العين ولو اختلف هذا النظام لاحترقت شبكية العين من شدة الضوء فسبحان الله الذي أتقن كل شيء، فأعظم جوال يحوي عدسة الكاميرا بين/8-30/ميغا بيكسل بينما عند الإنسان/576/ميغا بكسل، ويعتقد أن العين يمكنها استقبال جميع الألوان وهنا يكمن الإعجاز العلمي في عملية الرؤية، إذ ترسل الألوان السبعة الواصلة إلى الشبكية بواسطة الأعصاب البصرية إلى الدماغ بتزامنات مختلفة منتظمة وبفواصل زمنية دقيقة ولو اختلف هذا النظام الكمبيوترى في التوصيلات والانتقالات لانعدمت الرؤية سبحان الذي أبدع وأتقن كل شيء.

فالخلية في الشبكية هي خلية، والخلية في عدسة العين أو في قزحية العين هي خلية، لكن الفرق بين هذه الخلايا هو في نوع البرمجة الرياضية المعطاة لكل منها وتتكامل أدوارها ضمن نظام معقدة جداً لتعطي معجزة الإبصار أكثر من/1200/لقطة في الثانية الواحدة، فسبحان الله.

بل نجد أن المجال البصري الأيمن هو الذي يرتبط بالنصف الأيسر من المخ والعكس صحيح والمعتاد أننا في تحركاتنا نحرك أعيننا بحيث يتمكن نصف المخ من

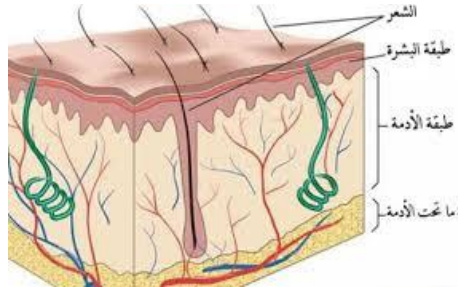


أن يطلعا على المعلومات البصرية، ويتم تبادل المعلومات البصرية عبر الجزء الخلفي من الجسم الجاسئ<sup>(1)</sup>.

والرؤية البصرية ما هي إلا خيالات مؤلفة من موجات ندرکها بعد أن فهمنا آثارها ووعاها رأسنا عندها تتكون الصور الذهنية البصرية لتحتفظ في ذاكرة الدماغ وتطلب عند الحاجة كأنطباعات بصرية.

معجزة حاسة اللمس:

الجلد فيه عدد كبير من المستقبلات الحسية المستشعرة للبرودة والحرارة والألم، الشفتان حساستان للحرارة كثيراً، وأطراف الأصابع فيها عدد كبير من مستقبلات اللمس للحرارة والبرودة والألم.



الشكل رقم (6)

تشریح الجلد

<sup>1</sup> - عالم المعرفة: المخ البشري، العدد رقم 287، تأليف كرسيتين تمبل، ص 66.

فسبحان الله الذي ميّز هذه الخلايا وبرمجها لتستقبل الشعور بالبرودة والحرارة والألم، لكي ترسل إشارات إلى الدماغ ليتمكن الإنسان من معرفة المخاطر المحدقة به فلولا أن الشفتين حساستان لدرجة الحرارة والبرودة لشرب الإنسان الماء المغلي وهكذا الشعور بالألم والضغط.

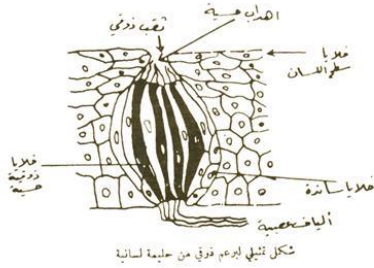
سبحان الله الذي أظهر معجزة استبدال الجلد الذي يغطي الإنسان فعذاب الكفار في نار جهنم عظيماً لإحساسهم بالحرق المستمر والدائم بعد أن تحترق جلودهم يبدلها الله عز وجل بجلود غيرها ليذوقوا عذاب النار الدائم قال تعالى:

○ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ النساء/56.

فعند مرحلة نضج الجلد وهي مرحلة متقدمة من احتراق الجلد عندها تحترق المستقبلات الحسية الموجودة في قاعدة الجلد مما يؤدي إلى عدم وصول إحساس بالألم للدماغ لذا يبدل الله جلود الكفار ليذوقوا العذاب المستمر بالآلام المبرحة في الجسم.

## معجزة التذوق:

يتألف عضو التذوق من الحليمات الذوقية الموجودة في قاعدة اللسان وهناك عشرات بل مئات من الحليمات الذوقية موجودة على سطح اللسان لتمييز مذاق الأطعمة الحلوة والمالحة والمرّة.



### الشكل رقم (7)

#### تشرح حليلة ذوقية

ذكر في القرآن لفظ « ذوقوا » وقصد به العذاب لأن ذلك وإن كان في التعارف للقليل فهو مستصلح للكثير فخصه بالذكر ليعم الأمرين وكثر استعماله في العذاب نحو:

○ ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ النساء/56.

○ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ السجدة/20.

○ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأحقاق/34.

○ ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ الدخان/49.

لكن التذوق لم يقتصر على العذاب فقد جاء في الرحمة:

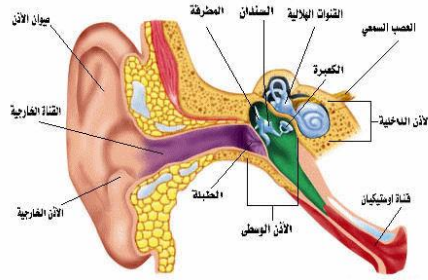
○ ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرِحَ بِهَا﴾ الشورى/48.

وفي موضع آخر يكون الجزاء في الدنيا قبل الآخرة:

○ ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل/112<sup>(1)</sup>.

### معجزة السمع والتوازن:

الصوت عبارة عن تموجات هوائية تلتقط الأذن الخارجية والوسطى المنبهات الصوتية والمنبهات الناشئة عن تغير وضعية الجسم، فعندها يهتز الشيء تتولد عنه موجات صوتية تنتقل عبر مجرى السمع إلى غشاء الطبل فيهتز لتصل إلى العظيومات السمعية الثلاث (المطرقة والسندان والركاب).



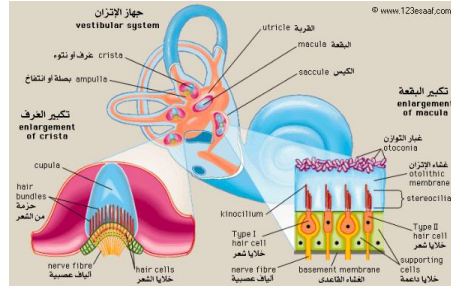
الشكل رقم (8)

### تشريح الأذن

<sup>1</sup> - أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 188.

وهذا العظم الأخير يستند إلى غشاء في بداية الأذن الداخلية الذي يغطي القوقعة وفيها سائل يهتز باهتزاز هذه العظيمة الصغيرة لتتحرك الخلايا الشعرية عندها تتولد سيالة عصبية تنتقل عبر العصب السمعي إلى الدماغ، لتصل إلى محلل السمع - المنطقة السمعية الحسية في الفص الصدغي للدماغ.

في الأذن الداخلية يوجد جهاز الدهليزي يحوي قنوات الهلالية في قاعدتها توجد حويصلات تستجيب لحركة الجسم الدورانية نتيجة لوجود خلايا شعرية ضمن وسط سائل هلامي فكلما تحرك الجسم ومال الرأس تتنبه هذه الخلايا فيتولد سيالة عصبية تصل الدماغ ليتم تحليلها وتفسيرها لتصدر الأوامر إلى العضلات الحركية لعملية التوازن.



الشكل رقم (9)

### جهاز التوازن في الأذن

فأي تعطيل لهذا الجهاز يؤدي إلى فقدان توازن الجسم، ويحدث ذلك بالطائرة أو السيارة شعور بفقدان التوازن وظهور أعراض الإقياء والدوران نتيجة تهيج الجهاز الدهليزي للأذن.

فسبحان الله الذي ميز الخلايا عن بعضها البعض بنوعية البرمجة المعطاة والمخصصة لها علماً بأن كل الخلايا تملك الواحدات البنائية الأساسية.

فالإنسان مخلوق على شكل واحد لكن أحدهم مهندسٌ والآخر طبيبٌ والآخر محامٍ، إذاً السمع ما هو إلا موجات كهرومغناطيسية يحللها مركز السمع في الدماغ، فأثر هذه الموجات تنشئ صورة ذهنية سمعية تستنتجها عقولنا لاحقاً لتعلل الظواهر والحوادث والأصوات لتعطينا إدراكاً ووعياً وفهماً لها (فليس العلم بالحقائق والأشياء ملامسة لها، أو اتصال العقل رأساً بها، إنما العلم يأتي عن طريق عرض آثار الأشياء والحقائق على الحواس أو غيرها (كالأجهزة العلمية للكشف) ثم وعي، وفهم، وإدراك معنى هذه الإشارات وفهم حقائقها بواسطة تلك القوة العظمى قوة العقل)<sup>(1)</sup>.

ومعجزة حاسة السمع هي التحكم في توازن الجسم وتنظيم حركته، فأى تعطيل لهذا الجهاز نتيجة تحرك الجسم وميلان الرأس أو إجهاده نتيجة اضطراب في الذبذبات الصوتية يؤدي إلى تهيج في الجهاز الدهليزي للأذن الداخلية مما يفقده توازنه.

الآن ظهر في محرك البحث You tube موضوع المخدرات الرقمية التي تؤثر على الشباب وتعمل عمل المخدرات وتفعّل مفعول المخدرات وهي عبارة عن نغمات صوتية بكل إذن نغمات مختلفة بذبذبات لا يتحملها الإنسان ولا يسمعها ظاهرياً تؤدي إلى حالة مزاجية نفسية سلوكية تشبه حالة الإدمان على المخدرات، فمع استمرار سماع هذه الذبذبات الصوتية يؤدي إلى تشنجات وحركات هلوسة غير طبيعية يقوم بها الشخص وكأنه في حالة تعاطي المخدرات.

---

<sup>1</sup> - الشيخ عبد المجيد الزنداني: توحيد الخالق، المكتبة العصرية، ص22.

فيفقد توازنه النفسي والجسمي والسلوكي نتيجة وصول الذبذبات والموجات الكهرومغناطيسية لكل أذن مخالف للأخرى ينتج عنه أوامر حركية متعكسة مما يؤدي لظهور هذا الاضطراب الجسمي والسلوكي والنفسي ويصبح مزاجه كمزاج مدمن المخدرات فيشعر بالسعادة المؤقتة نتيجة فرز كمية هائلة من الدوبامين هرمون السعادة بشكل عشوائي من المشابك العصبية، وهذه الكمية الكبيرة منه تولد حالة الاضطراب النفسي والسلوكي للإنسان، إنها المخدرات الرقمية تقتحم الشباب، فعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

والمفارقة كبيرة بين ماضينا المشرق وحاضرهم المعيب تقول المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه": ((وللعرب فضل كبير آخر على علم الطب... وهو معالجتهم للأمراض العقلية والعصبية، وأبدعوا في المعالجة النفسية التي مثلت دوراً مهماً في مداواتهم الآلام الجسدية، ووضعت كتباً خاصة بهذا الموضوع ككتاب تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان، لأبن الهيثم العالم الفيزيائي العظيم، كذلك طالب ابن سينا بضم الوسائل النفسانية إلى التداوي بالعقاقير لزيادة مفعولها وإزالة الخوف عن المريض قائلاً: «علينا أن نعلم أن أحسن العلاجات وأنجحها هي العلاجات التي تقوم على تقوية قوى المريض النفسانية والروحية وتشجيعه لحين مكافحة المرض، وتجميل محيطه وإسماعه ما عذب من الموسيقى وجمعه بالناس الذي يحبهم»<sup>(1)</sup>.

سبحان الله الآن بعض المشايخ في ألمانيا يبتثون صوت القرآن الكريم كعلاج مهدئ لبعض المرضى، حيث أظهرت الأبحاث التأثير الإيجابي لصوت القرآن على تهدئة توتر الإنسان وعلى ضربات القلب وحركاته حيث لوحظ انخفاض توتره وتنظيم

---

<sup>1</sup> - المستشرقة الألمانية ريغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ص 28.

دقات قلبه وسكون حركته واعتدال في ضغط الدم لأن حاسة السمع مسؤولة عن توازن الجسم وتنسيق حركاته مما يسهل تنظيم العمليات الحيوية فيه .

وأكد العلماء وجود ارتباط وثيق بين الأذن الداخلية والقلب عن طريق العصب العاشر الذي يسمى العصب الحائر .

بهذه الذبذبات الصوتية لكلمات القرآن الكريم تعطي طاقة إيجابية ذات ترددات متوافقة مع لغة تركيب المورثات السلوكية وتردداتها الموجودة في القلب فتوسم بهذه الطاقة النورانية .

مما يؤدي إلى تزكيتها وتطهيرها، فيشعر الإنسان المؤمن الذي ينصت ويستمع للقرآن الكريم بهدوء وطمأنينة في داخله فما أعظمك يا رسول الله صلوات الله عليه وسلامه حيث قال: ﴿الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ﴾ فما بالكم بكلمات الله تعالى علينا، سبحانك ربي .

أليست البوابات الحسية التي توصل الوعي وإدراك الأشياء فأني خلل في أدائها سيؤدي حتماً لقلّة إدراك هذه الأشياء، فيجب ضبطها كما أراد الله عزّ وجل في طاعته وامتثال أوامره لكن عدم ضبطها تكون أدوات لإثارة الشهوات والغرائز الشيطانية لأن البصر أدرك صوراً مسيئة للأخلاق فتحوّلت لصورة ذهنية بصرية ستصل للعقل المطبوع فينزغ العقل اللاهي لتقبلها فينتج هيجان وإثارة الشهوات الجنسية مما يزيد في تغيير بدقات القلب وإفراز هرمونات الإثارة الجنسية وبتكرار المشاهدة للأفلام الإباحية تصبح كإدمان المخدرات .



وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَخْلَصَ قَلْبَهُ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ سَلِيمًا وَلِسَانَهُ صَادِقًا، وَنَفْسَهُ مُطْمَئِنَّةً، وَخَلِيقَتَهُ مُسْتَقِيمَةً، وَجَعَلَ أُذُنَهُ مُسْتَمِعَةً وَعَيْنَهُ نَاطِرَةً﴾<sup>(1)</sup>.

هنا المؤمن العاقل وصلت هذه الصور الذهنية لعقله فيرفض رفضاً قاطعاً قبولها لأن الشرع يرفضها فيغض بصره فوراً.

○ قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور/30.

وإنه أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين، أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نوراً في بصيرته<sup>(2)</sup>.

عن أبي أمامه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها﴾<sup>(3)</sup>.

فالعاقل المؤمن هو الذي يضبط حواسه وجوارحه كاملة بما أمره الله تعالى:

○ ضبط السمع: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ الحجرات/12.

○ ضبط الحركة: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا﴾ الاسراء/37.

○ ضبط الصوت: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ لقمان/19.

<sup>1</sup> - رواه أحمد في مسنده.

<sup>2</sup> - الشيخ محمد علي صابوني: تفسير مختصر ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة، 1402 هـ - 1981 م ج2، ص596.

<sup>3</sup> - أخرجه أحمد في مسنده.

- ضبطَ النظر: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ طه/131.
- ضبطَ اللسان: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ البقرة/83.
- ضبطَ التعامل مع المال والطعام: ﴿ولا تسرفوا﴾ الأنعام/141.
- ضبطَ النفس: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/28، هنا الشرع الرياني غلب طبع النفس وهواها.

إن آثار السمع والبصر تعمل عملها في العقل ويفهم معناها، فالمؤمن بربه مجهز بنور العقل الذي يستتج من أي قضية تعرض له فيتبع الحق لأنه مرتكز على نور الإيمان، وهي المادة الأولى في تسيير دفة العقل لإنتاج التصور السليم لبناء أفكار سليمة فلا يبصر إلا في الحلال ولا يسمع إلا الحق.

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء/26.

- وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: ﴿أَنَّ النَّظَرَ سَهْمٌ مِنْ سَهَامِ إبْلِيسَ مَسْمُومٌ مَنْ تَرَكَهُ مَخَافَتِي أَبَدَلْتَهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ﴾<sup>(1)</sup>.

وفي الصحيح عن أبي هريرة ؓ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزَّنَى أَدْرَكَ ذَلِكَ لَأَ مَحَالَةً، فَزَنَى الْعَيْنَيْنِ النَّظَرَ، زَنَى اللِّسَانَ النَّطْقَ، وَزَنَى الْأَذُنَيْنِ الِاسْتِمَاعَ، وَزَنَى الْيَدَيْنِ الْبَطْشَ، وَزَنَى الرَّجْلَيْنِ الْخُطَى وَالنَّفْسَ تَمَنَّى وَتَشْتَهَى، وَالْفَرْجَ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ﴾.

<sup>1</sup> - أخرجه أبو القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني عن ابن مسعود.

○ لهذا فاحذروا من النفس الأمارة بالسوء فإنها تضل صاحبها قال تعالى:

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يوسف/53.

○ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ق/18.

فكبح النفس عن ما تتمناه هو عين العقل، فجعلها كالدابة يزكيها عقلك الفطن عندها تصطبغ بحلة الوقار والسكينة والخوف والوجل من الله تعالى.

وعلينا مراقبة ما يرد إلى مسامعنا وأبصارنا بفلترة الصحيح والحسن وخاصة من أهل الغلو والتطرف الذين يبنون أفكارهم المسمومة بصور ذهنية بصرية وسمعية عبر أجهزة التلفاز والانترنت، فالحرص كل الحرص على أولادنا من الانزلاق في متاهات الغلو والتطرف من بعض الدعاة الذين يبثون الفتاوي المشبوهة للقتل ونشر الرعب والفكر الظلامي، فالعاقل الذي يتابع تصرفات أبنائه قبل فوات الأوان ومراقبة ما يستمعون ويشاهدونه، لضبط الصور الذهنية البصرية والسمعية لأنها ستشكل لهم لاحقاً أفكاراً ومعتقدات فالحرص كل الحرص قبل فوات الأوان في تهذيب وفلترة وضبط الصور الذهنية، قبل أن تصبح مخدرات بصرية وسمعية إدمانية.

لكن أين يقع العقل الضابط الناهي والزاجر والذي يسمى العقل المطبوع أسئلة تراودنا جميعاً.

(1) أين يقع العقل الضابط (العقل المطبوع)؟

(2) هل يوجد ما يثبت في القرآن والسنة أن محله القلب؟

تعالوا نتابع.....



## العقل الواعظ الضابط للنفس البشرية

### «العقل المطبوع»

بإذن الله سنثبت أن محله القلب وذلك من:

(1) كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) الذي فيه تبيان لكل شيء.

(2) من السنة النبوية الشريفة.

(3) من العلماء الثقات.

أولاً... من كتاب الله (القرآن الكريم):

صَّرح القرآن الكريم وبشكل واضح أن العقل محله القلب، وأنه ليس مجازاً:

○ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

الحج/46.

هنا استخدم القرآن الكريم العقل وأكد أنه في القلب وهذه عدة تفاسير تؤكد ذلك:

▪ الآية تدل على أن محل العقل: في القلب، ومحل السمع: في الأذن، فما

يزعمه الفلاسفة من أن محل العقل الدماغ باطل، وكذلك قول من زعم أن

العقل لا مركز له أصلاً في الإنسان، لأنه زمني فقط لا مكاني فهو في غاية السقوط والبطلان<sup>(١)</sup>.

■ أضاف العقل إلى القلب لأنه محله، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور أي عن إدراك الحق والاعتبار وقال قتادة: ((البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة، والبصر النافع في القلب، وقال مجاهد: لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لآخرته، فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيئاً، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئاً... أي من كان في هذه أعمى بقلبه عن الإسلام فهو في الآخرة في النار))<sup>(٢)</sup>.

■ أي أن العمى الضار في الدين، عمى القلب<sup>(٣)</sup>.

■ أي ليس العمى عمى البصر، وإنما العمى عمى البصيرة، فإن كانت القوة الباصرة سليمة فإنها لا تنفذ إلى العبر ولا تدري ما الخبر<sup>(٤)</sup>.

■ أفلم يسافروا في نواحي الأرض ليروا مصارع المهلكين، فيعتبروا؟! فتصير لهم قلوب يتعقلون بها، أو آذان يسمعون بها الوحي سماع تدبر وتفهم، فإن

---

<sup>1</sup> - محمد الأمين الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر، ص1239.

<sup>2</sup> - أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، الجزء الثاني المجلد السادس، ص234.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص544.

<sup>4</sup> - تفسير مختصر ابن كثير للصابوني، ج2، ص547.

الأبصار ليست عمياء، وإنما العمى عمى البصيرة، وسوء استعمال العقل بإتباع الهوى والتقليد<sup>(١)</sup>.

■ أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي<sup>(٢)</sup>.

■ فمن كان أعمى القلب لا يعتبر ولا يتدبر، وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم المجاز<sup>(٣)</sup>.

وفي موضع آخر قال تعالى:

○ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق/37.

■ لمن كان له قلب" أي عقل يتدبر به، فكنى بالقلب عن العقل لأنه موضعه، قال معناه مجاهد وغيره<sup>(٤)</sup>.

وقال جل وعلا: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ الأنفال/24.

■ وقال مجاهد: المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع<sup>(٥)</sup>.

○ ثم قال سبحانه وتعالى ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يس/70.

■ ((أي حي القلب، قاله قتادة، وقال الضحاك: عاقلاً))<sup>(٦)</sup>.

---

<sup>1</sup> - د. وهبة الزحيلي: الموسوعة القرآنية الميسرة، ص338.

<sup>2</sup> - محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج3، ص145.

<sup>3</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص756.

<sup>4</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج3، ص17، المجلد/9.

<sup>5</sup> - المرجع السابق، ج2، ص253، المجلد/4.

<sup>6</sup> - المرجع السابق، ج3، ص38، المجلد/8.

○ وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾  
الأعراف/179 .

■ ((أي بمنزلة من لا يفقه، لأنهم لا ينتفعون بها، ولا يعقلون ثواباً ولا يخافون عقاباً))<sup>(١)</sup>.

■ ((لهم قلوب لا يفقهون بها" أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة))<sup>(٢)</sup>، والفقه الذي هو الفهم لا يكون إلا بالعقل.

ثانياً... أدلة من الأحاديث النبوية الصحيحة:

تثبت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة أن القلب أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية لأن الضابط والواعظ العقلي في القلب.

○ ورد عنه ﷺ أنه قال: ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، إِيَّا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال النووي في شرحه للحديث: ((واحتج بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الرأس))<sup>(٤)</sup>.

وخص بالقلب بذلك لأنه أمير البدن، وبصلاح الأمير تصلح الرعية، وبفساده تفسد، وفيه تنبيه على تعظيم قدر القلب، والحث على صلاحه وإشارة إلى أن لطيب الكسب أثراً فيه والمواد المتعلقة به من الفهم الذي ركبه الله فيه.

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج2، المجلد الرابع، ص210.

<sup>2</sup> - تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص303.

<sup>3</sup> - رواه البخاري رقم/52/ومسلم برقم/1599/.

<sup>4</sup> - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، ج11، ص29.



ويستدل به على أن العقل في القلب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾، قال المفسرون: ((أي عقل وعبر عنه بالقلب لأنه محل استقراره))<sup>(١)</sup>.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى «أَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ»﴾<sup>(٢)</sup>.

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وما ذلك إلا ليعقلوا عنه ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً... الاستدلال:

بقول عمر رضي الله عنه في ابن عباس رضي الله عنهما: ((إن ذاكم فتى كهول، له لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً))<sup>(٥)</sup>.

مثل العقل والقلب كمثل الصدفة المتينة التي تحيط إحاطة كاملة بالجوهرية وهكذا العقل هو جوهرية النفس البشرية الكامنة في مستودع القلب، فكلما كانت الصدفة متينة قوية بالإيمان كلما حافظت على الجوهرية العقلية، ففوقه وغرس الإيمان في القلب يتناسب طردأً مع نور العقل.

<sup>1</sup> - شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري ص274، ج1.

<sup>2</sup> - رواه مسلم برقم/2564.

<sup>3</sup> - رواه مسلم.

<sup>4</sup> - مختصر تفسير ابن كثير، ج3 ص461.

<sup>5</sup> - رواه الطبراني والحاكم وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.

أسئلة مطروحة:

✓ هل الصفات الجسمية تورث للأبناء.

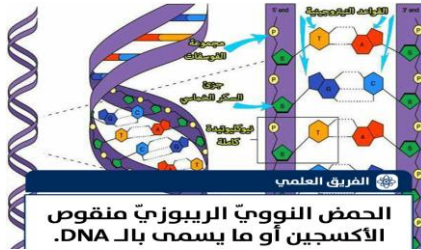
✓ هل للبيئة تأثير في ذلك.

تعالوا نتابع....

# توريث الصفات الجسمية بين الوراثة والبيئة

**علم الوراثة Genetics**: علم يدرس الصفات وكيفية توريثها للأبناء، ويدرس الأمراض الناتجة عنها والتأثير البيئي لها، والعيوب الوراثية التي تظهر وعن إمكانية علاجها في المستقبل، بعد دراسة تاريخية للعائلة.

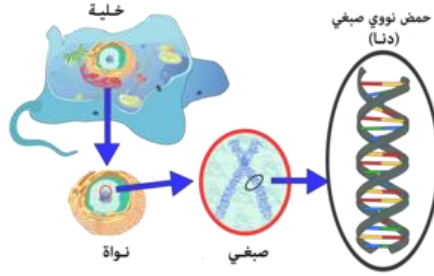
- المادة الأساسية لعلم الوراثة هي DNA "حمض الريبوزي منقوص الأوكسجين" هي التي تحمل الشيفرة الوراثية للإنسان.
- شكل الشيفرة الوراثية المحمولة على DNA عبارة عن سلسلتين متصلتين مع بعضهما البعض من الوحدات البنائية للـ DNA وهي أربع قواعد بنائية كيميائية نيتروجينية.



الشكل رقم (10)

بنية الـ D.N.A

الأدينين A، الجوانين G، السيتوسين C، التايمين T، ويرتبط الأدينين A مع التايمين T، والجوانين G مع السيتوسين C بروابط هيدروجينية. وكل قاعدة ترتبط مع سكر ومجموعة فوسفات لتشكل النيوكلوديد، وكل ثلاث قواعد تحدد شفرة لحمض أميني المسؤول عن صناعة البروتينات. صناعة البروتينات تكون في خارج نواة الخلية (الريبوزوم) عن طريق طباعة نسخة من الشفرة الوراثية ونقلها من النواة للخارج لصناعة البروتينات.



الشكل رقم (11)

### تشكل البروتينات في الخلية

الجين Gene – المورثة: هي جزء من تراكيب كبيرة تسمى الكروموزوم، خلية الإنسان تحتوي على 23/زوج من الكروموسومات منها 22/زوج جسمي وزوج واحد (1) جنسي.

((قبل أن تنقسم الخلية يجب أن تنسخ معلوماتها الوراثية بحيث تنقل نسخة كاملة من هذه المعلومات إلى الخلية البنت، وهكذا عندما يتفرق الشريطان المكونان للولب المزدوج الـ DNA، فإن كلا منهما يشكل قالباً لإنتاج شريط آخر مكمل له

يمائل تماماً الشريط المكمل الأصلي (ومع ذلك قد تقع الأخطاء أحياناً، عندها تسمى الطفرة) وكل ثلاث أحرف أو قواعد بناء في - DNA - ترمز إلى حمض أميني من الحموض الأمينية العشرين، هذه الحموض الأمينية ترتبط ببعضها لتشكيل واحداً من آلاف البروتينات والتي تعتبر المكونة للجسم البشري<sup>(١)</sup>.

((إن التطور السريع لعلوم المورثات ظهر حديثاً، حيث تم كسر شيفرة المادة الوراثية التي يحملها الحمض النووي الريبوي DNA من جيل إلى جيل وذلك بسبب بنيته اللولبية ودرجات السلم المكونة من أربع مركبات كيميائية بسيطة شكلت المفتاح إلى حل لغز شيفرة الحياة.

هذا الشريط الحلزوني عبارة عن شريط من المعلومات الرقمية التي تشرح عمل جسم الإنسان.

ففي/26/حزيران من العام 2000م وقف كولنزوفتر بجانب بيل كلنتون في البيت الأبيض وخاطب كلنتون قائلاً: ((اليوم نتعلم اللغة التي خلق الله بها الحياة))<sup>(٢)</sup>.

((الشفرة الوراثية الكاملة تشرح عمل جسم الإنسان وتحتوي على ثروة من المعلومات لا تقدر بثمن، لكن قراءة هذه المادة المكونة من ثلاثة بلايين حرف عمل ممل للغاية.

ولو أن الشيفرة الوراثية كتبت على الأوراق التي نكتب فيها فإن الصفحة الواحدة ستحوي/300/رمز وراثي والمورثة الواحدة ستأخذ خمس صفحات وسطياً وسيشغل الشريط الوراثي للصبغي الواحد/200/كتاب، وتحتاج المادة الوراثية

---

<sup>1</sup> - كيفن ديفس: الجينوم - كسر شفرة المورثات، الناشر: شركة العبيكان للنشر، ص 57-58.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 78-79.

مجتمعة إلى/4000/ نسخة وبعبارة أخرى فإن الاستماع إلى قراءة كاملة لرموز في المادة الوراثية البشرية سيستغرق عمر الإنسان بأكمله<sup>(1)</sup>.

يلتف DNA ويتكثف ضمن نواة الخلية، والمسافة بين رمزين متجاورين في الشيفرة هي 0.34 نانو متر (أي أقل من واحد إلى بليون من المتر) ولو مدَّ الـ DNA بشكل كامل فقط في: خلية واحدة لكان طوله متران أو ستة أقدام.

إن المادة الوراثية الموجودة في/100/ تريليون خلية تشكل جسم الإنسان تساوي لو مدت عشرين ضعفاً المسافة بين الأرض والشمس<sup>(2)</sup>.

الطفرة الوراثية تؤدي إلى أمراض وراثية نتيجة اختلالات من الانقسامات الخلوية المنصفة للخلايا، مثال ذلك:

#### متلازمة داون المنغولية:

التي تحدث بسبب فشل الصبغيات في الانفصال عن بعضها أثناء انقسام بويضة الأم فينتج نسخة إضافية من الصبغي/21/ أي وجود ثلاث كروموسومات للكروموسوم/21/ ويتضمن صفات الشخص المصاب بمتلازمة داون، وجود طية في جلد الجفون العليا - قصر القامة - الأيدي واسعة - أصابع اليد والقدم قصيرة - الوجه مستدير عريض - اللسان بارز عريض، مع ظهور علامات للتخلف العقلي يجعل الكلام صعباً وهناك أمراض شائعة تصيب هؤلاء المصابين بمتلازمة داون.

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص55.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص56.

إصابات في الجهاز التنفسي - الليوكيميا - إصابات قلبية - ومع وجود جراحة القلب المفتوح والتقنيات العلاجية<sup>(1)</sup>.

ليست الوراثة هي العامل الوحيد في تكوين صفات الإنسان، لكن للبيئة وهي عامل قوي ومؤثر في تكوين صفات الإنسان.

وقد تكون البيئة المؤثرة إما المحيطة به (الطبيعة) كالجو والمسكن والقوم ونمط الأكل والمشرب والجغرافية، بشكل عام تؤثر على تكوين صفات الإنسان.

**السؤال الهام هل توجد مورثات سلوكية في الإنسان؟!**

إن الفكرة القائلة بأن المورثات تؤثر على سلوك الإنسان وشخصيته، هي فكرة جذابة، ففي السنوات الخمس السابقة ازدادت الأدلة على أن عدداً من الصفات

السلوكية عند الإنسان تتأثر جزئياً على الأقل بالـ DNA.

ورأى عدد من الدراسات أن السلوك الإنساني المعقد يمكن أن تصوغه مورثة واحدة، أكثر الأمثلة دلالة على ذلك أولئك الأشخاص الذين يقومون بشكل منتظم بارتكاب جرائم الاغتصاب وإشعال الحرائق، وقد تبين أن لديهم طفرة مورثة مسؤولة عن ناقل عصبي يدعى مونو أمين أوكسداز<sup>(2)</sup>.

وقد وجد المؤلفون دلائل قوية على مساهمة الوراثة بإحساس الإنسان بالسعادة.

---

<sup>1</sup> - مدخل إلى علم الوراثة البشرية: د. سمير قاري، الناشر دار الفكر للنشر والتوزيع، ص 314 - 315.

<sup>2</sup> - الجينيوم-كسر الشيفرة الوراثية، ص 328.

إذا استغرقتنا أكثر في مفهوم مورثات السعادة سنجد أن أول مادة يمكن أن تلعب مثل هذا الدور هو الناقل العصبي المسمى الدوبامين، وهي مادة السرور الكيميائية الموجودة في الدماغ، إن إطلاق وتحول الدوبامين والمادة القريبية (السيروتونين) هي أول الظواهر التي تفسر تأثير المورثات على السلوك<sup>(1)</sup>.

أهم الهرمونات التي تفرزها النواقل العصبية هي الدوبامين - السيروتونين - الأدرينالين - النور أدرينالين التي تتحكم في مزاجنا وشعورنا وسعادتنا فالسلوك والأخلاق والعادات والمواهب وإنماء العقل والشخصية يعتمد بشكل كبير على البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد وعلى التربية، فإذا كانت جميع معطيات البيئة سلبية كالفقر - أمراض وبائية واجتماعية - تخلف - شعوبات - النتيجة ضعف السلوك والأخلاق والمعتقد الديني وتهاوي العقول لشطط الفكر وانحلاله في المجتمع، نتيجة كثرة الصور الذهنية الخاوية والمثبطة التي يحملها أكثر أفراد هذه المجموعات ستولد حتماً أفكار واهية للأشخاص قد يجنح بعضهم لارتكاب الجرائم والشذوذ فتتطفئ شعلة العقل، وعلى العكس تماماً، عندما تكون الحاضنة الاجتماعية والمدرسية وصحبة الأخيار والأهل ذات السمعة الطيبة والمعتقد والأعراف الصالحة تحف الإنسان ليرتقي ويربو في المنبت الصالح والمعتقد الصالح.

○ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَآ يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا﴾ الأعراف/58.

بهذا تنوهم الطبائع المطبوعة في قلب الإنسان والمجبولة فيه بنور الإيمان وشعلة العقل فتزداد تألقاً فينمو ويربو بها الإنسان بفكر صالح ومعتقد سليم فتزداد دواعي الخير في قلبه وتطفئ على دواعي الشر وطبائع الخبث فيه، فيخنث شيطانه.

<sup>1</sup> - كيفن ديفس: الجينوم - كسر شفرة المورثات، ص 331.



وأما الآخر الذي من المنبت الشر ومتأثر بهوى نفسه وأهله فتتقوى دواعي الشر على دواعي الخير:

○ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد/16.

وعنه ﷺ قال: ﴿مَا مِنْ مَوْلِدٍ إِلَّا يُوَلَّدُ عَلَى الْفُطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يمجسانه﴾<sup>(1)</sup>.

والمراد بالفطرة: الخلقة والجبلة، أي أن الله خلق الناس على حالة تمكنهم من إدراك الحق وقبوله، ووضع في قلوبهم محبة الحق وهو الإيمان بالله وفعل الخير، لكن عوامل إفساد هذه الفطرة كثيرة، وعلى رأسها إغواء الشيطان وتأثير الأهل والمعتقدات الفاسدة، فتتحرف الفطرة وتفسد كما يفسد الخل العسل.

أسئلة محيرة:

- ✓ هل المورثات السلوكية موجودة في قلب الإنسان فقط؟
- ✓ هل جبل الإنسان على بعض الطبائع الطيبة والخبیثة؟
- ✓ هل يوجد تأثير للبيئة الاجتماعية والتربية في تهذيب الطبائع الخبيثة المجبولة في قلبه؟
- ✓ هل الوراثة السلوكية تورث إلى الأبناء؟
- ✓ هل جبل الإنسان على بعض الصفات السلوكية الخيرة والشريرة؟

تعالوا معاً نتابع الإعجاز المبيى في توريث الصفات السلوكية كما بدا لي في القرآن العظيم  
والسنة المطهرة .....

<sup>1</sup> - أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: صحيح البخاري، الحديث رقم/1258.



## المورثات السلوكية

### الموجودة في قلب الإنسان

«دراسة علمية قمت بها بفضل من الله وكرمه»

**مما** يدل دلالة قاطعة على وجود مورثات سلوكية مندمجة في قلب الإنسان ومؤلفة من زوج «شفع» صنفين متقابلين أحدهما ظاهر والآخر ضامر في قلب الإنسان، موجودة في خلايا خاصة متميزة ومتطورة جداً ولا توجد إلا في القلب... أكرر لا توجد إلا في القلب.

فالظاهرة تكون قوية واضحة للمرء والعيان منها الخلق الحسن ومنها الخلق السيئ والأخرى مستورة «أو متنجية» تكون خامدة لا تظهر للعيان منها خلق خير ومنها خلق شر، فالإنسان لديه استعداد فإما ينميها أو يخفيها، وذلك بالتعود الإرادي ومزاولته.

فتعالوا نثبت لكم صحة هذا القول بإذن الله.

○ قال تعالى: ﴿وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذاريات/49،  
(أي صنفين)<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ الزخرف/12.

أي الأصناف جميعها، مما تثبت الأرض، ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحر وبرد، وذكر وأنثى، وغير ذلك<sup>(2)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يس/36.

○ قال تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ 19 ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ﴾ عبس/20.

○ قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصافات/101، (يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر، والعفو عمن جنى)<sup>(3)</sup>، أي أن إسماعيل عليه السلام حلِيم في جبلته التي خلق منها.

○ قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ 26 ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح/27.

ومصداقاً لهذا ما جاء في السنة المطهرة:

○ ﴿حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ زُبَيْدٍ، عَنْ مَرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ وَإِنَّ

<sup>1</sup> - تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص 823.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 773.

<sup>3</sup> - تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص 713.

اللَّهُ تَعَالَى يُعْطِي الْمَالَ مِنْ أَحَبِّ وَمَنْ نَا يُحِبُّ وَنَا يُعْطِي الْإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ ﴿<sup>(١)</sup>﴾.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خَلْقٍ إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ﴾.

هذا للمؤمن يطبع على كل الصفات والسلوكيات الخلقية إلا الخيانة والكذب.

○ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا﴾ <sup>(٢)</sup>.

○ عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ﴿خَصَلْتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبِخْلُ وَسُوءُ الْخَلْقِ﴾ <sup>(٣)</sup>.

○ سأل الإعراب رسول الله، قالوا: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانَ ؟ قَالَ " خَلَقَ حُسْنًا "﴾ <sup>(٤)</sup>.

هذا مما يؤكد أن المؤمن قلبه "مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض" لأن قلبه أشرب نور الإيمان والحكمة ونور القرآن فتتوسم المورثات السلوكية الخلقية الحسنة فتزداد تألقاً ونوراً حتى يصبح القلب أبيض سليماً فلا

---

<sup>1</sup> - الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرک علی الصحیحین، 33/1، وأخرجه أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي في كتاب شعب الإيمان وقال الألباني: صحيح من كتاب الأدب المفرد للبخاري، رقم/257.

<sup>2</sup> - رواه البخاري في الأدب المفرد رقم/281 و محمد بن عيسى الترمذي في كتابه سنن الترمذي برقم/1633.

<sup>3</sup> - رواه البخاري في الأدب المفرد، برقم/282 والترمذي في سننه برقم/1962.

<sup>4</sup> - رواه البخاري في الأدب المفرد، برقم/291.

مكان مطلقاً لسوء الخلق في قلبه لأنه ألزم نفسه وتعود على إنماء الخلق الحسن لديه وتقرب لأهل الخير والبر.

أما الكافر فلا يملك إلا الدناءة وسوء الخلق لأنه تعود عليه لاستعداد في طبعه وجبلته فتسعى إرادته لعمله:

○ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد/16.

عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ للأشج عبد القيس:

○ ﴿إِنَّ فِيكَ لَخَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحَلْمُ، وَالْأَنَاءَةُ﴾<sup>(1)</sup>.

وفي رواية أخرى قال له النبي ﷺ: ﴿أَمَّا إِنَّ فِيكَ لَخَلْقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: جَبَلًا جَبَلَتْ عَلَيْهِ، أَوْ خَلْقًا مَعِيَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ جَبَلًا جَبَلَتْ عَلَيْهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لَهُ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾<sup>(2)</sup>.

الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام:

○ قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ الطور/33، قيل معناه عقولهم وليس

الحلم في الحقيقة هو العقل لكن فسروه لذلك لكونه من مسببات العقل.

○ ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ هود/75.

○ ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصافات/101، أي وجدت فيه قوة الحلم<sup>(3)</sup>.

الأناة: ترك العجلة، فهي التأنى في الأمور وعدم العجلة.

---

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم، 25/17.

<sup>2</sup> - رواه البخاري في الأدب المفرد برقم 587.

<sup>3</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 136.

والأناة هي التؤدة وهي التأنى والرزانة والصبر وحسن التصرف، وضده الطيش والعجلة.

والعجلة هي طلب الشيء وتحريره قبل أوانه وهو من مقتضى الشهوة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن حتى قيل العجلة من الشيطان:

○ ﴿سَأْرِكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ الأنبياء/37.

○ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ طه/114<sup>(1)</sup>.

إذاً هذه المورثات تنتقل من جيل إلى آخر على شكل استعداد طبيعي، فالذي ينميها هو الشخص نفسه، فتكون رغبته وميله وإرادته، والعقل هو الذي يتحكم بأهوائه وشهواته ويضبط تصرفاته بالتؤدة والرزانة وحسن التصرف وتفويض الأمر لله عز وجل.

وعنه ﷺ قال: ﴿إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة، حتى يريك الله منه المخرج، أو حتى يجعل الله لك مخرجاً﴾<sup>(2)</sup>.

فالمزاج الطبيعي المتعجل والطائش للأهل مؤثر على الأولاد، فيكون الأولاد على استعداد متعطل لهذه العجلة، وأخذ القرار السريع والانفعال والغضب، وهنا يتوقف الأمر على البيئة، وعلى الإنسان نفسه أن يتعود بإرادته على ضبط انفعالاته وإخماد ثورة الغضب بالرزانة والصبر، وذلك بالتعود والتكرار، وبالتحلم والتصبر، فلو كانت الأخلاق السلوكية لا تقبل التغيير لما قال رسول الله ﷺ: ﴿حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ﴾، وفي موضع آخر: ﴿اللهم حسنْ خَلْقِي وَخُلُقِي﴾<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص326.

<sup>2</sup> - البخاري في الأدب المفرد رقم 888، والبيهقي في شعب الإيمان.

<sup>3</sup> - أخرجه احمد برقم 13 38.

تعالوا نتابع معاً المورثات السلوكية...



## الفرع الأول

### حادثة شق صدر النبي ﷺ

أسئلة مطروحة:

- ✓ ما مغزى شق صدر النبي ﷺ؟.
- ✓ ماذا أخذ من صدره؟ وما هيئته؟.
- ✓ هل كان شيئاً مادياً؟ أم معنوياً؟ ولماذا؟.
- ✓ لماذا تكررت حادثة شق صدر النبي ﷺ لأكثر من مرة؟.

عن أنس بن مالك: ﴿أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعهُ فَشَقَّ عَنْ صَدْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عِلْقَةً فَقَالَ هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ﴾.

ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه «حاضنته سعدية» فقالوا إن محمداً قد قتل.

فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال أنس: ((وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره))<sup>(١)</sup>، (فاستخرج منه علقة)، «العلق التشبث بالشيء، يقال علق الصيد في الحباله، والعلق الدم الجامد متشبث بعضه ببعض - مادي - محسوس»<sup>(٢)</sup>. فقال: ((هذا حظ الشيطان))، ثم إخرجه من قلبه الشريف.

• حادثة شق الصدر تكررت مرة أخرى قبيل الإسراء والمعراج حيث قال ﷺ: ﴿بَيْنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ «وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحَجْرِ» مُضْطَجِعَ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانَ أَتَانِي آتٌ، فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ «يَعْنِي نَعْرَهُ إِلَى شِعْرَتِهِ» قَالَ: فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ حَشِي ثُمَّ أُعِيدَ﴾<sup>(٣)</sup>.

• وبرواية مسلم... ﴿فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فَعَسَلُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ ثُمَّ حَشِي إِيْمَانًا وَحَكْمَةً﴾<sup>(٤)</sup>.

#### استنتاجات حادثة شق الصدر الحسية الحقيقية:

تؤكد أن القلب مستودع المعتقدات والأحاسيس والمشاعر، والمعتقد الإيماني - الإسلام - هو نور من الله يستقر في قلب الإنسان. إن شق الصدر واستخراج القلب المادي ونزع العلقه منه «مادية» لدلالة أكيدة على وجود المورثات السلوكية تسمى الطباع أو «الغرائز»، مجبولة في قلب الإنسان.

بهذه الحادثة تم نزع حظ الشيطان منه فنزع كل مسبب لعمل الشيطان مهما كان ضامراً أو مخفياً فلا ولن يتمكن الشيطان من الاقتراب منه أبداً وبث وسوسته وظنونه الشريرة فيه وكل ذلك تحت العناية الإلهية وحسراً لرسوله الكريم ﷺ.

<sup>1</sup> - رواه مسلم برقم/262.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص347.

<sup>3</sup> - رواه البخاري برقم/6-332.

<sup>4</sup> - رواه مسلم برقم/164.

فلا حقد ولا غل ولا سخط لعدم وجود حظ من هذا في قلب رسول الله ﷺ فكل دواعي الشر ألغيت مهما صغر فتاته فلن يقتات الشيطان عليه لعدمه، بل استعويض عنه بغسل قلبه بماء زمزم الطاهر النقي وبنور الله الذي أنار قلبه وعقله بالإيمان والأخلاق الحميدة من الرحمة والرفقة والمحبة والسكينة، تدبروا الآية الكريمة عندما يدخل المؤمنون الجنة وينتزع من قلوبهم الغل، وهو حظ الشيطان منهم:

○ قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ الحجر/47.

فليس الخير والسكينة والرفقة والعدل إفرار يفرزه الجسم «ليست مادية» بل نورانية تعطي من الله لمن أراد له الخير، وكان رسولنا ﷺ أولها- وعليه نزل القرآن، هذا النور المضيء لقلبه الشريف، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ﴿كان خلق رسول الله القرآن﴾<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ النور/35.

○ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى/52.

كيف ولا وهو يتحضر لاستقبال القرآن الكريم وهو أعظم أنوار الحكمة فيضيء عقله ليتبصر نور الحكمة الإلهية.

إن الإنسان يحمل في قلبه هذه المورثات السلوكية «الطباع أو الغرائز» وعلى المؤمن أن يجاهد نفسه لكي يتغلب على مزلق الطبع الإنساني كشهواته وأهواء نفسه بلجم دواعي الشر في قلبه وإضعاف هذه الطاقات السلبية في قلبه لكي يخنث الشيطان من العبث به بوسوساته وظنونه الشريرة.

<sup>1</sup> - رواه مسلم برقم 746.

ويجب أن يبقى هذا الإنسان في مجاهدة مع نفسه حتى لحظة موته خوفاً من ضعف نور الإيمان في قلبه فيضعف واعظ الله في نفسه، فيركن العقل لهوى وشهوة النفس، لأن كل إنسان معه قرين من الجن يبيث وسوسته لفعل الشر، فبنور الإيمان والقرآن يقوى واعظ الله في قلبه فيغلب هذا القرين الذي يعبث بالمورثات الضامرة من حقد وحسد وغيره، فتهدأ النفس المؤمنة المطمئنة وتركن إلى نور الإيمان فتقوى شجرة الإيمان وأوراقها التي فيها محبة وعطاء وخير.

عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَكَلَّ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالُوا: وَيَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَيَا أَيُّهَا، إِلَّا أَنْ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أْبْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولهذا فإن القلب أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية وهذا ما أكده رسول الله ﷺ حيث قال: ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، إِلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾<sup>(٣)</sup>.

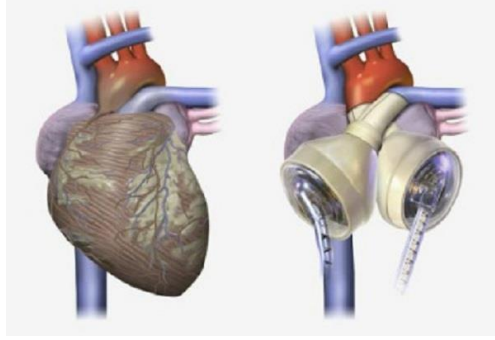
في العصر الحديث وبتطور العلوم الطبية استطاع الأطباء أن يستبدلوا القلب المريض بقلب إنسان آخر أو بقلوب اصطناعية.

---

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه برقم/8-139.

<sup>2</sup> - أخرجه مسلم برقم/2174.

<sup>3</sup> - رواه البخاري برقم/52/ومسلم برقم/1599.



الشكل رقم (12)

قلب اصطناعي...قلب طبيعي

كانت المفاجأة أن بعد عملية زرع القلب الاصطناعي يتأثر الإدراك والفهم والمشاعر بل يزداد المريض تشاؤماً وقد يؤدي إلى الانتحار للتغير الكامل في طبائع هذا الإنسان ومشاعره، أي تغير كامل في شخصية الإنسان، وكثير منهم من يفقد الإيمان، لأن الإيمان مترسخ في القلب وكذلك المشاعر والمعنويات والهوى والشهوات والعقل، حتى الإرادة البشرية تتغير وتتغير المفاهيم الفكرية وهذا ما يثبت أن القلب الطبيعي هو دماغ مصغر يتحكم بكل شيء، حتى أنه يتحكم بالدماغ الأساسي وذلك لوجود عشرات الألوف من الخلايا العصبية المتميزة والمتطورة في خلايا القلب التي تأمر الدماغ بإفراز الهرمونات وتنظيمها وتنظيم عمله وكأن القلب هو الكمبيوتر المغذي والمبرمج لكل الجسم، حتى أن مجال الحقل الكهربائي للقلب يؤثر على بقية أعضاء الجسم وخاصة على عمل الدماغ.

هذه الهالة الكهرومغناطيسية تتناظر مع بعض القلوب وتتجاذب مع الأخرى، وكلنا نشعر بهذا ونلاحظه حتى بدقات القلوب ويزداد التواصل مع الآخر أو النفور منه.

ألم يقل رسول الله ﷺ: ﴿الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ وَمَا تَنَاطَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الخطابي: ((الأرواح جنود مجنّدة، إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وأن الخير من الناس يحن إلى شكله، والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره، فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت))<sup>(٢)</sup>.

بهذه الدراسة التي قمت بها يتأكد لنا أن هذا القلب يحمل في خلاياه المتميزة جداً والمبرمجة بشكل لم يستطيع العلماء دراسته، أن حامله إن كان مؤمناً فإنه يملك قلباً سليماً أبيض لضعف وضمور العلقة المادية «حظ الشيطان» فتضمّر فيها لمة الإيعاز بالشر وتقوى لمة الإيعاز بالخير، وتتمو شجرة القلب النقية بالإيمان والأخلاق الحميدة وثمارها «الكلام الطيب والعمل الصالح» قال تعالى:

○ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ 24 ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ابراهيم/24-25.

أما الكافر فإنه يحمل قلباً أسوداً قاسياً لعدم سقايته من نور الإيمان، فتتمو فيه لمة الإيعاز بالشر لتملاً القلب كله المشحون بشجرة خبيثة من الكفر والحقد والكره والطبائع السيئة الماكرة وحب الهوى والشهوات والمعصية، فثمارها هالكة، فلا قول ولا عمل صالح، قال تعالى:

○ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ابراهيم/26.

<sup>1</sup> - رواه مسلم برقم/2638.

<sup>2</sup> - الأدب المفرد للبخاري ص373.

ويشهد لهذا قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكْتَبَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِذَا زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المصطفين/14﴾<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث يؤكد على لزوم تعود المؤمن على الالتزام بالأخلاق الحميدة.

- الحياء كذلك، مطبوع في جبلة الإنسان والحياء شعبة من شعب الإيمان<sup>(٢)</sup>.
- عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ. قال: ﴿مَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

تعالوا ننظر إلى تأثير البيئة على الإنسان ومزاولة ومعاودة التخلق بخلق حسن.

عن أم الدرداء قالت: (( قام أبو الدرداء ليلة يصلي، فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسن خُلُقِي فحسن خُلُقِي، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق؟ فقال: يا أم الدرداء إن العبد المسلم يحسن خلقه حتى يدخله حسن خلقه الجنة، ويسيء خلقه، حتى يدخله سوء خلقه النار))<sup>(٤)</sup>.

○ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ محمد/17.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿الْمُؤْمِنُ غَرُ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ حَبُ لَيْئِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.  
 وإثبات أن النفس المؤمنة تقترب أكثر وأكثر لما يحب الله ويرضى فتتوسم هذه الصفات الخيرة بنور الإيمان والقرآن وبإشرافه العقل، فيتعود المؤمن على فعل

<sup>1</sup> - أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة الربيعي القزويني: سنن ابن ماجه، رقم/4234.

<sup>2</sup> - قال ﷺ: ﴿الإيمان بضغٌ وستون شُعْبَةً، والحياء شُعْبَةٌ من الإيمان﴾، أخرجه البخاري برقم/9.

<sup>3</sup> - أخرجه الترمذي برقم/1974.

<sup>4</sup> - أخرجه أبو داود رقم/3855/وصححه الألباني.

<sup>5</sup> - أخرجه أبو داود برقم/4790.

الخير، وهذا ما يؤكد تأثير المنهج الرباني على توجيه الإنسان ودفعه باتجاه الطريق المستقيم فيألف الطاعة ويحبها ويتعود عليها .

وفي الحديث النبوي الشريف: ﴿الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ﴾<sup>(١)</sup>، وإذا اعتادت النفس فعلاً ما من أفعال الخير حصل له نور في قلبه، وأن يشرح به صدره، فلا يأتي فعل ثانٍ إلا وفي النفس له القبول.

هذا في عادة الله في أهل الطاعة، وعادة أخرى جارية في الناس، أن النفس أقرب انقياداً إلى فعل يكون عندها فعل آخر من نوعه، ومن هنا كان ﷺ يكره أضداد هذا ويحب ما يلائمه، فكان يحب الرفق ويكره العنف، وينهى عن التعمق والتكلف والدخول تحت ما لا يطاق حمله، لأن هذا كله أقرب إلى الانقياد، وأسهل في التشريع للجميع<sup>(٢)</sup>.

وعنه ﷺ قال: ﴿وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ، يُعْفَهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِي يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ، يُصَبِّرَهُ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

واليكم بعض الآيات التي تدل على عملية الوسم النوراني الإيماني للصفات والطباع للمؤمن لكي يعتاد عليها بعد أن زاولها مراراً وتكراراً...

البداية نور الإيمان:

○ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الزمر/22.

<sup>1</sup> - سنن ابن ماجة .

<sup>2</sup> - الحافظ إبراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات في بيان مقاصد الكتاب والسنة والحكم والمصالح الكلية الكامنة تحت آحاد الأدلة ومفردات التشريع والتعريف بأسرار التكليف في الشريعة ج2، ص52.

<sup>3</sup> - رواه البخاري برقم/1469/ومسلم برقم/1053/.



○ قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ النور/40.

○ قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾

الروم/50.

هذا القلب هو محل نظر الله عز وجل لأنه وعاء لكل المعتقدات والصفات السلوكية المجبولة في جبلة الإنسان، فجعله قلباً سليماً أبيض نقياً، لكي تصل إلى الله عز وجل غانماً وسعيداً.

فتعالوا معاً ندخل إلى القلب ونعدد المراكز التي بداخله... وسنلاحظ دائماً هناك لكل شيء إيجابي يقابله السلبي، فمن أشرب هواه دواعي الشر والخبث والمعصية أسود قلبه ومن أنكر هذه الدواعي وابتعد عن المعصية وسوء الخلق كان قلبه أبيض سليماً.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿تُعْرَضُ الْفَتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عوداً عوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أَشْرَبَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلَ الصَّفَا قَلْبًا تَضُرُّهُ فَتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مَرِياداً كَالْكُوزِ مَجْحِيماً لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُ مَنكراً إِلَّا مَا أَشْرَبَ مِنْ هَوَاهُ﴾<sup>(1)</sup>.

بهذا البحث يتأكد لنا أن القلب أمير البدن وبصلاح الأمير تصلح الرعية ويفساده تفسد، لهذا جعل قلب النبي صلى الله عليه وسلم أبيض القلوب وأنقاها وجبل بأحسن الأخلاق وهذا ما أكده الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/4.

فتعالوا نحسن أخلاقنا بإرادة التعويد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ﴾، بأن يكون ضمير المؤمن ووجدانه هو صوت الواعظ العقلي في قلبه يصدق ويرشده

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم برقم/144.

لعمل الواجب وفعل الخير، ويمنعه من عمل المنكر، عندها يشعر بالسعادة وراحة البال.

أسئلة مطروحة:

- ✓ هل تعتقد أن في القلب مراكز لكل شيء؟.
- ✓ هل صحيح بأن القلب أمير البدن كيف ولماذا؟.

تعالوا معاً نتابع....

## الفرع الثاني

### القلب أمير البدن

**جميلة** المعتقدات والأحاسيس والمشاعر والسلوكيات والمعارف لها مراكز في القلب والتي تحتوي على زوج أحدهما ظاهر والآخر ضامر، هذا التآرجح بينهما يميل إما إلى كفة الخير وإما إلى الشر، لكن المعتقد الإيماني للمؤمن يطغى على الكثير من المراكز الدافعة إلى المعصية، لأنه نور من الله تعالى فأسألوا الله أن تكون لمة الإيعاذ بالخير هي القوية والسائدة، فتعالوا نبداً:

القلب مركز الإيمان والكفر:

○ قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَانٍ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْأَعْصِيَانُ﴾ الحجرات/7.

○ قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ الحجرات/14.

○ قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ النحل/22.

○ قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل/106.

○ قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ المجادلة/22.

● القلب مركز الخير والشر:

- قال تعالى: ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ الأنفال/70.
- قال تعالى: ﴿وَلِيْمَحْصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آل عمران/154.

● القلب مركز البر والإثم:

- حديث شريف: ﴿إِنَّمَا مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ وَخَشِيَتْ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾<sup>(1)</sup>.
- قال بعض السلف: ((الإثم حواز القلب)).

● القلب مركز التقوى والنفاق:

- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ الحج/32.
- قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ الحجرات/3.
- قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ التوبة/77.
- حديث شريف: ﴿التَّقْوَى هَا هُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾<sup>(2)</sup>.

● القلب مركز الطمأنينة والرعب:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/28.

<sup>1</sup> - رواه أحمد برقم/18023/ومسلم/2553/.

<sup>2</sup> - رواه مسلم برقم/2564/.

○ قال تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الأنفال/12.

○ قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الأحزاب/26.

○ قال تعالى: ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ الحج/54، أي تطمئن وتسكن.

● القلب مركز اليقين والظن والريبة والشك:

○ قال تعالى: ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ الأعراف/2، أي شك.

○ قال تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة/110.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رِيبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ التوبة/45.

● القلب مركز الحب والبغض:

حديث شريف: ﴿أَوْتِقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>.

● القلب مركز الهداية والضلال وإنكار الحق:

○ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ التغابن/11.

○ قال تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ النحل/22.

---

<sup>1</sup> - رواه أحمد بن حنبل في مسنده.

○ قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ النساء/155.

● القلب مركز العلم والمعرفة والجهل:

○ قال تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة/93.

○ قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ العنكبوت/49.

● القلب مركز الثبات (رياضة الجأش) والتقلب:

○ قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الكهف/14.

○ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ الفرقان/32.

○ قال تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ القصص/10.

○ قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور/37.

○ حديث شريف: ﴿يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ وَأَهْلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اتَّخَافُ عَلَيْنَا وَقَدْ أَمَّنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتُ ۖ قَالَ: أَنْ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا﴾<sup>(1)</sup>.

● القلب مركز الهداية والإزاغة:

○ قال تعالى: ﴿مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ التوبة/117.

○ قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَدْرَهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأنعام/110.

<sup>1</sup> - أخرجه أحمد بن أحمد في مسنده.

○ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ آل عمران/8.

● القلب مركز الأمن والخوف والرغبة:

○ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ سبأ/23.

○ قال تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحشر/13.

● القلب مركز السكينة والقلق:

○ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ الفتح/4.

● القلب مركز انشراح الصدر وضيق الصدر:

○ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ الحجر/97.

○ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ الزمر/22.

● القلب مركز الصدق والكذب:

○ قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ الفتح/11.

○ قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ آل عمران/167.

● القلب مركز الشح والبخل والكرم:

- حديث شريف: ﴿حَصَلَتَانِ لَأَيَّجَتَمَعَانِ فِي مُؤْمِنِ الْبَحْلِ وَسَوْءِ الْخَلْقِ﴾<sup>(١)</sup>.
- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: ﴿لَأَيَّجَتَمَعُ عُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانٌ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا، وَلَا يَجْتَمَعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا﴾<sup>(٢)</sup>.

● القلب مركز التواضع والتكبر والأنفة والتعصب والتسامح:

- قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾  
الفتح/26.

○ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾ غافر/35.

- قال تعالى: ﴿فَأَجْعَلِ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ إبراهيم/37.

● القلب مركز اللين والقساوة والفضاظة والغلظة:

- قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمُ﴾ الحج/53.

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾  
البقرة/74.

- قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران/159.

<sup>1</sup> - أخرجه الترمذي في سننه برقم/1962.

<sup>2</sup> - أخرجه الترمذي برقم/1633، والبخاري الأدب المفرد برقم/283.



○ قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ﴾  
الزمر/23.

● القلب مركز إرادة الخطأ والصواب (الحق والباطل):

○ قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ  
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ الأحزاب/5.

○ قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ  
قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة/225.

● القلب مركز السرائر والخفايا:

○ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ غافر/19.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فاطر/38.

● القلب مركز الخشوع والوجل والرحمة والرأفة وعكسها القساوة:

○ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ الحديد/27.

○ قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحديد/16.

○ قال تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الحديد/16.

● القلب مركز الطهارة والنقاوة والإصغاء والاستماع والاستجابة للحق  
وعكسه مركز الطبع والختم:

○ قال تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرَ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الأحزاب/53.

○ ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم/4.

- قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين/14.
- قال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ البقرة/7.
- قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي آذَانِنَا وَقَدْ﴾ فصلت/5.
- قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر/35.
- وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

● القلب مركز التشفي والغيظ والغضب والحقد والكراهية والغل والاشمئزاز والعكس هو:

مركز الحب والتآلف والاستبشار والود والطهارة:

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر/45.
- قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ الأحزاب/53.
- قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ الأعراف/43.
- قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال/63.

<sup>1</sup> - رواه مسلم في صحيحه برقم/2564.

○ قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ آل عمران/103 .

○ قال تعالى: ﴿وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ التوبة/14 .

○ قال تعالى: ﴿وَيُدْهَبَ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة/15 .

○ قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ الحشر/10 .

○ قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ محمد/29 .

○ قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ 14 ﴿ وَيُدْهَبَ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة/14-15 .

○ قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ الحشر/14 .

● القلب مركز الأمانة والخيانة:

○ حديث شريف: ﴿أُنزِلَتِ الْأَمَانَةُ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ﴾ .

○ حديث شريف: ﴿يَنَامُ الرَّجُلُ النُّوْمَةَ فَتَقْبِضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ﴾<sup>(1)</sup> .

القلب مركز النفاق والإثم واللغو ومركز النقاء وسلامة السريرة:

<sup>1</sup> - رواه الحاكم في مستدركه .

○ قال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة/77.

○ قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ البقرة/283.

○ قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ 88 ﴿إِنَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء/88-89.

○ قال تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ الأنبياء/3.

إذاً القلب أمير البدن إن صلح صلحت كل الرعية «الجوارح» وإن فسد فسدت الرعية.

فتعالوا نقرأ هذا الحديث الشريف كيف أكد رسول الله وجود لمتان في القلب لمة الخير من الله تعالى ولمة الإيعاذ الشر من وسوسة الشيطان.

قال رسول الله ﷺ: ﴿فِي الْقَلْبِ لِمَتَانِ لِمَةٌ مِنَ الْمَلِكِ إِيْعَازٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلِيَحْمَدِ اللَّهَ وَلِكَمَةِ الْعَدُوِّ وَإِيْعَازٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخَيْرِ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾<sup>(1)</sup>.

وسوف يتطرق المؤلف للكشف العلمي الذي يؤكد وجود مورثات سلوكية في قلب الإنسان، في الفرع الأول من البحث الثالث عشر بعنوان «معجزة الكلمة القرآنية

عند الاستماع والانصات لها»، ص343.

<sup>1</sup> - أخرجه الترمذي في سننه.

### أسئلة مطروحة:

- ✓ ما معنى أمانة التكليف الشرعي وما علاقته بالعقل؟.
- ✓ ما هي خواص النشاط العقلي.
- ✓ ما معنى الإدراك العقلي؟.
- ✓ ما معنى الفهم العقلي؟.
- ✓ ما معنى أن العلم والمعرفة أداة العقل؟.
- ✓ ما معنى الوعي العقلي؟.



## العقل وأمانة التكليف الشرعي

**أعظم** أمانة وتكريم من الله عزّ وجلّ منح الإنسان من بين كل المخلوقات بعد أن سخر له الأرض بما فيها منحه العقل وهو أداة المعرفة ومناطق التكليف، فيلزم المكلف بمعرفة ربه معرفة يقينية مؤيدة بالأدلة النقلية والمترافقة مع الأدلة العقلية، عندها يختار هذا الإنسان طريق الهداية لأنها توصله لربه سالماً غانماً وجنة عرضها السموات والأرض.

والتكليف اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع، والتكلف المحمود هو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً ويصير كلفاً به ومحبباً له، وبهذا النظر يستعمل التكليف في تكلف العبادات<sup>(1)</sup>.

وكل التكاليف التي أقرها الشرع سهلة التطبيق ويدركها كل صاحب تكليف، فما لا قدرة لمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعاً،

○ قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة/286.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 441.

فلو كانت شاقّة ومعقدة ما دخلها إلا أصحاب الفهم والدراية ((فإن السالك في أول الأمر يجد تعب التكاليف ومشقة العمل لعدم أنس قلبه بمعبوده فإذا حصل للقلب روح الأنس، زالت عنه تلك التكاليف والمشاق فصارت قرة عين له، وقوة ولذة، فتصير الصلاة قرة عينه، بعد أن كانت عالة عليه، ويستريح بها، بعد أن كان يطلب الراحة منها، فله ميراث من قوله ﷺ:

○ ﴿أَرْحَنًا بِالصَّلَاةِ يَا بَلَاءُ﴾ .

○ ﴿وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ﴾ .

بحسب إرادته ومحبته وأنسه بالله سبحانه<sup>(1)</sup>.

إن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم، حتى يكونوا عباداً لله وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة لكانت كما قال تعالى:

○ ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾

المؤمنون/ 71<sup>(2)</sup>.

العاقل يحمي نفسه من عذاب الله ويزكيها بطاعته، والجاهل يبيعهها لهواها لتقع في عذاب الله، يقول ﷺ: ﴿كُلُّ النَّاسِ يَغْدُوا فَبَائِعٌ لِنَفْسِهِ فَمَعَتَقَهَا أَوْ مَوْبِقُهَا﴾<sup>(3)</sup> والخسارة العظيمة أن يخسر العبد نفسه يوم القيامة.

<sup>1</sup> - ابن قيم الجوزية: تهذيب مدارج السالكين، ص 369.

<sup>2</sup> - الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي، الكتاب الأول، جزء الثاني، ص 23.

<sup>3</sup> - صحيح مسلم، رقم/ 2682.



إن بعض النفوس المريضة والحاملة للعقول الواهية سولت نفوسها الأمانة بالسوء تحريف بعض التكاليف الشرعية وخاصة العملية إلى منحى آخر باتجاه المفسد في أصول العقيدة مما يؤدي إلى انحراف بالأعمال وفسادها .

أدى لظهور جماعات منحرفة متطرفة تنادي بالغلو الديني قال ﷺ: ﴿هَلَكَ الْمُتَتَبِعُونَ فَمَا لَوْ﴾، وحذر رسولنا الكريم ﷺ من هذا الأمر حيث قال لابن عمر: ((دينك دينك، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا، ولا تأخذ عن الذين مالوا))<sup>(1)</sup>.

#### ومن مقومات التكليف:

- تسخير الأرض للإنسان لكي يعيش حياة كريمة.
- العقل هو أداة المعرفة ومناطق التكليف، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ الإنسان/2، ابتليناه بالتكاليف فأعطيناه العقل، وبهذا أقام الله عز وجل على البالغين الحجة.
- الفطرة التي تعيد الإنسان إلى ينبوع التوحيد: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ الروم/30.
- الشهوة التي يكون العقل ضابطها وتصرف بالأمر النافعة كشهوة النساء وتصرف بالزواج.
- حرية الاختيار التي بها يقرر العمل فيما جنة أو نار.
- المنهج والشريعة الربانية التي تضبط مسيرة الحياة فيما أحل الله وحرّم.

---

<sup>1</sup> - علاء الدين علي المنتقى بن حسام الدين الهندي والمشهور بـ المنتقى الهندي: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، عن ابن عمر.

- الوقت والحفاظ عليه وإنمائه بالعمل الصالح لنيل رضا الله وجنة عرضها السموات والأرض، فالعاقل يستغل كل لحظة لعمل الخير والأحمق الذي يفقد عمره عبثاً.

○ قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ البقرة/148.

والماضي من العمر لن يعود والمتبقي لا يعلم مدته إلا الله.

قال الحسن البصري: ((ما من يوم ينشق فجره إلا ينادي: يا بن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني فأني لا أعود إلى يوم القيامة)).

وللوقت أهمية عظيمة في حياة المسلم وأقسم الله به لأهميته قال تعالى:

○ ﴿وَالْعَصْرِ ﴿1﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿2﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ العصر/1-3.

فالعاقل أشد الناس لنفسه أخذاً، لأنه عرف شرف الوجود وعقل أمانة التكليف، فحدد طريقه بالبوصلة الإيمانية وسعى لتحصيل أفضل الخيرات لنفسه وللآخرين وجاهد في تحصيل ثمرة الحياة بالعلم والعمل وتطبيق شرع الله ليكون من سعداء الدنيا والآخرة، والمكلف العاقل مأمور بحفظ الضروريات الخمس:

بحفظ دينه اعتقاداً وعملاً، بحفظ ماله لاستمرار حياته.

بحفظ عقله لفهم وإدراك ووعي المنهج الرباني الذي وصل إليه عن طريق الرسل.

بحفظ نسله لإعمار الأرض، ويحفظ الوقت للاستفادة في إعمار الأرض.

وعنه عليه السلام قال: ﴿اعْتَمَّ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَصَحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاعَكَ قَبْلَ شُعْلِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَغَنَّاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 العاقل يستغل صحته في القيام بالتكاليف الشرعية، فرأس ماله الواجبات والفرائض، والربح في النوافل والطاعات فمن يريد زيادة ماله فعليه بالامتثال لأوامر الله في الواجبات والفرائض ومن يريد زيادة الربح فعليه بالنوافل والقربات، حتى يصبح من «المقربين» وهم الفائزين بأعلى الدرجات التي خص بها الله عباده الصالحين.

ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي: ﴿وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِأَحَبِّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَهُ عَلَيَّ وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحْبَبْتَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن عطاء الله: ((من عاملته بالدنيا وعاملك بالمن، كيف لا تحبه؟! من عاملك بالكرم وعاملته باللؤم كيف لا تحبه؟! إياك أن تخرج من هذه الدار وما ذقت حلاوة حبه))<sup>(٣)</sup>.

هذا هو العاقل الذي أوعى وأدرك معنى أمانة التكليف الشرعي ((الشرعية جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكييف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال كتكاليف الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد، والزكاة، وغير ذلك مما شرع ابتداء على غير سبب ظاهر اقتضى ذلك أو لسبب يرجع إلى عدم العلم بطريق العمل، كقوله تعالى:

<sup>1</sup> - رواه الحاكم في مستدركه.

<sup>2</sup> - البخاري: كتاب الأحاديث الصحيحة، حديث قدسي، ص 80.

<sup>3</sup> - أبي الفضل أحمد بن محمد المعروف بـ ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، ص 299.

○ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ البقرة/219.

○ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ البقرة/219<sup>(1)</sup>.

هذه الشريعة السمحة في حالة من الاعتدال والتوازن الرائع، تشعر المكلف بالتقرب منها حباً وعشقاً، لكن الخطورة كل الخطورة من يأخذ من الشريعة ما يهوى، بل ويحاول أن يحرفها عن مسارها الطبيعي.

فيخرج من عبادة الله إلى عبادة هواه، ومقصود الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه وانطوائه تحت عبادة الله الواحد وفق حكم الله وتنفيذ أوامره ونواهيه:

○ ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ

الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص/26.

والوحي يرفض الهوى مطلقاً لأنهما متعاكسان كلياً.

○ قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿3﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ النجم/3-4.

فالمكلف عليه تطبيق ما جاء من الوحي بكامل التسليم والإذعان والوجل:

○ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿40﴾ ﴿فَإِنَّ

الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات/40-41.

شريعة سمحة ورب غفور رحيم....

وباب رفع الحرج عن المكلف واسع، وعنه قال ﷺ: ﴿عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُ حَتَّى تَمَلُّوا﴾.

<sup>1</sup> - الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي، ج2، ص90.

إضافة لمشروعية الرخص كرخص القصر في الصلاة والجمع عند السفر:

- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ النساء/29، إنه دين يسر.
- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ النساء/29.
- قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ النساء/107.



## خواص النشاط العقلي

**بعد أن** تكلمنا عن العقل وأمانة التكليف الشرعي سنتحدث عن خواص النشاط العقلي وهي:

- خاصية الإدراك العقلي.
- خاصية الفهم العقلي.
- خاصية الوعي العقلي.
- خاصية التمييز العقلي.
- خاصية التفكير العقلي.
- الصفات الضابطة للنشاط العقلي.
- خاصية الإرادة العقلية.





## الفرع الأول

### الإدراك العقلي

**معنى** أدركته إذا طلبته فلحقته، وأدرك الغلام بلغ الحلم، وأدركت الثمار نضجت، وأدرك الشيء بلغ وقته،... ويقال: ((أدركت جماعة من العلماء إذا لحقتهم ومدارك الشرع مواضع الطلب الأحكام، من حيث يستدل بالنصوص، والاجتهاد))<sup>(1)</sup>.

لهذا يبدأ التكليف عندما يدرك الغلام ويبلغ الحلم.

ويدرك العلم والمعرفة، وهو الذي أراده الحارث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل: ((إنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء))، وبوابات المعرفة الإدراكية الخمسة هي التي تستقبل المعلومات عما يجري من حولها فيعيها ويدركها العقل ويتدبرها، لكن هل العقل يدرك كل شيء؟، يقول الشعراوي: ((إن العقل ليس إلا وسيلة إدراك، مثله مثل العين، ومثل الأذن، فهل ترى عينك كل ما يمكن أن يرى؟ طبعاً لا، لأن للرؤية بالعين قوانين وحدوداً، فإن كنت بعيداً بمسافة كبيرة عن الشيء فلن تراه، ذلك أن العين لا ترى أبعد من حدود الأفق)).

---

<sup>1</sup> - المرقئ: معجم المصباح المنير، ص 123.

وكل إنسان يختلف أفقه حسب قوة بصره، فهناك من أنعم الله عليه ببصر قوى وحاد، وهناك من هو ضعيف البصر، ويحتاج إلى نظارة طبية تساعده على دقة الإبصار.

فإذا كانت للعين «وهي وسيلة إدراك المرئي» حدود، وإذا كانت للأذن، وهي وسيلة، إدراك الأصوات بحد المسافة الموجية للصوت، فلا بد أن تكون هناك حدود للعقل، فمنه ما يمكن أن تفهمه، وهناك ما لا يمكن أن تفهمه والرسول ﷺ قال عن آيات القرآن: ﴿مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِهِ﴾.

فلا يجوز التماذي والانفصال عن الوحي فيتخبط صاحبه كما إذا مسته الشياطين، وغرور العقل بشرد بصاحبه إلى التيه، وهذا ما حلّ بالفلاسفة والملاحدة الذين اعتقدوا اعتقادات واهية وقبلتها أنفسهم.

فالإنسان بحواسه التي يملكها لا يمكن مطلقاً إدراك أي شيء عن الغيبيات فما بالكم بصاحب الغيب وهذا ما أكدته القرآن الكريم:

○ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى/11.

ومهما اتسعت الملكات العقلية فسيظل محدوداً في قدراته وطاقته، ولن يستطيع أن يدرك كل الحقائق مهما أوتي من قدرة و طاقة على الاستيعاب والإدراك... وإذا ما حاول الخوض فيما لا طاقة له، فسيعرض صاحبه للالتباس والتخبط...

يقول الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام: ((إن الله جعل للعقول في إدراكها حداً تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلاً إلى الإدراك في كل مطلوب، ولو كانت كذلك لاستوت مع الباري تعالى في إدراك جميع ما كان وما يكون وما لا يكون)).

فالغيبيات التي لا تقع تحت مدارك العقل لا مجال له أن يخوض فيها، كما دلت عليه النصوص الشرعية كمعرفة حقيقة صفات الله تعالى، وتفصيل أمور الملائكة

والجن والروح والقيامة والجنة والنار ونحو ذلك فالعقل البشري لا يهتدي إلى تفاصيل تلك الغيبيات إلا بالرسالة والوحي، وكذلك التعرف إلى تفاصيل التعبدات واستبانة وجه الحكمة فيها، وعلى هذا نفهم عبارة الإمام علي كرم الله وجهه: ((لو كان دين الله بالرأي لكان باطن الخف أحق بالمسح من أعلاه، ولقد رأيت رسول الله ﷺ يمسخ هكذا بأصابعه يعني أعلى الخف))<sup>(1)</sup>.

إذاً العقل له حدود معينة للإدراك يتعطل بعدها الإدراك والفهم والعلم وحادثة موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف خير مثال على محدودية الإدراك العقلي للإنسان.

والعقل لا يدرك من الله إلا ما يلهمه إياه قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ البقرة/255.

فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا العلم لكي نتمكن من زيادة القوة الإدراكية العقلية. في الختام نسأل؟

لماذا ندرك الحقيقة... عندما يدب فينا الهرم؟ لماذا هذا التأخر في إدراك حقيقة الاستخلاف، وحقيقة يوم الحساب ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ﴾ النمل/66.

لماذا أضعنا وقتنا بأحداث تافهة... وهمية... نقاشات عقيمة... جلسات استعراضية... حتى بلغت الغفلة منا أبعد مداها؟ فلنجعل وعينا وإدراكنا لفهم ما يدور من حولنا باكراً في شبابنا لا في هرمنا فلنستيقظ من غفلتنا... ولنغير ما بأنفسنا لإنارة عقولنا قبل فوات الأوان ولنستعد ليوم الرحيل.

---

<sup>1</sup> - عبد الله بن صالح العجيبي: ينبوع الغواية الفكرية غلبة المزاج الليبرالي وأثره في تشكيل الفكر والتصورات، ص 501 - ص 504 بالتصرف.



## الفرع الثاني

### الفهم والاستيعاب العقلي

**الفهم** هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحس، يقال فهمت كذا:

○ قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ الأنبياء/79.

إما بأن جعل الله له من فضل قوة الفهم ما أدرك به ذلك، وإما بأن ألقى ذلك في روعة أو بأن أوحى إليه وخصه به<sup>(1)</sup>.

والعرب إنما سمة الفهم عقلاً لأن ما فهمته قد قيدته وأوعته، بالفعل وضبطته.

○ وقول الله عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ طه/13.

قال فخر الرازي: ((فيه نهاية الهيبة والجلالة، فكأنه قال: لقد جاءك أمر عظيم هائل فتأهب له، واجعل كل عقلك وخاطرك مصروفاً إليه))<sup>(2)</sup>.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد سئل: ((هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس؟)) فقال: لا، والذي خلق الجنة وبرأ النسمة، إلا فهماً يؤتاه الله عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة، وكان فيها العقل، وهو الديات، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر)).

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 388.

<sup>2</sup> - تفسير صفوة التفاسير للصابوني، ص 703.

فالفهم نعمة من الله على عبده، ونور يقذفه الله في قلبه، يعرف به، ويدرك ما لا يدرك غيره ولا يعرفه، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره، مع استوائهما في حفظه وفهم أصل معناه<sup>(1)</sup>.

الفهم هو حسن تصور المعنى، واستعداد الذهن للاستنباط، يقال: ((فهمت عن فلان وفهمت منه))، لكن لا يقال أدركت عن فلان.

ويتضح من تعريفات الفهم أنه العملية الأكثر عمومية والتي تنطوي على الإدراك وليس العكس، أي أن الفهم هو العملية النهائية التي تبدأ بالإدراك وتنتهي بالفهم أو الاستيعاب، هذا مما يعني أن الإدراك والفهم مختلفان لكنهما غير منفصلين وعليه فإن أكثر الباحثين يرون أن عملية الفهم تتكون من ثلاثة جوانب هي:

1- إدراك الكلام (أي تمييز أصوات الكلام).

2- فهم التراكيب (أي فهم قواعد النحو أو بناء اللغة).

3- فهم الدلالة الذي يعنى بفهم المعنى في اللغة- الاستيعاب<sup>(2)</sup>.

لتوضيح أكثر، ما معنى أن نقبل دعوة لحضور محاضرة عن شيء ما، أي أن المحاضر سيتحدث لكي يعبر عن معنى أفكاره في المحاضرة والمستمعون يانصاتهم وإدراكهم لكلامه وفهمهم لبناء اللغة ودلالاتها يستطيعون أن يكتشفوا معنى ما يقوله المحاضر، وكل من الحضور فهم الأفكار واستوعبها وأدركها بطريقته حسب

---

<sup>1</sup> - ابن قيم الجوزية: التفسير القيم، ص44.

<sup>2</sup> - د. جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، عدد رقم/145، ص80 - 84 بالتصرف.

فهمه للمعنى وحسب استقباله الصور الذهنية في عقله فتتبلور الفكرة على أساسها .

تعالوا معاً ندرس مثال آخر: كيف يفهم القرآن الكريم؟.

لا يمكن أن يفهم القرآن إلا بأن يكون وعاء العلم وهو القلب في حاله حضور عقلي مدركاً وواعياً لاستقباله وشرطه الأساسي فهم لغة القرآن «اللغة العربية» وخاصة الفهم العقلي لها دور هام في استيعاب المنهج الرباني التي أوكلت مهمة إنجازه وفهمه لأهل العقول السليمة لكي يصلون إلى السعادة في الدارين ولا يتم إلا بالتفقه والدراسة والاجتهاد والاستنتاج والتمحيص لفهم الأحكام والأوامر لكي تكون جاهزة ومحفوظة بشكل صور ذهنية لترجم إلى أقوال وأفعال لكي يستطيع المؤمن العاقل تطبيقها وتنزيلها دون تجريب أو تبديل على أرض الواقع، فهو بحاجة إلى لغة غنية بمعاني الكلمات لبناء صور ذهنية تساعد على تشكيل خيال خصب لبناء الأفكار لتشكل لاحقاً مفاهيم راسخة في قلب المؤمن وهذا لا يمكن إلا مع لغة القرآن، اللغة العربية .

فمن يحفظ القرآن يكون لديه ملكة التصور الذهني وخصوبة التخيل على كثير من أقرانه لكثرة حفظه وفهمه لمسمى ومعاني الكلمات التي تزيد عن الآلاف من الكلمات والمسميات الجديدة، وهذا خزان ضخم يحفظ ويحضر في الذاكرة العقلية طويلة الأمد، لهذا اعتاد السلف على تحفيظ أطفالهم القرآن الكريم منذ الصغر، شرط المتابعة والمداومة، وعليه فالقرآن الكريم تكفل بحفظ اللغة العربية من الضياع، وتكفل لحافظة نتيجة اكتسابه الألف من معاني أو المسميات بزيادة الفهم والاستيعاب وخصوبة الخيال لكثيرة الصور الذهنية عند حفاظه وبذلك تغلو مفاهيمهم وأفكارهم عن أقرانهم الذين يتكلمون العامية التي تقل الكلمات المتداولة عن ألف كلمة فتشع عندهم معاني ومسميات الكلمات مما تضمحل لديهم تشكل الخيال والصور الذهنية لبناء المفاهيم .

عرّف "ابن جنى"، اللغة بأنها: ((أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم أي المعاني والدلالات التي يراد بها نقلها من المتكلم إلى المستمع باستخدام الأصوات المنطوقة أو المكتوبة))، ومعنى هذا أن اللغة هي الوسيلة التي تقرب بين البشر بواسطة النطق والسمع<sup>(١)</sup>.

إذاً البداية من البوابات المعرفة الإدراكية السمع والبصر في حالة ترقب لاستقبال هذا العلم وفهمه:

○ وعنه ﷺ قال: ﴿لَيْسَ الْمُخْبِرُ كَالْمُعَايِنِ﴾<sup>(٢)</sup>.

○ وقيل: ((العين مرآة القلب)).

إن كلاً منهما له خاصية فضل بها الآخر، فالمدرك بالسمع أعم وأشمل والمدرك بالبصر أتم وأكمل، فالسمع له العموم والشمول والبصر له الظهور والتمام وكمال الإدراك<sup>(٣)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

الإسراء/36.

قال ابن عباس: ((يسأل الله العباد فيما استعملوا هذه الثلاثة: السمع والبصر والفؤاد والله تعالى أعطى العبد السمع ليسمع به أوامر ربه ونواهيه وعهوده، والقلب ليعقلها ويفقهها، والبصر ليرى آياته فيستدل بها على وحدانيته وربوبيته، وعليه لفهم القرآن الكريم بحاجة لإنصات واستماع وتسجيل ما

<sup>1</sup> - د. جمعة سيد يوسف: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، ص 67.

<sup>2</sup> - رواه أبو حاتم محمد بن أحمد ابن حبان: صحيح ابن حبان، وأحمد في مسنده.

<sup>3</sup> - ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ص 129.



يقال))، وفي الأثر: ((دونوا العلم بالكتابة))، وبالتركيز ليعبد الشرود، والتذكر مع الحفظ عندها يستتار القلب بفهم هذه العلوم:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق/37.

○ ((قال مجاهد وغيره "لمن كان له قلب" أي عقل يتدبر به، فكفى بالقلب عن العقل لأنه موضعه))<sup>(1)</sup>.

○ قال ابن عطية: ((القلب هنا عبارة عن العقل إذا هو محله))<sup>(2)</sup>، (وهو شهيد) أي حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب)<sup>(3)</sup>.

هذا هو الفهم العقلي وشرفه من شرف علومه ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف/76.

هو نعمة من الله تعالى ونور يعطي لحامله رؤى بعيدة المدى لأن يفهم الواقع والمستقبل وبعين البصيرة ويدرك ويستوعب ما لا يستوعبه الآخر.

وهذا ما حدث عندما سأل عمر بن الخطاب ابن عباس رضي الله عنهم عن سورة الفتح فقال له: "أنها نعي الله سبحانه لنبيه إلى نفسه وقرب أجله".

وكذا كتاب عمر لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ((الفهم الفهم فيما أدلي إليك)).

وفي الختام يتبين لنا مما تقدم أن اللغة هي مفتاح لفهم العلوم والمعرفة وأساسها الكلمة وهي اللبنة الأساسية لبناء اللغة لاستيعاب الفهم.

**تعالوا معاً نتابع....**

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، الجزء التاسع، ص17.

<sup>2</sup> - ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، ص203.

<sup>3</sup> - الكشاف للزمخشري، ج4، ص338.

## الكلمة مرآة فهمك:

الفهم هو فهم المعنى من الكلمة، ومجموعة الكلمات تعطي معلومة والمعلومة يستفاد منها لبناء الصور الذهنية لعملية الفهم، فالكلمة هي الوسيلة الأولى لعملية التواصل، وامتلاك زمام المبادرة، بالكلمة تحدد شخصيتك... تحدد فهمك للموضوع.

بالكلمة تحدد دينك... تحدد مسار حياتك.

بالكلمة تحدد طموحك وأهدافك... بها تتكون الأفكار والمعتقدات وتترسخ في عقل صاحبها لتدفعه دفعاً لحمايتها.

والكلمة القرآنية لها سلطانها وطاقاتها الإيجابية، وجعل الله سبحانه وتعالى تلاوة القرآن عبادة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

○ ﴿مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ أَلَمْ حَرْفٌ بَلْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ﴾<sup>(١)</sup>.

○ عن يعلى بن شداد قال: ﴿حَدَّثَنِي أَبِي شَدَادٌ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ غَرِيبٌ، يَعْنِي: أَهْلَ الْكِتَابِ؟، قُلْنَا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: فَأَمَرَ نَغْلِقَ الْبَابَ، وَقَالَ: ارْضَعُوا أَيْدِيَكُمْ، وَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" فَرَفَعْنَا أَيْدِينَا سَاعَةً، ثُمَّ وَضَعَ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ وَإِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ، ثُمَّ قَالَ: "أَبْشَرُوا: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ"﴾<sup>(٢)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه الترمذي وصححه الألباني.

<sup>2</sup> - رواه أحمد والطبراني وأبو بكر أحمد بن عمرو البزاز.

وقوة الكلمة وسلطانها تأتي من قائلها :

○ قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي

فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الأعراف/144 .

○ وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْوَاجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ

شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُدُوءًا بِأَحْسَنِهَا﴾ الأعراف/145 .

الكلام هو وسيلة الإبانة عما في النفس من معارف ونصائح ورغبات شتى وتفهم ذلك للآخرين، ولا شك أن الله سبحانه متصف بصفة الكلام، فقد ورد أنه سبحانه كلم موسى، ونطق القرآن بأنه (القرآن) كلام الله، فمصدر الكلام المسموع عنه تعالى لا بد أن يكون شأنًا من شؤونه، وصفة من صفاته جل وعلا، ولا شك أن الله سبحانه عليم بكل شيء بما كان، وما هو كائن الآن، وما سيكون في المستقبل إلى ما شاء الله وما يدل على هذا العلم من كلمات لا نهاية لها كذلك، ألا ترى أن أحدنا في مباشرة أعماله المحدودة يحتاج إلى قاموس من الألفاظ، فما ظنك برب العالمين، الخالق لهذه الكائنات، الحاكم لها، والمدبر لأموها والمنظم لشؤونها، ألا يكون كلامه عز وجل من السعة والاستبحار على النحو الذي يقول الله تعالى فيه:

○ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي

وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف/109 .

وإن اتصاف الله سبحانه بالكلام والتكليم هي إحدى صفاته الملازمة لكماله وجلاله ومتى ما شاء تكلم بها إلى من يشاء<sup>(1)</sup>:

وتأثير الكلمة على النفس البشرية تفعل الأعاجيب، فالذين يملكون ملكات قيادية يكون تأثيرهم قوي على الآخرين، لذا جميع جيوش العالم لديها إدارة تسمى إدارة التوجيه المعنوي مهمتها الأساسية رفع معنويات الجنود المنهارة خاصة في زمن الحروب.

<sup>1</sup> - الشيخ عبد المجيد الزنداني: توحيد الخالق، ص35، ج3.

ماذا تعني كلمة رفع معنويات؟ أي رفع مستوى الطاقة الكامنة في داخلهم وتحويلها من طاقة سلبية منخفضة إلى إيجابية مرتفعة، ولا يتم ذلك إلا بشحنهم بأفكار وصور ذهنية إيجابية رافعة لمعنوياتهم، وما الصور الذهنية إلا كلمات.

مثال عن الطاقة السلبية للكلمة:

الصور الذهنية المترسخة في العقل ما هي إلا مجموع كلمات فمنهم من يحمل ظنوناً وأوهاماً ومعتقدات باطلة هي بالحقيقة عبارة عن كلمات سلبية ومعلومات خاطئة وصلت إليهم بصور ذهنية باطلة تتحول رويداً رويداً إلى مفاهيم خاطئة يتشربها العقل الواهي فتترسخ في قلوبهم، ومنهم من يمكر بالمعلومة فيغيرها ويكذب بها لمآرب أخرى، لماذا الله عز وجل عاب بعض أحبار اليهود ووصفهم بأنهم لا يعقلون فلو دققنا النظر في الآية الكريمة:

○ قال تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ  
مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة/75.

أي والحال قد كان طائفة من أحبارهم وعلماؤهم، يتلون كتاب الله ويسمعونه بيناً جلياً، ويغيرون آيات التوراة بالتبديل أو التأويل، من بعد ما فهموه وضبطوه، لا عن خطأ أو نسيان<sup>(1)</sup>.

والكلمة الطيبة تلقى صداها في نفوس الآخرين وتعمل عملها قال رسول الله ﷺ: ﴿الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ سَدَقَةٌ﴾ هذه كلمة فما بالكم عندما نطبق سنة رسول الله في زيارة المرضى، ماذا يحدث للمريض وكم صورة ذهنية تصله.

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 60.

في البداية: دخولنا إلى غرفة المريض يشعر بالارتياح لأنه استقبل صورة ذهنية بصرية بمجيء أحبابه وصورة، ذهنية سمعية بسماع أصواتهم وصورة ذهنية لمسية بمصافحتهم إياه.

هذه الصورة الذهنية تستقبل من العين والأذن واللمس وهي البوابات المعرفة الإدراكية، وتحلل معطياتها في قشرة المخ وتتنوع على مراكز الدماغ والاحتفاظ بها لكنها تفعل فعلها في القلب (المريض) الذي يحمل مشاعر الامتنان والسرور لزيارة الأحباب.

ولقد أثبت حديثاً أنه يوجد توافق في لغة تركيب المورثات ولغة تركيب الحروف «الرموز» وما الكلمات إلاذبذبات صوتية تعطي طاقة وتؤثر وتعيد تفعيل الشيفرة الوراثية «DNA» بشكل إيجابي مما يؤثر على طرح مواد كيميائية وعلى رأسها الدوبامين.

فتدخل السرور والبهجة بل والطمأنينة إلى قلبه لهذا كان ديننا سباق للاهتمام بالمسكين والمريض لرفع طاقتهم الإيجابية بنشوء صور ذهنية عندهم تشعرهم بقربهم من الآخر وحب الآخر لهم وتزداد سعادتهم بكلمة طيبة من الآخر، وهذه السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم لله فترجو الله فيهم.

فالكلمة لها دور هام في رفع الطاقة الإيجابية وأرقى هذه الكلمات وأعظمها سحراً كلمات القرآن الكريم وهو أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما جدّ فيه الطالب وهو أشرف العلوم والمعرفة.

**فتعالوا معاً نعرف أهم آلة للعقل... العلم والمعرفة.**



## الفرع الثالث

### أداة العقل

#### «العلم والمعرفة»

**العلم** إدراك الشيء بحقيقته، وأشرف ما رغب فيه الراغب، وأفضل ما طلب وَجَدَ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب، لأن شرفه يثمر على صاحبه، وفضله ينمي عند طالبه:

○ قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر/9.

فمنع سبحانه المساواة بين العالم والجاهل بما قد خُص به العالم من فضيلة العلم:

○ قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزِفُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت/43.

فنفى أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً، أو يفهم فيه زجراً، ويتعلق بالدين علوم قد بين الشافعي رحمه الله فضيلة كل واحد منها، فقال: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه نبيل مقداره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن تعلم الحساب جَزُلَ رأيه، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال يحيى بن خالد لابنه: ((عليك بكل نوع من العلم فخذ منه، فإن المرء عدو ما جهل وأنا أكره أن تكون عدو شيء من العلم)).

فينبغي لمن استدل بفطنته على استحسان الفضيلة، واستقباح الرذيلة أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم، وقد قيل: ((كل عز لا يوطده علم مذلة، وكل علم لا يؤيده عقل مضلة)).

لهذا قيل أن العلم والعقل سعادة وإقبال، وإن قلَّ معهما المال، وضائق معهما الحال، وقيل في منشور الحكم: كم من ذليل أعزه علمه، وكم من عزيز أذله جهله<sup>(1)</sup>، والعقل يحرس العلم والمعرفة والمعتقدات من الانفلات، فبقدر عقل المرء تكون عبادته.

وأعظم وأفضل العلوم علوم القرآن:

○ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محمد/19، فبدأ بالعلم، وهذا العلم هو أشرف العلوم على الإطلاق.

العلم نوعان: النوع الأول علمٌ جلي، يدرك بالعيان، أو باستفاضة صحيحة، أو صحة تجربة قديمة أي أن هذا العلم الجلي ثلاثة أنواع:

1) إما وقع عن عيان وهو البصر.

2) ما استند إلى السمع، وهو علم الاستفاضة.

3) ما استند إلى العقل وهو علم التجربة.

ولا تتحصر طرق العلم فيها، فإن سائر الحواس توجب العلم، إذ يلحق بها ما يدرك بالباطن، وهي الوجدانيات، وكذا ما يدرك بخبر المخبر الصادق، وبالفكر والاستباط.

---

<sup>1</sup> - أبو الحسن علي بن محمد الشهير بـ الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص 32 و40 و42 و49 و50، بالتصرف.



والنوع الثاني من العلم ما يسمى المعرفة تنبت في القلوب الطاهرة ولا تحمل هذه القلوب إلا الأبدان الزاكية، التي زكت بطاعة الله، ونبتت على أكل الحلال، فقبلت بذور العلم والمعارف، فإن سقيت بمدد من الشرع والسنة المحمدية، أنبتت العلم والحكمة<sup>(1)</sup>.

○ والعلم النافع ينبت الفكر الصائب فما بالكم بعلوم القرآن والسنة إنه نور من الله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ النساء/174.

○ ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ الأعراف/157.

به ينمو ويصوب فكرنا وإدراكنا ووعينا والدين لا ينصر بالجهل والقساوة وإقصاء الآخرين بل ينصر بالعلم والمعرفة والكياسة عندها يتفتح العقل بنور العلم ويزهر ثمراته:

○ ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة/11.

وهذا الفكر هو الدعامة الأساسية لبناء المفاهيم، فينضج فكراً نيراً يبني الإنسان المؤمن العاقل بفكر سليم لا تطرف فيه ولا ضلال فشرف العلم يرفع منزلة العقل وقيمة حاملة، وعنه ﷺ قال: أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتِهِ.

وطريق العلم ممدود والسباق فيه مرغوب ومع هذا يظل الإنسان قليل العلم:

○ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ الإسراء/85.

○ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/232.

---

<sup>1</sup> - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قَيِّم الجوزية: تهذيب مدارج السالكين، ص434.

والمراد نفي كماله، لأن الإنسان له علم، لكن لنقصان علمه نفي الله عنه العلم، فإذا كان الله يعلم، ونحن لا نعلم فإن مقتضى ذلك أن نستسلم غاية الاستسلام لأحكامه سبحانه وتعالى، وأن لا نعارضها بعقولنا مهما كانت، ولهذا ينفي الله عز وجل على الكفار والمشركين عدم العقل، وكل من خالف الشرع فليس بعاقل<sup>(١)</sup>.

هنيئاً للمؤمنين العاقلين الذين أعزهم الله بعلمه وأذل أعداءهم بجهلهم.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وعلينا جميعاً أن ننهل من أهل العلم والمعرفة وعنه ﷺ قال: ﴿الْعُلَمَاءُ وَرِثَةُ النَّبِيِّاءِ﴾<sup>(٣)</sup>.

لذا وجهنا الله عز وجل أن نسأل أهل القرآن وأن يكونوا قدوتنا:

○ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل/43.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿فَضَّلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي حَجَرِهَا لِيَصِلُونَ «أَيَّ يَدْعُونَ» عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ﴾<sup>(٤)</sup>.

---

<sup>1</sup> - تفسير القرآن الكريم للشيخ ابن عثيمين، المجلد الثالث، ص 142.

<sup>2</sup> - رواه مسلم وغيره.

<sup>3</sup> - أخرجه أحمد في مسنده.

<sup>4</sup> - رواه الترمذي والطبراني.

فأهل العلم فهموا وأدركوا عظمة الله عزّ وجل، وكل يوم تظهر اكتشافات علمية تزيد يقيناً عظمة الله تعالى في إبداع هذا الكون وإحكامه وإتقانه فيزدادوا خشوعاً وخشية منه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر/28. إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القديم أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر...، وقال مالك: ((إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب))<sup>(١)</sup>.

هذا العلم الباعث على العمل بل هو مما جاء من أدلة على أن روح العلم هو العمل، وإلا فالعلم عارية وغير منتفع به... عن أبي الدرداء: ((إنما أخاف أن يقال لي يوم القيامة أعلّمت أم جهلت؟ فأقول: علمت، فلا تبقى أية من كتاب الله أمرّة أو زاجرة إلا جاءتني تسألني فريضتها، فتسألني الأمره: هل اتّمرت؟ والزاجرة؟ هل ازدجرت؟، فأعوذ بالله من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع وقال ابن مسعود: إن الناس أحسنوا القول كلهم فمن وافق فعله قوله فذلك الذي أصاب حظه، ومن خالفه فعله قوله فإنما يوبخ نفسه))<sup>(٢)</sup>.

ويجب التماس العلم من أهل العلم بلطف ودوام المتابعة والتكرار.

لكي يصبح ملكة وسجية لهذا المتعلم وعنه ﷺ أنه قال: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ﴾<sup>(٣)</sup> وقالوا: ((والمزاوالت تعطي الملكات، ومعنى هذا أن من زاول شيئاً واعتاده، وتمرن عليه صار ملكة له، وسجية وطبيعة))<sup>(٤)</sup>.

<sup>1</sup> - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص145.

<sup>2</sup> - الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي، ج1 ص32-34.

<sup>3</sup> - رواه أبو الحسن علي بن عمر ويلقب بـ الدارقطني: سنن الدارقطني، وصححه الألباني.

<sup>4</sup> - ابن القيم: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص18.

فمزاولة العلم والتعود على متابعته يزيد المؤمن إثراءً ومعرفةً بالله إلى أن تصبح هذه المتابعة سجيةً وملكةً وطبعاً فيستقيم أمره ويزداد نور قلبه ويطمئن ويستكين بعلم الله إلى أن يصل إلى حبه وعشقه لخالق السموات والأرض:

○ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ النجم/42.

هذا النور الذي في قلب المؤمن العاقل تشرب النقل والسنة فيسلك العقل مسالك القرآن والسنة ويعمل بها ويتناغم معها .  
بهذا العلم نستطيع أن ندرك ونفهم فنصوب فهمنا وإدراكنا لكي نعي ما نسمع ونقول.

فتعالوا معاً ندرس خاصية الوعي العقلي.

## الفرع الرابع

### الوعي العقلي

هو شعور الإنسان بنفسه، فيعي ويفهم ويستوعب ويحفظ ما يسمعه ويشاهده ويحسه «حالة يقظة الوعي» أما فاقد الوعي فهو كالإنسان المغشى عليه لا يعي ولا يدرك ما يحيط به «حالة غفلة الوعي»، وعند استيقاظه نقول أنه وعي أي استوعب ما يجري وما يحدث أمامه، ويعي ما يبصره ويسمعه ويحسه.

○ قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الحاقة/15.

○ قال: ﴿رُبَّ مَبْلَغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ﴾<sup>(1)</sup>.

قال ابن عباس: ((حافضة سامعة، وقال قتادة: عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله، وقال الضحاك: سمعتها أذن ووعت، أي من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم ووعي))<sup>(2)</sup>.

يقال: ((وعيت الحديث وعياً، أي حفظته وتدبرته))<sup>(3)</sup>.

أي أفهم وأكثر استيعاباً، فعند اكتساب الإنسان العلوم المعرفية والثقافية والمهارات الفكرية يتم فهمها واستيعابها وحفظها لحين استرجاعها، يتم معنى وعيته في

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/67، جزء من الحديث.

<sup>2</sup> - مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ص539.

<sup>3</sup> - المقرئ: معجم المصباح المنير، ص418.

الذاكرة منها قصيرة الأمد الموجودة في الدماغ وأن توعى في القلب حيث يتم حفظ المعلومات الهامة والمتكررة والمعتقدات الإيمانية - ذاكرة طويلة الأمد .

○ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ الانشقاق/23.

○ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق/37.

قال مجاهد وقتادة: ((يكتمون في صدورهم))<sup>(1)</sup>، أي بما يعملونه وينونه سراً، فالله يعلم سرهم وجهرهم وسيجازيهم بأعمالهم<sup>(2)</sup>.

أي لب يضيء به، وقال مجاهد: ((وألقي السمع وهو شهيد))، أي استمع الكلام فوعاه، وتعقله بعقله وتفهمه بلبه، وقال الضحاك: العرب تقول: ((ألقي فلان سمعه إذ استمع بأذنيه))<sup>(3)</sup>.

عن عائشة قالت: ((الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ المجادلة/1، وفي رواية عنها أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء))<sup>(4)</sup>.

والوعي يختلف من شخص لآخر بسبب تجاربه واكتسابه للعلوم والمهارات فتتجلى شخصية الإنسان ويقظة وعيه وفطنته لفهم ما حوله ويكون حاضر القلب ليتبصر العقل فيعي العقل قضايا والأحداث مما ينشأ لديه تصورات ذهنية عميقة، تخوله

<sup>1</sup> - مختصر تفسير ابن كثير، ص 615.

<sup>2</sup> - تفسير السعدي، ص 932.

<sup>3</sup> - تفسير مختصر ابن كثير، ج 3، ص 455.

<sup>4</sup> - المرجع السابق، ج 3، ص 7 وص 455.

أن يعي لما حوله فيرى ما لا يراه الآخر، ويفهم ما لا يفهمه الآخر، ويدرك ما لا يدركه الآخر عندها يرتقي هذا العاقل بيقظة وعيه فتظهر لديه إمكانات واعية خلاقة ونظرة ثاقبة تؤثر على الآخر إما بالكلمة أو بالعمل الصالح فيربح خير الدنيا والآخرة شرط أن تكون نيته خالصة لله تعالى.

وقد أثبت العلم وجود خلايا متميزة ومتطورة جداً في القلب تعمل عمل الذاكرة وحفظ واستيعابات المعلومات وهي أكثر تمايزاً وعملاً من خلايا الدماغية المسؤولة عن الذاكرة قصيرة الأمد.

وتبين وجود تنسيق بين الخلايا السمعية الاستيعابية للأذن، والخلايا الاستيعابية التي تعمل عمل الذاكرة في القلب عن طريق العصب العاشر والمسمى العصب الحائر.

أما الصنف الآخر الذي انحرف وعيه عن الطريق واتبع هواه وغفل، بل وعزم على الكفر والعصيان ووطن قلبه أن لا يعي خيراً قط وقال عبيد: ((والشر أخبث ما أوعيت من زاد ويحسب نفسه أنه الأوعى والأفهم والأصح أعمالاً هذا الصنف هم الأخسرين أعمالاً حقيقية)).

○ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الكهف/103.

○ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ

صُنْعًا﴾ 104 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ

فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ 105 ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا

وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ الكهف/104-106.

## كيف يتشرب القلب الفتن:

قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عوداً عوداً، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أُنْكَرَهَا نُكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيضاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مِرْبَاداً كَالْكُوزِ مَجْخِيّاً لَّا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُ مَنكراً إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ﴾<sup>(1)</sup>.

مجخياً أي منكوساً، قال القاضي عياض رحمه الله: ((هو وصف آخر للقلب الأسود ومن أوصافه بأنه قُلْبٌ وَنُكْسٌ حَتَّى لَا يَعلُقُ بِهِ خَيْرٌ وَلَا حَكْمَهُ، وَمِثْلَهُ بِالْكُوزِ المَجْخِي وَبَيْنَهُ بِقَوْلِهِ: لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلَا يُنْكِرُ مَنكراً، قَالَ القَاضِي رَحِمَهُ اللهُ: شَبِهَ القَلْبَ الَّذِي لَا يَعِي خَيْراً بِالْكُوزِ المَنحَرَفِ الَّذِي لَا يَثْبِتُ المَاءَ فِيهِ.

وقال صاحب التحرير: معنى الحديث أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاص دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه الإسلام، والقلب مثل الكوز فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك))<sup>(2)</sup>.

فشتان بين من أوعى قلبه الإيمان، فكان نوراً يضيء عقله لفعل الخير والقلب المنكوس الذي لا يعي إلا الشر والمنكر فتكون ظلمة تهوي بالعقل إلى الردى، ويزداد وعي الإنسان بزيادة التجارب وتنوع المعارف ودراسة تاريخ الأمم البائدة والسائدة لأن التاريخ ذاكرة الأمة ووعاء قيمها وتراثها وأساس شخصيتها.

<sup>1</sup> - رواه مسلم برقم/144.

<sup>2</sup> - صحيح مسلم بشرح النووي، ج2، ص332.



وعليه تعطي دافعاً قوياً لتكوين العقل الإنساني الواعي فعلياً التمسك بأعظم موروث بالعالم قرآناً الخالد، فيه ذكر هذه الأمة والأمم السابقة.

لنعي ونفهم وندرك بعض الحقائق المستورة عن أعيننا وأسماعنا قال تعالى:

○ ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ السجدة/26.

"آيات الله فيعوها فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح وعقل رجيح، لم يقيموا على حالة يجزم بها بالهلاك"<sup>(1)</sup>.

لأن دراسة التاريخ والاعتبار من نتائجه يساعد على تعميق الوعي الثقافى والمعرفى للإنسان فلا يمرر وعينا أي أحداث إلا ونعيه ونفهم مغزاه وأبعاده ونتائجه.

وعي الإنسان يمر بثلاث مراحل حسب الفترة الزمنية:

○ قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ الروم/54.

المرحلة الأولى: البدء باكتساب الوعي من المحيط الأسرة والمدرسة والبيئة، فيتعلم دينه رويداً رويداً.

المرحلة الثانية: نضج الوعي وهي بداية مرحلة التكليف.

وهي مرحلة البحث عن التفكير بآيات الله المنظورة والمقروءة، وظهور علامات القوة قوة الشباب فالعاقل هنا يعي أن يكبح شهواته وأهوائه، وهنا يكون شرهاً جداً للبحث وحب الاطلاع وكلها تسهم في زيادة وعيه.

<sup>1</sup> - تفسير تيسير الكريم للسعدي، ص 663.

والجاهل ينساق وراء شهواته وحب ذاته والزهو بقوته فهو ووعيه كغشاء  
السييل.

المرحلة الثالثة: مرحلة الكهولة مرحلة مرض ونقصان وضعف جسمي ووهن  
نفسي.

وقد يدخل مرحلة الزهايمر إلا من رحمه ربه، في هذه المرحلة يشعر بفقدان قوته  
فتضعف فيه حب الأنا والزهو وحب العظمة ويشعر بأن الأجل قادم فيعي أكثر  
وأكثر أن أيامه قد قلت في هذه الدنيا فيتجه لخالقه.

فالإنسان العاقل الواعي عليه أن يربي أولاده على حب الله ورسوله وعلى التسامح  
وحب الآخر ورفض الغلو والأفكار المتطرفة التي تبث في إعلام التفكير الظلامي،  
عن طريق بعض المتطرفين فتابعوا أولادكم وانظروا ماذا يوعون.

تعالوا نتابع خاصية جديدة من النشاط العقلي هي التمييز العقلي.

## الفرع الخامس

### خاصية التمييز العقلي

**التمييز** الفصل بين المشتبهات نحو:

- ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ الأنفال/37.
- وفي المختلطات نحو: ﴿وَأَمَّا زُوا الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ يس/59<sup>(1)</sup>.
- ويقال: ((مازه يميزه ميزا- عزله وفرزه))<sup>(2)</sup>.

والفهاء يقولون: سن التمييز، والمراد: سن إذا انتهى إليها عرف مضاره ومنافعه وكأنه مأخوذ من ميزت الأشياء، وبعض الناس يقول التميز قوة في الدماغ يستتبط منها المعاني<sup>(3)</sup>.

وأهم ما يميز الإنسان عن بقية المخلوقات أنه سبحانه وتعالى نبه العقول على التمييز بين الحسن والقبيح، لكي يتم الانتفاع بالحسن ويتعد عن القبيح، وما الحسن إلا ما أحله الله وما القبيح إلا ما حرمه الله عز وجل، وضرب الله عز

---

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 481.

<sup>2</sup> - القاموس المحيط لفيروز أبادي، ص 523.

<sup>3</sup> - المقرئ: معجم المصباح المنير، ص 367.

وجل أمثلة كثيرة لكي ينبه العقول على التمييز بين استحسان فعل واستقباح فعل آخر، ولا يتم هذا إلا بعد معرفة وعلم.

**والأحمق:** هو الذي يجهل عيوب نفسه إما لقلة علمه وتميزه وضعف فكرته، وإما لأنه يقدر أن عيوبه خصال، وهذا أشد عيب في الأرض، ومن الناس كثير يفخرون بالزنا واللباظة والسرقة، والظلم، فيعجب بتأتي هذه النجوس له ويقوته على هذه المخازي<sup>(1)</sup>.

المؤمن العاقل أدرك وفهم بخاصية التمييز هذه أن عليه أن ينهي أنا النفس عن الهوى فيردعها عن الطبع الغضبي والشهواني والاستكباري والتسلطي والقهري وكلهم تحت موجب حب الهوى بتصميم وعزيمة فالحسن يمضيه والقبیح يردعه.

وقبائح الأفعال قد تكون نتيجة التقاليد الموروثة عن الآباء الذين لم يعقلوا فاقتدوا بهم قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ الزخرف/23. هؤلاء لم يميزوا الأفعال الحسنة من القبيحة كل شيء مقبول عندهم طالما اصطبغوا بتقليد آباءهم، فلم يكثرثوا لنتائجها، فخاصية التمييز عندهم ضحلة.

بينما العاقل يقوم بعملية التفكير وتحليل الأمور والمعطيات ودراستها واستبطان الحلول وتمييز الصالح من الضار بما يوافق شرع الله، بهذا التمييز تنقذ الصور الذهنية القابلة للحل لتكون نواة لفكرة صائبة لأي مشكلة دون أن يكون فيها غلواً بل توازناً مضبوطاً والرجوع إلى المنهج البين والواضح لكي يميز الحق عن الباطل المزيف والمزین:

○ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

محمد/14.

<sup>1</sup> - أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص106.

لهذا كان التمييز والتفريق بين استحسان الفضائل واستقباح الرذائل من مجاهدة النفس وغلبتها على طبائعها عندها تستكين النفس إلى بارئها خاشعة طائعة بعدما عقلت أوامره وعنه ﷺ قال: ﴿الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ﴾<sup>(١)</sup>.

فالكيس هو العاقل الذي استطاع أن يميز ما ينفعه، والعاجز رهوى نفسه ولهذا قيل: ((النفس كالشريك الخوان، إن لم تحاسبه ذهب بمالك نفسه)).

ولأجل هذا تعالوا ننقل إلى خاصية التفكير العقلي.

---

<sup>1</sup> - أخرجه أحمد في مسنده.



## الفرع السادس

### التفكير العقلي

#### «العقل وصراع الأفكار»

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

النحل/44.

إن التفكير المستقيم فريضة وعبادة وأخلاق لأن المؤمن العاقل مطالب بأن يعمل فكره في كل مناحي حياته وعبادته ليزداد سموً بالتفكير فيما أبدع خالق الكون عزّ وجل فيزداد معرفة وعبودية وخشية منه.

وقال بعض السلف: ((تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة وقال الحسن: تفكير ساعة خير من قيام ليلة)).

المؤمن العاقل أراح فكره بالتفكير عن سبب إيجاده على هذه الأرض؟ وكيف؟ ولماذا؟ وما معنى الموت والجنة والنار؟

لأنه آمن بالله عزّ وجل وأمن بالغيّب، على عكس الملحد الذي يدور في متاهات تساؤلاته الضالة.

إن القرآن الكريم حث المؤمنين على عملية التفكير بآيات الله المقروءة والمنظورة ليشاهد عياناً وإدراكاً عظمة خالقه فيعرفه.

○ ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿20﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾

الذاريات/20-21.

○ وفي الحديث القدسي: ﴿يَا بَنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غِنَى، وَأَسَدًا فَفَرَّكَ، أَلَا تَفَعَّلَ مَلَأْتَ صَدْرَكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَفَرَّكَ﴾<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: ((تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة، وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله تعالى: آبَنُ آدَمَ خَلَقْتَكَ لِعِبَادَتِي فَلَا تَلْعَبُ، وَتَكْفَلَتْ فِي رِزْقِكَ فَلَا تُتْعَبُ، فَأَطْلُبْنِي تُجِدْنِي، فَإِنَّ وَجِدْتِي وَجِدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنَّ فَتَكَ فَآتَكَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ))<sup>(٢)</sup>.

عبادة التفكير تزداد قوة بغرس الأفكار المستتيرة وتنميتها لكي تكون جذورها قوية وفروعها في السماء، فتنتج ثمار أعمال التفكير أعمالاً طيبة وسعادة وطمأنينة في الدنيا وفلاح وفوز بالجنة.

الأفكار هي التي تصنع التقدم الحضاري، فعلى عاتق المعلم والأسرة دور هام في تنمية القدرات التفكيرية عند الأطفال إلى ما بعد سن البلوغ كالفهم والاستيعاب والتحليل وتدوير الزوايا لحل أي مشكلة، والتنبؤ، وإفهامهم: كيف يخططون لمستقبلهم بالتخيل صور ذهنية مستقبلية لكي تبدأ الفكرة تظهر ويجاهدون في تطبيقها وكل هذا لا بد من المعرفة والاطلاع لاكتساب العلوم فأول ما نزل على رسول الأمة من القرآن مخاطباً العقل:

○ ﴿فَرَأَى بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق/1.

أليست الآية التالية واضحة جلية للدعوة إلى التفكير في خلق وإبداع الله عز وجل والبداية منك أيها الإنسان:

○ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ العلق/2.

<sup>1</sup> - أخرجه أحمد والترمذي.

<sup>2</sup> - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص381 وص384.



وكلما تعمقت في المعرفة والنظر العقلي في إبداع ما خلق الرحمن وتفكرت في مخلوقاته سترقى ويكرمك الله المزيد من المعرفة فتزداد يقيناً على يقين وبترسخ إيمانك بالله:

○ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ العلق/3.

فكان إكرام الله للإنسان ابتداءً أكرمه بالعقل، فعلى المؤمن العاقل أن يتفكر بكل أمر يعرض عليه وألا يتحدث قبل التفكير به واستخلاص نتائجه وقد ميز الإمام الشافعي نوعين من الإيمان: الأول إيمان المتفكرين وهم أهل العلم والمعرفة الذين يتفكرون بعقولهم:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر/28، الثاني إيمان العوام وهم عامة الناس.

ماذا تعني كلمة التفكير:

مادة "التفكير" تكررت في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعاً كلها بصيغة المضارع "تفكرون" (يتفكروا-يتفكرون)، إلا في موضع واحد جاءت بصيغة الماضي لأن التفكير هو المحرك الأساسي لجميع نشاطات الإنسان لكي تظهر الفكرة أعمالاً.

الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكير جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي: ((تَفَكَّرُوا فِي آيَاءِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ))، إذ كان الله منزهاً أن يوصف بصورة، ورجل فكير كثير الفكرة، ويستعمل الفكر في المعاني وهو فرك الأمور ويحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن لـ الراغب الأصفهاني، ص386.

والفكر: تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعاني، ويقال الفكر: ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً<sup>(١)</sup>.

ويقال: ((فكر في الأمر، يفكر، فكراً: أي أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم))<sup>(٢)</sup>.  
والفيلسوف الفرنسي ديكارت قال جملة الشهيرة: ((أنا أفكر، إذأ أنا موجود)).

### كيف تتشكل الفكرة:

نتاج لمجموعة عناصر ومعلومات تظهر بانطباعات حسية (صور ذهنية خيالية) تصقل وتزداد تألقاً بروافد العلوم المعرفية وكثرة التجارب، لهذا كانت قوة التفكير تتناسب طردياً مع درجة العلوم المعرفية.

### التفكير العقلي:

هو استرجاع في ما تعلمناه وتعرفنا عليه ثم أوعيناه في داخلنا كصور ذهنية استقبلت عبر البوابات الإدراكية المعرفية للحواس، فعندما نسمع الأصوات والأقوال أو نقرأ ما يكتب فإننا نتعامل مع اللغة التي هي الرموز كإشارة إلى الأشياء، واستحضار الأحداث والأشخاص، ولذا يعرف التفكير بأنه تجربة ذهنية وليست تجربة فعلية يدرك فيها الإنسان بعض الملاحظات فيربط السبب بالنتيجة والعلة بالمعلول ليصل إلى قناعة لحالة ما، أو حدث ما، أو استفسار ما ينتج حلاً لها.

---

<sup>1</sup> - المقيس: معجم المصباح المنير، ص 298.

<sup>2</sup> - معجم الوسيط: إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة فكر.

## أدوات بناء الفكرة:

1- استعداد العقل بالمعرفة والعلم، يساهم في نشوء صور ذهنية مولدة للفكرة.

2- خصوبة الخيال العقلي وما يسمى بالإلهام الفكري.

3- أن تكون الفكرة قابلة للتنفيذ على أرض الواقع.

الصور الذهنية: هي تصور شيء في الذهن يخيل هذا الشيء، وله أنواع منها صور حسية بصرية، فإذا كنت تنظر إلى قصر جميل، أغمض عينيك فإنك تستطيع تخيله وتصوره في ذهنك، هذه هي الصورة الذهنية الحسية البصرية.

فكر بأمك لحظة، تستطيع أن تسمع صوتها وأن تراها كصورة ذهنية سمعية بصرية حسية.

إذا كنت جائعاً ستفكر بالرجوع للمنزل لأكل اللحم، فبخيالك تتذوق اللحم «صورة ذهنية ذوقية حسية»، وكثرة الصور الذهنية تدل على وفرة معاني الكلمات وكثرة حفظ الذكريات والأحداث السابقة.

الإلهام - الوحي - الرؤيا الصادقة - حديث المرء مع نفسه - الخاطرة:

وهي أهم المحفزات الهامة في عملية بناء الأفكار وتجديدها.

الإلهام: وهو من الله عز وجل قد يكون إلهام بفعل الخير وكان رسول الله ﷺ يدعو: ﴿اللَّهُمَّ أَلْهَمْنِي رَشْدِي وَفُتْنِي شَرِّ نَفْسِي﴾<sup>(1)</sup>.

هذا الإلهام قد يكون إيهاء أو وعظ ولا يعطى إلا للمؤمن ﴿وَأَعْظُ اللَّهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ﴾<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه الترمذي، برقم/3483.

<sup>2</sup> - رواه الترمذي برقم/2859، جزء من الحديث.

الرؤيا الصادقة: قال ﷺ: ﴿لَمْ يُبَقِّ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ قِيلَ: وَمَا الْمُبَشِّرَاتِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، يَرَاهَا الْمُؤْمِنُ أَوْ تَرَى لَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

عندها يتحفز المؤمن على بلورة الفكرة التي قد تتحول إلى عمل شرط النية على إمضاء الأمر.

أحياناً تظهر صور ذهنية اقتحامية وسواسية في أذهاننا، ونستعيز بالله من الشيطان الرجيم منها .

وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

هذه الوسوسة والتخيلات الواهية في النفس لا معنى لها تظهر نتيجة الغفلة لكثرة الذنوب، وتتضاءل مع كثرة الاستغفار والإنابة إلى الله.

أما الوحي في اللغة (هو الإعلام السريع الخفي، ويقال في فعله، وحي، وأوحي)<sup>(٣)</sup>.

يقال للكلمة الإلهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي وذلك إما برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي في صور معينة، وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله وإما بإلقاء في الروع كما ذكر عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ، نَفَثَ فِي رَوْعِي﴾، وإما بإلهام نحو:

○ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ القصص/7.

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/6990.

<sup>2</sup> - رواه البخاري، برقم/2528.

<sup>3</sup> - ابن القيم: التفسير القيم، ص42.

○ وإما بتسخير نحو قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ النحل/68.

أو بمنام كما قال عليه الصلاة والسلام:

○ ﴿انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ وَالْإِلْهَامُ وَالنَّسْخِيرُ وَالْمَنَامُ﴾<sup>(1)</sup>.

بعد أن تتشكل الصورة الذهنية نتيجة مشكلة ما حدثت أمامك، حديث سمعته، خاطرة وحلم راودك تجارب سابقة تمثل عشرات الأنواع من الصورة الذهنية في أذهاننا، يتم حفظها في الذاكرة وموقعها في الدماغ، والتي تكون متكررة وذات أهمية اعتقادية تفرز إلى الذاكرة طويلة الأمد وموقعها في القلب وترسخ فيه وتلعب القشرة الدماغية دوراً هاماً في تحليل المنبهات والمعلومات الواردة وفرزها وتبيانها ووضعها في مراكز التابعة لها فالإنسان قادر على تكوين المفاهيم العامة والتصورات، يقول العالم بافلوف: ((عندما يتعلم الطفل التكلم فإن نطق وسماع كلمة معينة (الليمون) يترافق بمنبهات مختلفة، تظهر عند التعرف على هذه المادة - المنبهات البصرية - السمعية - الشمية - الذوقية، فالتهيح الناتج في قشرة الدماغ عند لفظ الكلمة، فإن الإشارات والمعاني من الكلمات المنفردة لا تستقبل معزولة وإنما بشكل إجمالي، فتركب الكلمات جملاً بسيطة، ومن أعقد فأعقد ويتعامله مع الكلمات، يستطيع الإنسان بسرعة واختصار تقبل وتقديم إشارات عديدة، مما يحدد إمكانية العلاقة الواسعة بين الناس))<sup>(2)</sup>.

فالناس بهذه الكلمات يستطيعون تشكيل أفكارهم وذلك ضمن جملة مفيدة تعطي صورة ذهنية فتتجمع لتشكل فكرة والأفكار تتجمع لتعطي ما يسمى المدركات

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص530.

<sup>2</sup> - فاسيلي تاتارينوف: تشريح وفيزيولوجيا الإنسان، دار مير للطباعة، ص373-374.

مشكلة المعتقد أو المفاهيم والتي هي محصلة المؤثرات معرفية علمية لهذا الشخص وتتطبع في قلبه معتقداً راسخاً وهذه المفاهيم والمعتقدات قد تكون صحيحة أو منحرفة فيصطبغ بها الإنسان، فالفكر المنحرف الساقط ما هو إلا ما صورته النفس الأمارة بالسوء التي أغراها شيطانها وذاتها المتكبرة عندها تظهر لصناعة الأفكار المتطرفة الشيطانية.

وأخطر ما يواجه الشباب هي عملية غسل العقول بحيث يتم التحكم بالصور الذهنية المعرفية والسلوكية للإنسان والسيطرة عليها قد تكون بالإقناع أو التلقين المستمر القسري لهم.

فتتولد أفكار معلبة جاهزة رويداً رويداً تؤدي لتغير المفاهيم بعد برهة من الزمن، فيساقون كقطيع الغنم بدون أدنى فهم أو تفكير مثال: نسمع كثيراً عن جماعات تؤمن بالشعوذة وسيطر عليهم رجل غامض يأتهمرون بأمره، إلى أن يأمرهم بالانتحار الجماعي كما حدث في مدينة جونز تاون الأميركية كانت أدواته أنه يحمل فكراً متطرفاً استطاع أن يوصله لعدد من الناس فساروا مع الخداع الجماعي فتأثروا به وأقنعهم بمعتقداته وتلاعب بهم كما يتلاعب الصبية بالكرة، إلى أن دعاهم لعملية الانتحار الجماعي فنفذوا الانتحار.

ومنهم من يأمر أتباعه بقتل الآخرين وقتل أقاربهم لأنهم خارجين عن الصراط المستقيم؟ بخطاب تحريضي متطرف يعتقدون بأنهم يملكون صكوك الغفران، وصكوك من هو من المسلمين ومن هو من كافرين!.

هؤلاء هم المارقون عن الإسلام الذين ينشرون الرعب والخرافة والكذب على أتباعهم، ومن الناس من يؤمنون بفكرهم فيصدقون الخدعة ويسيروا مع تنظيمهم السري المخادع الماكر ولهم مآرب أخرى لا تمت للدين بشيء فكل إناء بالذي فيه ينضح.

هي أفكار متطرفة ليست لها جذور في أرض الإسلام، يعتقدون أنهم على صواب وغيرهم على باطل فيعملون أعمالاً مريية زينتها نفوسهم المريضة الجاهلة.

○ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زِينَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا﴾ فاطر/8.

والمصيبة أعظم، فمنهم من يملك هذه الصفات عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رَجُلٌ يَخْتَالُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يُلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّانِّ فِي اللَّيْلِ، أَلَسْتَهُمْ أَحَلَى مِنَ السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَبِي يَفْتَرُونَ أَمْ عَلَيَّ يُجْتَرُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلَيْكَ مِنْهُمْ فِتْنَةً، تَدْعِي الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانًا﴾<sup>(1)</sup>.

إن تأثير أصدقاء السوء على الفرد خطير للغاية وقد يصل به الأمر إلى تصديقهم واتباعهم، وهذه سياسة التفكير التبعية القطيعي، أي أنهم يتبعون ما يقال لهم دون أي تعقل ورشاد فالخوف كل الخوف من الذناب الضالة التي تفتك بشبابنا .

من هنا فإن محركات التفكير المنحرف ستفرز إرادة سلبية سيئة لأهل الجهل والحمق وما تحمله من أهواء وأفكار هابطة وبالتدرج تصبح معتقداً راسخاً في داخله ويدافع عنه بشراسة، بل وقد يهلك نفسه اعتقاداً منه بصواب رأيه وفكره وهذا ما حصل للوليد بن المغيرة الذي ألغى عقله وتاجر بذكائه لمصلحته فوقع في شر أعماله:

○ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿18﴾ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿19﴾ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾

المدثر/18-20.

<sup>1</sup> - رواه الترمذي.

فالذين أَلغو عقولهم وتشربت قلوبهم أفكاراً منحرفة شيطانية جاهلون بشرع الله، فسولت أنفسهم الأمانة بالسوء أمراً وهاجت شهواتهم الشيطانية وأهواؤهم الدموية على عقولهم الواهية فتأثروا وأثروا بالآخرين، فازدادوا تعصباً ودموية وغايتهم سفك الدماء التي حرم الله قتلها، إلا بالحق.

○ قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة/32.

وهذا انحراف للفطرة السليمة، فيا أيها الآباء والأمهات انتبهوا إلى أولادكم وبناتكم من هم أصدقاؤهم؟، تابعوهم، اهتموا بمشاكلهم، راقبوهم، مخافة العدو من الأفكار المتطرفة التي تقضي عليهم لأن ظاهرة الغلو والتطرف والعنف ما هي إلا أمراض وبائية إذا انتشرت قد تصيب الإنسان السليم بها لقربه وتماسه مع حاملها ولقلة مناعته.

فاحذروا يا أهلنا وانتبهوا إلى أولادكم، هم أكبادكم فنحن بحاجة ماسة إلى تفعيل عملية التفكير المستقيم خوفاً من انزلاقهم في مزالق التفكير المنحرف التسلطي وحثهم على بناء الأفكار السليمة التي تضعهم في طليعة الناس لأنه بالأفكار السليمة تصنع الحضارة.

فتعالوا معاً ننشط مهارات التفكير لأولادنا وعمليات الفهم والتحليل وتدوير الزوايا لحل المشكلات لكي يصنعوا آلية أخذ القرار، هذا هو بداية التفكير الإبداعي المستقيم السليم بعيداً عن الأهواء المنحرفة.



## كيف تبني الأفكار الجديدة:

كما عرفنا أن الأفكار تترسخ في داخلنا ونحاول العمل على تنفيذها نتيجة الميل لها ورغبة وعزيمة نفسية شديدة.

فإذا تم تنفيذها أصبحت كحالة ثم تتحول إلى عادة ثم إلى ملكة متأصلة فينا حتى تصبح طبعاً وسلوكاً.

فهل من الممكن تغير العادات السيئة من داخلنا؟! كعادة التدخين - حالة الغضب السريع- حالة اللامبالاة والأناية - حالة تسلط فكرة اقتحامية وسواسية - الجواب نعم بإذن الله.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد/11.

1- قرار وتصميم داخلي - عامل نفسي صارم - برغبة في تغير هذه العادة - بحاجة لصور ذهنية جديدة لتشكيل الفكرة للعمل على تطبيقها.

2- كبح الرغبة القديمة - الميل النفسي - لتخفيف مزاولة العادة القديمة.

3- متابعة التصميم على هذا التغير وحث النفس على التغير - عامل سلوكي.

4- الصبر على هذا التغيير بأدوات مساعدة - الأهل - البيئة - بعض أفلام اليوتيوب سيؤدي حتماً إلى عملية التغير، ﴿وَمَنْ تَصَبَّرْ يَصْبِرْهُ اللَّهُ﴾<sup>(1)</sup> وللأصدقاء دور هام حيث يدعمون الفكرة الجديدة.

5- إن تكرار المنع يؤدي إلى ظهور عادة معاكسة.

إذاً بالإصرار والتصميم على التغير والتعود بالتدريب والصبر تتحول العادة إلى سلوك جديد وبالتكرار الدائم تصبح ملكة.

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/1469/ومسلم برقم/1053/جزء من الحديث.

لذا قالوا: ((المزاوالت تعطي الملكات، ومعنى هذا أن من زاول شيئاً، واعتاده وتمرن عليه، صار ملكة له، وسجية وطبيعة، وقالوا: والعوائد تنقل الطبائع، فلا يزال العبد يتكلف التصبر حتى يصير الصبر له سجية، كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات، حتى تصير له أخلاقاً، بمنزلة الطبائع<sup>(١)</sup>).

6- يزداد شعور الإنسان بأنه بدأ يتغير وإرضاء للذات بحاجة للمتابعة والمجاهدة وعنه عليه السلام قال: ﴿أَفْضَلُ الْجِهَادِ مُجَاهِدَةَ النَّفْسِ﴾<sup>(٢)</sup>.

التفكير المستقيم بحاجة لتفعيل هذه الأسس:

- 1- إعادة قراءة التاريخ وإزالة السموم الموضوعية فيه.
- 2- فهم فقه سنن التغيير، فالإسراف والانحلال الفكري واللامبالاة يساوي تماماً التطرف والغلو فلا بد من العودة إلى الاستقامة ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾ هود/112.
- 3- التجديد في الخطاب الديني ضمن المفاهيم العقلانية.
- 4- الاعتصام بالله وكتابه وسنة رسوله: ﴿وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران/101، فالاعتصام بالله والتوبة النصوحة تظهر علاماتها على حاملها فينقلب رأساً على عقب ويزداد رهبة وخوفاً من خالقه لأن الخوف يتناسب طردياً مع الإدراك فقد أدرك وأوعى المؤمن بأن ربه سيحاسبه على كل شيء قال تعالى:

<sup>1</sup> - ابن القيم: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص18.

<sup>2</sup> - د. ماهر بايزيد: لنين منظومتنا الأخلاقية، ص196.

○ ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ق/45، بهذا تظهر علامات النفس اللوامة ومحاسبتها لحاملها .

5- عندها تبدأ اليقظة من الغفلة والشعور بالمسؤولية ويستعيد العقل عافيته فتبدأ الأفكار المعتدلة بالظهور لتزيح جنوح الهوى الفكري المنحرف والشهوات الماجنة وهذا بحاجة لرجال وأئمة من أهل الاعتدال يحبون الله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ المائدة/54.

عندها تكون كفة الميزان لصالح الفكر المستقيم الحداثي المعتدل الذي يعتمد على التربية الأسرية والمدرسية وعلى دعاة للسلام لا دعاة للإرهاب الفكري المتسلط. هذه المراجعة النقدية يجب أن تكون مستمرة لكي تتقى وتصفى الصور الذهنية المعلقة بصور ذهنية يقظة لتكون أفكاراً سليمة تظهر سلوكاً مستقيماً .

فالعاقل يصطبغ بمعتقداته الدينية الوسطية والمتوازنة غير المشوشة فتكون أفكاره ذات تأثير طاقي إيجابي له ولغيره، ولفعل الخير وإصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهكذا أهل التقوى تتألف قلوبهم كخلية نحل.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ﴾<sup>(1)</sup>.

○ وعنه ﷺ: ﴿الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ﴾<sup>(2)</sup>

بهذا الحديث سندخل إلى أن العاقل عليه أن يميز عيوب نفسه لضبط جنوح الهوى وحب الشهوات التسلطية فبعد أن درسنا الصفات الأساسية للنشاط العقلي من

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/13 .

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/10 .

الوعي والإدراك والتمييز والفهم والتفكير لا بد من دراسة الصفات الفعلية للنشاط العقلي ألا وهي الضبط العقلي.

تعالوا معاً نتابع....

## الفرع السابع

### الصفات الضابطة للنشاط العقلي

**الضبط** صفة عقلية فعلية ((ضبط الشيء حفظه بالحزم))<sup>(١)</sup>.

الضبط العقلي: هو كالخفير يقوم بحراسة النفس وضبطها من فلتان هواها وشهواتها لأن النفس تحمل أطباعاً شتى، كالطبع الاستكباري والغضبي والانحرافي، والاستعلائي، الريائي، فيقوم العقل الضابط بفلترة الآراء والأفكار والتصرفات النفسية لكي ترتقي ليصل بها إلى أعلى العليين يقول الجنيد يرحمه الله ((الإنسان لا يعاب في طبعه، إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه))<sup>(٢)</sup>.

النهي صفة عقلية:

- النهي وهي العقول لأنها تنهى عن القبيح<sup>(٣)</sup>.
- نهيه عن الشيء نهاء نهياً فانتهى عنه، والنهية: العقل.
- لأنها تنهى عن القبيح، والجمع نهى، قال الله تعالى:

---

<sup>1</sup> - مختار الصحاح للرازي، ص 336.

<sup>2</sup> - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: ذم الهوى، ص 436.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: مختار الصحاح، ص 585.

▪ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ طه/54<sup>(١)</sup>.

هي صفة عقلية ناهية زاجرة للنفس عن فعل أي مستقبح مخافة وعيد الله، وترجوا جنته:

○ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿40﴾ ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات/40-41.

أي: خاف القيام عليه، ومجازاته بالعدل فأثر هذا الخوف في قلبه، فنهى نفسه عن هواها الذي يبعدها عن طاعة الله وصار هواها تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير<sup>(٢)</sup>.

فأهل العقول الناهية يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وأدواتهم إما باليد تارة أو باللسان تارة أو في قلوبهم تارة أخرى.

وعن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال:

○ ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

والإنهاء في الأصل: بلاغ النهي:

○ قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر/7.

<sup>1</sup> - المقرئ: معجم المصباح المنير، ص 393.

<sup>2</sup> - تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص 924.

<sup>3</sup> - رواه أحمد والترمذي.

## اجتناب المحظور صفة عقلية:

اجتناب المحظور الذي لا ينفع معه شيء من الليونة والمهادنة وهو الابتعاد عنه نهائياً لأن الاجتناب أبلغ من قول اتركوه وهو فعل عقلي.

○ قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخِلاً كَرِيماً﴾ النساء/31.

○ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ المائدة/90.

○ وعلة الاجتناب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ المائدة/91.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿اجْتَبُوا السَّبْعَ الْمُوْبِقَاتِ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَالسَّحَرُ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوْلِي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾<sup>(1)</sup>.

○ عن أبي عباس: قال: ((الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب أو لعنة، أو عذاب، وسئل ابن عباس عن الكبائر فقال: كل شيء عصى الله به فهو كبيرة))<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه بخاري ومسلم.

<sup>2</sup> - مختصر ابن كثير، ج1، ص382.

## الحجر صفة عقلية:

الحجر ((معنى المنع لما يحصل فيه فليل للعقل حجر لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه))<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ الفجر/5.

إن أعظم ما أقسم الله به العقل، والحجر كل مادته تدور على الأحكام والقوة، فالحجر لقوته، والحجرة لإحكام ما فيها، والعقل سمي حجراً بكسر الحاء، لأنه يحجر صاحبه عما لا يليق، والمحجور عليه لمنعه من تصرفه وأحكام أمره<sup>(2)</sup>.

هذا ما يؤكد أن العقل يقوم بعملية الاكتناف والإمساك بإحكام والزجر لمنع شروء هوى النفس وطغيانها ولهذا يسمى العقل المانع للقبائح.

## الحلم صفة عقلية:

الحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام قال تعالى:

○ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ الطور/32.

قيل معناه عقولهم، وليس الحلم في الحقيقة هو العقل ولكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل<sup>(3)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ الطور/32.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 116.

<sup>2</sup> - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ص 2114.

<sup>3</sup> - مفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 136.



أي: أهذا التكذيب لك «يا محمد» والأقوال التي قالوها، هل صدرت عن عقولهم وأحلامهم؟ فيئس العقول والأحلام التي أثرت ما أثرت وصدر منها ما صدر؟<sup>(1)</sup>.

وقيل لعمر بن العاص: ((ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله، أي لم يصحبها بالتوفيق)).

وقيل: ((أحلامهم أي - أذهانهم، لأن العقل لا يعطي للكافر ولو له عقل لأمن، إنما يعطي الكافر الذهن فصار عليه حجة، والذهن يقبل العلم جملة، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهي))<sup>(2)</sup>.

هذه الصفات العقلية الفعلية للعقل وكل مسمى للعقل له معنى ولا يمكن تبديل مسمى مكان آخر.

فالعقل يقوم بإجراء فعلي في زجر ووعظ وضبط واجتناب ونهي وحجر النفس عن كل فعل مستقبح من الرذائل مقروناً بالتخويف من غضب الله وعقابه، ليتذكر العبد بترك المنكر وفعل الخير، فيما يرق له القلب هذا هو العقل الذي أوعى وأدرك وفهم التجارب والمعرفة وميز وفكر.

عندها تبدأ تتبلور إرادة المؤمن بالظهور كالقول الطيب والعمل الصالح فتعالوا معاً نسأل:

- ماذا تعني الإرادة الإنسانية؟
- ما الفرق بين إرادة ومشيئة الله وإرادة الإنسان؟

---

<sup>1</sup> - التيسير الكريم للسعدي، ص 828.

<sup>2</sup> - جامع علوم القرآن للقرطبي، ج 3، المجلد التاسع، ص 48.

- ما الفرق بين إرادة الخير وإرادة الشر ولماذا هذا الصراع؟.
- كيف للمؤمن العاقل أن يعبد إرادته ومشيتته لرب العقول؟.

تعالوا معاً نقرأ العقل وصراع الإرادات.....

## العقل وصراع الإرادات

«إرادتك من صنع أفكارك»

**خمس** الله عز وجل الإنسان بالتحكم في إرادته والقدرة على توجيهها تخييراً إما باتجاه إرادة البناء والترقي لتصل بصاحبها إلى الطريق المستقيم وجنه عرضها السموات والأرض، وإما باتجاه إرادة الهدم والانحدار لتصل بصاحبها إلى الهاوية، وسعي الإنسان وعمله وكفاحه في هذه الحياة يقع على عاتقه ومسؤوليته لأنه إنسان مخير لا مسير.

فيا ابن آدم هي خريطة مرسومة، ولك أن تختار الطريق والسبيل وتسعى إما شاكراً مؤمناً، وعندئذ تكون قد حققت الغاية والهدف من وجودك على هذه الأرض بالإيمان بالله والشكر على نعمه، وإما جاحداً كافراً قال تعالى:

○ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان/3.

فلو كان الإنسان مجبراً على طاعة الله لبطل الثواب ولا حاجة لآيات الثواب في القرآن ولو كان مجبراً على أعماله، فلا حاجة لآيات الأمر والنهي في القرآن ولو كان مجبراً على المعصية لبطل العقاب ولا حاجة لآيات العقاب في القرآن ولا للجنة ولا للنار.

فبكل وضوح الأوامر والنواهي والثواب والعقاب تؤكد أن الإنسان له حرية الاختيار وحكمة وجود يوم القيامة هو للحساب على الأعمال التي قام بها الإنسان لأنه يملك إرادة يتحكم بها، ومكلف بالتكاليف الشرعية. هو يعرف نفسه ويعرف ما يريد وكيف يريد .

○ قال تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَمْتَ وَأَخْرَتَ﴾ الانفطار/5.

○ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ 14 ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ القيامة/14-15.

وسعى الإنسان في هذه الحياة باتجاهات مختلفة حسب إرادته ومشيتته:

○ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ الليل/4.

أعمالكم منكم واليكم من سعيكم واختياركم ومسؤوليتكم، وسوف تحاسبون عليها ولكم الجزاء.

ويروى عن الحسن البصري رحمة الله أنه قال:

((من حمل ذنبه على ربه فقد فجر، إن الله لا يطاع استكراهاً ولا يعصى بغلبة، فإن عمل الناس بالطاعة، لم يحل بينهم وبين ما عملوا، وإن عملوا بالمعصية فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، ولو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب ولو أجبرهم على المعصية لأسقط عنهم العقاب ولو أهملهم لكان ذلك عجزاً في القدرة، فإن عملوا بالطاعة فله المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم))<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - د . راتب النابلسي: نظرات في الإسلام، ص48.

لكن مشيئة الله هي العليا النافذة الحاكمة العادلة فهو أعلم بعباده يعلم من كان من أهل النار، فهو من أهل النار، وسيعمل هذا الإنسان بعمل أهل النار في الدنيا، فيكون من أهل الشقاوة ومن كان من أهل السعادة، فيعمل في هذه الدنيا بعمل أهل الجنة:

○ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿5﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿6﴾ فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿7﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿8﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿9﴾ فَسَنِّيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ الليل/5-10.

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿اعْمَلُوا، فكلَّ ميسر، أمَّا أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأمَّا أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة﴾<sup>(1)</sup>.  
والآيات في هذا المعنى كثيرة الدالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر<sup>(2)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الإنسان/29.  
أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعاً إلا أن يشاء الله.  
أي عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض لها أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه مسلم برقم/2647.

<sup>2</sup> - لنين منظومتنا الأخلاقية لـ د. ماهر بايزيد، ص 61 - 62.

<sup>3</sup> - مختصر تفسير ابن كثير، ج3، ص582.

وجميع الأمور والأفعال معلقة وموقوفة على المشيئة الإلهية لهذا أجمع، على تعليق الاستثناء بمشيئة الله عز وجل على جميع أفعالنا نحو:

○ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ الكهف/69.

○ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ هود/33.

○ ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ يوسف/99.

○ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ الأعراف/188.

والمشيئة من الله تعالى هي الإيجاد، ومن الناس هي الإصابة:

○ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلكُ غَدًا﴾ الكهف/23.

○ والله عز وجل وصف نفسه وقال: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ البروج/16.

أين إرادة الإنسان؟ ما هي الإرادة؟

تعريف الإرادة:

هي السعي في طلب الشيء.

○ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ الليل/4.

والإرادة في الأصل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، وجعل اسماً لنزوغ النفس إلى

الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل<sup>(1)</sup>.

ثلاث بواعث تحفز الإنسان إلى إرادة السعي في طلب الشيء:

---

<sup>1</sup> - أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني: مفردات غريب القرآن، ص212.

- 1- باعث الشهوة أو اللذة (الشعور بالحب) يأتي من خاطرة أو حديث نفس.
- 2- باعث الحاجة أو الدافع أو الميل وهنا تتشكل صورة ذهنية كفكرة تدفعه بين ميل لعمله أو ميل يصدده عن العمل.
- 3- باعث (حالة التروي): وهي مرحلة يتدافع فيها أحد الميلين على الآخر، لنقل ميل إيجابي وميل سلبي إلى أن تسيطر الرغبة لأحد الميلين وهنا الدور للعقل في اختياره.

فيأتي العزم والتصميم على العمل به وهنا ملاحظة هامة يجب أن نميز بين الإرادة ومجرد الرغبة.

فالرغبة سيطرة ميل على الآخر مثلاً: تمنى الخير وليس عمله، والإرادة هي نتيجة حتمية لتبلور فكرة ما في عقل صاحبها يسعى لتنفيذها، فالتفكير في الشيء يسبق العمل به حتماً.

إذاً فأصل كل فعل أو حركة من الحب والإرادة فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات كما أن مبدأ كل ترك وكف، وخاصية العقل التميز بين مراتب المحبوبات والمكروهات، بقوة العلم والتمييز<sup>(1)</sup>.

هذه الإرادة لعمل ما، أو فعل أو قول لا تظهر قبل عملية استحكام القصد الذي هو نية القصد.

فإذا استحكم القصد «النية» صار «عزماً» جازماً و«العزم» هي عقد القلب العقلي على إمضاء الأمر.

---

<sup>1</sup> - ابن القيم: إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، ص 419.

يقال عزمتم الأمر على فعله وإمضائه لكن نجاحه وقبوله يعتمد على التوكل على الله.

○ قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

آل عمران/159.

إذا العزم هو أخذ القرار لإرادة الفعل والعمل وإمضاء الرأي وعدم التردد بعد تبين السداد وتأتي بمحل الهم أي ما هممت به في نفسك.

قال الحسن البصري يرحمه الله: ((رحم الله عبداً وقف عند همه، فإن كان لله مضي، وإن كان لغيره تأخر)).

يقول ابن منظور في معنى الإرادة: ((معنى يتعلق بالجانب العقلي، والمراد به التفضيل والاختيار))<sup>(1)</sup>.

هذا التفضيل والاختيار غاية من الغايات المتصارعة فالإرادة هي العزم على العمل أو الفعل أو القول وهي المحرك لسلوك الإنسان القولي والفعلي.

وبما أن الإرادة تصدر عن مرتبة سامية ورفيعة هي مرتبة العقل، «لأن الإرادة من صفات العقلاء»، فهي تتعارض مع الغريزة أو الشهوة وإن كان لهما أثر كبير في إقناع العقل باختيار ما تدعو إليه، وتزين ذلك له باعتباره مصلحة للإنسان، والحاصل أن الإرادة تكمن خلف جميع النشاطات الإنسانية، لكون جميع تلك النشاطات صادرة عن اختيار العقل لها وتلك هي الإرادة، والهمة هي مستوى عال من الإرادة التي تواجه العقبات الكبيرة بالثبات والصمود، وهذه الإرادة من شأنها أن تنهض بالإنسان إلى معالي الأمور، ويوصل بها إلى مراتب الصابرين المجاهدين.

---

<sup>1</sup> - قاموس المحيط مادة (أراد).



فوجه الارتباط بين الهمة والإرادة واضح جلي، فبالهمة والإرادة يصل الإنسان إلى المراتب السامية، والرفيعة، ولذلك يقول الشرياصي: ((الرائد: هو الذي يتقدم القوم طالباً للخير" ومما يدل على ارتباطهما ما قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى:

○ ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة/45.

معظم الفضائل ملاكها الصبر، والفضائل تنبعث عن مكارم الأخلاق والمكارم راجعة إلى قوة الإرادة، فمن كانت له إرادة قوية وهمة عالية سعى وراء عاليات الأمور واشتاق نفسه للحصول على الكمال))<sup>(1)</sup>.

وكل الناس تسعى فمن كانت غايته ونهاية مطلبه هو الله وحده وعبادته ومعرفة وتطبيق شرعه كان عمله مقبولاً ويؤجر عليه.

لذا كانت النية هامة قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَا جَرَ إِلَيْهِ﴾<sup>(2)</sup>.

الأعمال بالنيات:

أي كمال الأعمال وصحة الأعمال بما ينويه الإنسان فالله سبحانه وتعالى لا يجازي على العمل، فحسب، بل على قصد الإنسان ونيته، من خير أو شر، فمن

<sup>1</sup> - عبد العزيز بن سالم شامان الرويلي: الهمة في ضوء القرآن الكريم، ص 40 - 41.

<sup>2</sup> - رواه البخاري رقم 1.

قصد بهجرته نصر الدين أثابه الله ومن قصد النكاح أو تجارة الدنيا، حرم أجر المهاجرين<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي: ((النية القصد، وهي عزيمة القلب، وقد يتسرب إلى النية بعض الشوائب، ومهمة الإخلاص هي تخليص النية مما تسرب إليها من الشوائب، والإخلاص يضاده الإشراف ولهذا من كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص، والخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى، فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير الإخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء))<sup>(٢)</sup>.

ومصدقاً لقوله عز وجل:

○ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ الفرقان/23.

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿أَخْلَصَ نِيَّتِكَ، يَكْفِيكَ الْعَمَلُ الْقَلِيلُ﴾<sup>(٣)</sup>.

هنا لا بد من التفريق بين الإرادات!

هذا التفريق يعتمد اعتماداً كلياً على محتوى القلب وما وعى واختيار العقل، وبما أن العقل وهو مركز الإرادة الإنسانية فصلاحه صلاح إرادته وفساده فساد إرادته، فالإرادة هي المحرك الداخلي للإنسان فكلما دفعت بقوة العزيمة والإصرار على تنفيذ عمل ما تسمى (الإرادة المانحة) والعكس صحيح تسمى (الإرادة الكابحة) أو المانعة فهنا الذي يسيطر على هذه القوى، إما بواعث الخير أو الشر في قلب

<sup>1</sup> - من شرح رياض الصالحين لـ النووي، تعليق الصابوني.

<sup>2</sup> - أحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ص1725 وص1744-1745، ج2، طبعة دار السلام.

<sup>3</sup> - رواه الحاكم.

الإنسان فإن طغت بواعث الخير فيه انبثقت قوة عظيمة في داخله وعزيمة يمضيها العقل وإرادة على عمل الخير والبر هو صوت الخير لتحقيقه بإخلاص النية، والعكس صحيح، هناك قوة إرادية سلبية مانعة لعمل الخير، محبة لعمل الشر قوة صلبة صارمة، شيطانية نتيجة طغيان بواعث الشر في قلب هذا الإنسان فيحركها أهواؤه وشهواته فيكون عندئذ جميع صفات وخصائص العقل معطلة لضعف النور الإيماني لهذا الإنسان.

فتكون لمة الشر قد قويت لقوة بواعثها اللاهية وسيطرة الهوى، عندئذ يصدر هذا الإنسان إرادة مانعة لعمل الخير، شغوفة لعمل القبائح والمعاصي وهو صوت الشر، هؤلاء لا أخلاق لهم والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وهذا ما أكده رسول الله ﷺ:

○ ﴿ فِي الْقَلْبِ لِمَتَانِ لِمَةٌ مِنْ الْمَلِكِ يُعَادِ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَلِيُحْمَدَ اللَّهَ وَلِمَّةَ الْعَدُوِّ وَيُعَادِ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَالنَّهْيُ عَنِ الْخَيْرِ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>(١)</sup>.

○ ثم تلا قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة/268.

○ وقال ﷺ: ﴿ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه الترمذي، وحسنه.

<sup>2</sup> - رواه مسلم برقم/1599.

ينبع أصل فعل الخير للمؤمن من محبة الله ورسوله وإرادته المانحة للعطاء الإيجابي، والبغض والكرهية لله عز وجل مبدأ كل ترك لكل ما نهى الله عز وجل ورسوله عنه.

فيرتحل الشيطان وبواعثه ووسوسته ويضيق المكان عليه فالمؤمن عندها يصرف شهواته ويضعها بما يريد الله عز وجل شهوة النساء حولها إلى زواج صالح، فأعمال العقل أدى لدفع وزجر ونهى وحجر أهواء النفس فقيدها بذكر الله والتمسك بأوامر الله وهذا هي حالة المجاهدة مع النفس وهي أفضل الجهاد. هذه المعركة بين بواعث الخير والشر في القلب هي معركة صراع الإرادات.

فإرادة فعل الخير هي إرادة قوية تحمل همة وعزيمة عالية يقودها الإنسان المؤمن الذي يملك قلباً مملوءاً بالإيمان ويحرسه عقلٌ سليمٌ يشع نوراً ويبصر به لأن عقله ضبط النفس وهواها وضبط شهوات الجوارح فمنزلة التقوى شرف العقل وبه يصطبغ المرء بإرادة الخير فتقوى السلوكيات المحيبة لله ورسوله ﷺ وتخدم السلوكيات السيئة.

إنها صراع الإرادات إنها صراع أفعال أو لا تفعل تتصارع في هذا القلب فمن كان نور إيمانه قوياً كان نور عقله ناضجاً وحارساً للنفس البشرية كان عمله صالحاً هي علاقة السبب بالنتيجة، فالأعمال الصالحة تسمى معروفاً لأن فطرة الإنسان عرفت بها ابتداءً والأعمال السيئة تسمى الأفعال المنكرة لأن الفطرة نكرته ابتداءً.

فتظهر إرادة أمره بالمعروف ناهية عن المنكر، هي سر النجاح والسعادة في الدنيا والآخرة كإرادة العطاء والصفح وجبر الخواطر والإنفاق.

إنهم عباد الله الذين أصروا على العمل الصالح لأنفسهم وللآخرين يصلحون ذات البين... يمشون بحاجة الآخرين إنهم في دار تكليف، فهم دائماً يتحرون الخير لأن الخير أصبح عادة عندهم.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَّعْلُمِ وَالْحِلْمُ بِالتَّحْلُمِ، وَمَنْ يَتَحَرَّ الْخَيْرَ يُعْطِهِ وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَّه﴾<sup>(1)</sup>.

هؤلاء الذين أحسنوا التصرف وتدبروا أحكام الله يملكون الرشد لذا سمي إحسان التصرف عقلاً، كما قال تعالى:

○ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ فصلت/46.

لقد أحسنوا لأنفسهم أولاً فضبطوا إرادتهم بالاستسلام لله عز وجل ولأوامره فكان اختيارهم للمنهج الإلهي والالتزام به أثراً عظيماً في حياتهم فصقلت نفوسهم بالقيم السليمة، وارتفعت فيهم قيمة الكرامة والعزة والنخوة لأنهم استجابوا لله عز وجل ورسوله فكانوا مثال يحتذى بهم كخلفاء الله في الأرض.

○ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال/24.

هنا تكمن كمال العبودية فأشدهم ذلاً وخضوعاً واستسلاماً وطاعة وانقياداً وحباً لأوامر الله عز وجل أشدهم ورعاً وتعقلاً في حياتهم وتكون إرادة ومشية المؤمن تصب فيما أمره الله عز وجل ورسوله ﷺ في تنفيذ العبودية إلى نهاية حياته:

○ ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحجر/99.

وهي أهم الواجبات للمسلم وعليه تكون عبادة غير الله تعالى من أعظم المحرمات التي حرمها الله تعالى على عباده:

<sup>1</sup> - رواه الدار قطني.

○ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الأنعام/51.

فانظر رعاك الله بين المسلم الذي أسلم إرادته ومشيبته طوعاً وحباً لله عز وجل وبين الجاهل الكافر الذي يجعل لله نداً.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ﴿قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ... أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمَ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَالِقُكَ" <sup>(١)</sup>.

ولذلك جاء في الحديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله:

﴿وَرَجُلٌ دَعَا رَبَّهُ آمِرًا ذَاتُ مَنَصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنَّ أَخَافِ لِلَّهِ﴾ <sup>(٢)</sup>.

فالخوف والوجل من الله عز وجل تزيد تعقل المؤمن فتقل بواعث اللذة والشهوة لديه، وفعل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يوصل صاحبه للنجاح في الدارين بإذن الله.

فالمنكر تنكره العقول وتنكره الشرائع لأنه بعيد عن الحياء والحياء شعبة من الإيمان، قال العلماء: ((حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق الحق)).

وأعظم الوصايا لكي تكون إرادة القولية للمؤمن العاقل منسجمة تماماً مع أوامر الله ورسوله ﷺ.

إدمان الذكر لله هي من أشرف العبادات وبه تنقى القلوب ويزداد خشوعاً وأعظم الكلمات التي تخرج من الفم وأظهر ما يمر بالخاطر من صور ذهنية للمؤمن العاقل وخير الأعمال القولية للمؤمن هو ذكر الله.

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/1626.

<sup>2</sup> - رواه البخاري.

واللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يَغْلِبُ عَلَى أَمْرِهِ، وَلا يَنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ،  
لِهَذَا فَالْعَاقِلُ عَقْلٌ مَا يَجِبُ أَنْ يَعْقِلَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ .

وهو الذي عَبَدَ عَقْلَهُ لِرَبِّ الْعُقُولِ وَ عَبَدَ إِرَادَتَهُ وَمَشِيئَتَهُ لِرَبِّ الْعُقُولِ وَلا يَشَاءُ الْعَبْدُ إِلا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ لِأَنَّهُ الْمَعْبُودُ، فَكُلُّ الْمَخْلُوقِينَ عِبَادَ اللَّهِ لا يَخْرُجُونَ قَيِّدَ أَنْمَلَةٍ عَنِ إِرَادَتِهِ وَلا عَنِ مَشِيئَتِهِ.

○ ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ مريم/93.

○ كلهم تحت حكمه ومشيئته وكلهم عبيد، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾  
آل عمران/83.

فالمسلم أقر بالألوهية لله فأخضع إرادته ومشيئته واستسلم لله حباً وطمعاً وهم أهل طاعته، وعبيد ألوهيته.

○ ولهذا كان: ﴿أَوْتَقَّ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبَّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضَ فِي اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

○ ﴿مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن الإيمان علم وعمل، والعمل ثمرة العلم، وهو نوعان: عمل القلب حباً وبغضاً، ويترتب عليهما عمل الجوارح فعلاً وتركاً وهما العطاء والمنع فإذا كانت هذه الأصول الأربعة لله تعالى، كان صاحبها مستكمل للإيمان، وما نقص منها فكان

<sup>1</sup> - رواه أحمد في مسنده.

<sup>2</sup> - رواه أبي داود برقم/4681.

لغير الله، نقصت من إيمانه بحسبه<sup>(1)</sup>، وهذا أسمى معاني العبادة لله عز وجل، وأصل العبادة وكمالها هو المحبة لله عز وجل.

فالخوف والرجاء ممزوجة بالمحبة لله ورسوله تتبع من حسن معرفة الله عز وجل.

عن أبي الدرداء قال رسول الله ﷺ:

○ ﴿أَلَا أُتْبِكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعُهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرَقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مَنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: ذَكَرَ اللَّهُ﴾<sup>(2)</sup>.

وهنا علينا أن نتدبر الحديث ملياً فالمجاهد في سبيل الله هو ذاك الله دائماً.

○ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال/45.

وكذلك الذي ينفق في سبيل الله هو ذاك في لسانه وينفق في يده أي المؤمن العاقل إرادته القولية دائماً مسبوقة بذكر الله ومرافقة إرادته الفعلية بأعمال الخير والبر.

روى عن معاذ بن جبل عن رسول الله ﷺ أن رجلاً سأل فقال: ﴿أَيُّ الْمَجَاهِدِينَ أَعْظَمَ أَجْراً؟ قَالَ أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْراً، قَالَ فَأَيُّ الصَّالِحِينَ أَعْظَمَ أَجْراً؟ قَالَ أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْراً، ثُمَّ ذَكَرَ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالصَّدَقَةَ كُلَّ

<sup>1</sup> - ابن القيم: إغاثة اللفهان من مكائد الشيطان، ص420.

<sup>2</sup> - رواه أحمد في مسنده.



ذَلِكَ وَرَسُولُهُ ﷺ يَقُولُ: أَكْثَرُهُمْ لِلَّهِ تُبَارَكُ وَتَعَالَى ذِكْرًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ: يَا أَبَا حَفْصٍ، ذَهَبَ الذَّاكِرِينَ بِكُلِّ خَيْرٍ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَجَلٌ ﴿١﴾.

قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ قَالَ كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ قَالُوا صَدُوقِ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ فَمَا مَخْمُومِ الْقَلْبِ قَالَ هُوَ التَّقِيُّ النَّفِيِّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا بَغْيٍ وَلَا غُلٌّ وَلَا حَسَدٌ﴾ (٢).

هذا هو ديننا أمرنا أن نفكر ونعمل ضمن إطار محكم من توجيهات وأوامر الشريعة والسنة الشريفة إنها العبادة التعاملية للفوز برضاء الله عز وجل وجنة عرضها السموات والأرض.

هذه التوجيهات الإيمانية بحاجة إلى عقل ضابط وضمير يقظ حي يرفض الدنيا وقبائح الأمور، ويحجر على تصرفات السوء ويحرس الحدود والحقوق، والعقل للإيمان كالبصر في الأبدان، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقته الجوارح بالعمل لكن المظلة التي تحكم هذه العلاقات بين الإيمان والعمل هو الإحسان وهذا ما سأله رسولنا ﷺ لجبريل... قال: ﴿فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ۖ قَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ﴾ (٣).

الإحسان فريضة مكتوبة في كل عمل نقوم به فهو أساس العبادات التعاملية مع الأهل، الأقارب، في العمل، في تربية الأولاد ومع الحيوان، مع النبات في كل مناحي الحياة.

<sup>1</sup> - رواه أحمد في مسنده.

<sup>2</sup> - رواه ابن ماجة في سننه برقم/3416.

<sup>3</sup> - رواه البخاري رقم/50، جزء من الحديث.

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وإتقان العمل هو أعظم الإحسان، ولهذا قيل: الناس أبناء ما يحسنون من الأفعال:

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإرادة العمل الطيب والنافع مرهونة بك يا صاحب العقل لديك ولآخرتك:

○ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ الإسراء/7.

وطرق الإحسان كثيرة ولا يجيدها إلا أهل الهمة والعزم والصبر والله عز وجل دائماً مع المحسنين فلا يجربون إحسانهم لأحد.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النحل/128.

○ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

العنكبوت/69، فهنيئاً من تكون إرادته وهمته على الطريق المستقيم.

اللهم لا تحجب إحسانك عنا بتقصيرنا، ولا تمنع عنا فضلك بغفلتنا، واجعلنا شاكرين لنعمك، راضين بقضائك متلذذين بذكرك، طامعين برضاك.

○ قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾

الحج/24.

تعالوا معاً نتابع....

<sup>1</sup> - رواه البخاري، جزء من الحديث.

<sup>2</sup> - رواه مسلم.

## منزلة التقوى نور العقل وشرفه

قَالَ ﷺ: ﴿أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ، فَقَالَ لَهُ: أَقْبَلْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ عَزٌّ وَجَلٌّ: وَعَزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتَ أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أَخَذْتُ وَبِكَ أُعْطِي، وَبِكَ أُثِيبُ وَبِكَ أُعَاقَبُ﴾<sup>(1)</sup>.

من المقاصد الشريعة (حفظ العقل) صونه وحمايته من المفسد والأفكار وكل العقائد الفاسدة التي قد تضربه.

وأهلية العقل لتحمل التكاليف الشرعية تعتمد على معايير عدة:

- قدرته على الفهم والاستيعاب.
- قدرته على الإدراك والوعي.
- قدرته على التمييز.
- قدرته على التحليل والتمحيص وفلتره كل ما يعرض عليه من أفكار وآراء.
- قدرته على ضبط الأمور.
- قدرته على فهم الأحكام والأوامر الإلهية وتنفيذها.

<sup>1</sup> - أخرجه الطبراني في الأوسط.

بهذه الأهلية العقلية أقام الله عزَّ وجل على البالغين الحجة، ومن لا عقل له لا تكليف له، ونعمة الإسلام لا تتحقق إلا بنعمة العقل، وعن رسول الله ﷺ قال:

○ ﴿رَفَعُ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يُكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكل ما يؤثر على صفات العقل من الإدراك والوعي وتميز يعد خلافاً عقلياً. لهذا فتمية العقل وإثارة شعلته يعتمد على اكتساب العلوم والمعارف وزيادة الخبرة والتجارب وأهمها على الإطلاق كتاب الله عزَّ وجل وسنة رسوله وتدبر آياته وحفظه ((وشرف العلم من شرف معلومه، ولا أشرف ولا أفضل من العلم بالله وأسمائه وصفاته الواردة في كتابه العزيز وسنة رسوله الكريم ﷺ وكما كان العبد عارفاً بربه محباً له قائماً بعبوديته ممتثلاً أمره مبتعداً عن نواهيه تحقق له بهذه المعرفة والعبودية اللتين هما غاية الخلق والأمر وكمال الإنسان وسموه المنشود:

○ قال تعالى: ﴿لِنَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر/28<sup>(٢)</sup>.

وهنا يمتزج ألوان قوس قزح في تشكيل وتآلق نور العقل وهو رأس الفضائل أولها نور من الله عزَّ وجل يقذفه في قلوب العباد.

<sup>1</sup> - سنن أبي داود رقم/4401.

<sup>2</sup> - فقه الأسماء الحسنی لـ عبد الرزاق بدر في فضل العلم بأسماء الله تعالى.

وثانئها المعرفة فكلما زادت ازاد العقل نوراً وعطاءً وخاصة معرفة الله وشرعه، وثالثها اكتساب التجارب والخبرات وصقلها في مدرسة الحياة تعطي صاحبها وقاراً ورشاداً عقلياً، وهذا ما أكده الإمام علي كرم الله وجهه حيث قال:

أبَتِ الْعَقْلَ عَقْلِيهِ فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ

وَلَا يَنْفَعُ مَسْمُوعٌ إِذَا لَمْ يَكُ مَطْبُوعٌ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ وَضُوءُ الْعَيْهِ مَمْنُوعٌ

والأول: هو المراد بقوله ﷺ: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَقْلِ﴾<sup>(١)</sup>.

والأخير: هو المراد بقوله ﷺ: ﴿إِذَا تَقَرَّبَ النَّاسُ بِأَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَتَقَرَّبَ أَنْتَ بِعَقْلِكَ﴾<sup>(٢)</sup> و<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال بحثي عن العقل تبين أن المؤمن ارتضى أن يعبد خالق هذا الكون عبودية محبة وود، عبودية خضوع، فهو يدرك بعقله أن عملية الامتناع عن كل المحظورات والنواهي لأجل محبة المعبود وعشقه تنسي العابد الضغط النفسي المتراكم جراء الحجب والمنع لأهواء النفس.

لأنه يدرك ويميز الطريق الصحيح طالما هو يتجه بجل اهتمامه وعمله وسلوكه إلى خالق الكون فيربط عقله بعمله وفق المنقول من الشريعة.

وفي هذا البحث وتشعباته تبين أن منزلة التقوى تتناسب طردأً مع نور العقل أليست التقوى جعل النفس في وقاية مما نخاف ونحذر.

<sup>1</sup> - أخرج الطبراني في الأوسط جزء في الحديث.

<sup>2</sup> - أخرج أبو نعيم في الحلية/1-18.

<sup>3</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص345.

والعاقل هو الذي يعقل نفسه مما يضرها، فيحفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات لما روى عنه ﷺ: ﴿إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾<sup>(١)</sup>.

ولهذا كان الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنهي، والأمر والنهي طلب العبادة وإرادتها وحقيقة العبادة امتثالها<sup>(٢)</sup>.

فكلما كان المؤمن يسلك طريق التقوى كلما كان يرتقى بعقله ويسمو معه فيزداد نوراً مما يؤدي إلى تصحيح برمجة القلب بالكلية وفق دواعي الشريعة.

فعندما تكون أعمالنا بنية خالصة لوجه الله تعالى تكون منزلة التقوى نور العقل قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾

فصلت/46.

فكلما كان المؤمن مخلصاً في عمله يتحرى الحلال والحرام ويبتعد عن الشبهات هو في حالة أعمال عقله لكي يحصل أعلى مراتب التقوى والورع.

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/52.

<sup>2</sup> - ابن القيم: التفسير القيم، ص101.

وعنه عليه السلام قال: ﴿لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يَدَعَ مَا لَأَ بَأْسَ بِهِ، حَذِراً مِمَّا بِهِ بَأْسٌ﴾<sup>(١)</sup>.

فالتمسك بكتاب الله وشرعه والعمل بهما تتألق التقوى ومعها يتألف نور العقل قال تعالى:

○ ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأعراف/171.

ومجاهدة النفس هي مقدمة للهداية حيث قال تعالى:

○ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت/69.

والتقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله، على نور من الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله.

أصل التقوى مأخوذ من اتقاء المكروه، مما تجعله حاجزاً بينك وبينه، فالمتقي: هو الذي يقي نفسه مما يضرها، وهو الذي يتقي عذاب الله بطاعته.

وجماع التقوى: أن يمتثل العبد للأوامر، ويجتنب النواهي.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((المتقون هم الذين يتقون الشرك ويعملون بطاعة الله))<sup>(٢)</sup>.

تمعنوا جيداً سترون أن أعمال التقوى نور العقل:

○ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات/13.

<sup>1</sup> - رواه الترمذي برقم/2451 وابن ماجه.

<sup>2</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 24-25.

((إن الفضل والكرم إنما هو بتقوى الله لا بغيره))<sup>(١)</sup>، ((والتقوى دائماً هي الدافع على كل خير، الرادع عن كل شر))<sup>(٢)</sup>.

هنا يرتب القرآن الكريم قضية عقلية منهجية لأهل الأرض، وهذا حجة على العلمانيين الذين يعتقدون أنه كلما اتجه الإنسان للإيمان ابتعد عن العقل والفكر السليم هذه الآيات والأحاديث السابقة واللاحقة تدحض كل هذه الادعاءات الواهية وسوف ترى كلما مضيت في قراءة هذا الكتاب أنه يقربك إلى ربك وأنه لا يدعك تسأل إلا ويعطيك الإجابة.

فتعالوا معاً نتعرف على عشرات الثمار لإعمال العقل في حياتنا فلنبداً....

---

<sup>1</sup> - أضواء البيان للشنقيطي، ص 1778.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 1879.



## ثمرات إعمال العقل في تعبيد العقول لرب العقول

**القرآن الكريم** هو الدستور الأصيل للمؤمن فيه تبيان لكل شيء، يعلم المسلم حقوقه وواجباته اتجاه خالقه تعالى وتعامله مع الآخر.

○ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الحديد/9.

وعرف د. النابلسي العبادة: ((غاية الخضوع، وغاية الحب، غاية الاستسلام، طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تفضي إلى سعادة أبدية، فيها جانب معرفي وجانب سلوكي، والجانب السلوكي هو الأصل، ولا يمكن أن نقطف من الدين شيئاً إن لم نستقم على أمر الله فالدين «بكلمة واحدة» هو الاستقامة)).

فالإسلام دين ودنيا، ولا سبيل لصلاح الدين والدنيا إلا باستقامة النفس وطهرها وتزكيتها لكي تتعد عن فاحشة الخنا ورجس الهوى، فتغلق أبواب الهوى وشهوات

النفس، فتستسلم النفس لبارئها وتخضع لضابطها العقلي على الطريق المستقيم، فتكون هواها الله وحده، قال تعالى:

○ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿162﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام/162-163.

الاستسلام المطلق لله ولأوامره ونواهيه وقضائه وقدره تبعث الحياة في قلوب المؤمنين فتسمو نفوسهم وتعقل عقولهم لأحكام الله، بهذا ترتبط الأعمال بالمعتقد الإيماني ارتباطاً طردياً، إن البعد الإيماني تتوضح أبعاده في الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالغيب حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن انقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله ﷺ.

فهذا الإيمان يتميز به المسلم عن الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسوله، فالؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أم لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله أم لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة الكاذبين للأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها.

فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله، ويدخل الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلية، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، فيؤمنون بصفات الله ووجودها ويتيقنوها وإن لم يفهموا كيفيتها<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، ص28.

وهذا الاختلاف عظيم بيننا وبين اليهود الذين يعاندون الحق ويرفضون الغيبيات فتأمل يردعك الله، أليس الاستسلام للحق هو عين التواضع والتذلل وركنه الأهم: التواضع للدين، وهو أن لا يعارض بمعقول منقولاً ولا يتهم للدين دليلاً، ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً.

و"التواضع للدين" هو الانقياد لما جاء به الرسول ﷺ، والاستسلام له، والإذعان، وكما قيل:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَدِيقًا      وَأَقْتَهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ  
وَلَكِنَّهُ تَأَخَّرَ الْأَذْهَانَ مِنْهُ      عَلَى قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْفَهْمِ

فالآفة من الذهن العليل، لا من نفس الدليل<sup>(1)</sup>.

بهذا نفهم معنى الانقياد والتسليم وتعبيد العقول لرب العقول قمة الوعي والإدراك والفهم العقلي فتعالوا نتدبر قول الصديق أبو بكر رضي الله عنه حين قال: ((لئن كان قاله لقد صدق))، وكيف لا فهو أول من أسلم، فيعرف صدق رسالته وصدقه فكان التسليم تسليماً عقلانياً متبصراً بحقائق الأمور بتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أدنى شك أو ريبة، لم يلتفت إلى المخبر الذي أوصله خبر الحديث «الإسراء والمعراج» إنما حدد لئن كان ما قاله النبي ﷺ لقد صدق لأن من صفاته الصدق في القول والعمل، فلن يتعارض مع الدلالات العقلية مطلقاً، بهذا الاستسلام وانقياد النفس لأوامر الله ونواهيه ولسنة رسوله ترتقي وتسمو وترزق بدون شك ولا ريبة وعليه إذا تأملت في خطابات الشرع وجدت تأكدها المستمر أن المقصود الأعظم من وضع الشريعة إخراج العبد من داعية هواه ليكون عبداً لله، وهو ما لا يكون إلا عبر قنطرة التسليم، قال تعالى:

<sup>1</sup> - ابن القيم: تهذيب مدارج السالكين، ص 385 - 386.

○ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾  
يونس/14.

فمقصود الشريعة ابتلاء العباد بتطبيق الأحكام الشرعية عن طواعية وتسليم، وهو المقصد الذي يغفل عنه الكثير<sup>(1)</sup>.

فالبداية معرفة الله وهي علة وجود الإنسان على الأرض فإن تعرف إليه سعى إلى تطبيق شريعته تعظيماً وإجلالاً لخالقه، ولا يتم إلا بتعظيم أوامره ونواهيه حباً وإذعائاً وتسليماً وانقياداً.

فتتشرب القلوب محبة الله لأنها حقيقة العبودية، قال تعالى:

○ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ آل عمران/31.

فتعالوا نردد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يَبْلُغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي﴾<sup>(2)</sup>.

وإله العقول لتدعو إلى محبة فاطرها من قريب  
أليست على ذلك مجبولة ومفطورة لا بكسب غريب<sup>(3)</sup>

وحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحارث بن مالك: ﴿مَا أَنْتَ يَا حَارِثُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: مُؤْمِنٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: مُؤْمِنٌ حَقًّا؟ قَالَ: مُؤْمِنٌ حَقًّا! قَالَ: فَإِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، فَمَا

<sup>1</sup> - العجيري: ينبوع الغواية الفكرية، ص 86.

<sup>2</sup> - رواه الترمذي.

<sup>3</sup> - ابن القيم: تهذيب مدارج السالكين، ص 461.

حَقِيقَةُ ذَلِكَ ؟، قَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرَتْ لَيْلِي، وَأَظْمَأَتْ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عُرْشِ رَبِّي حِينَ يُجَاءُ بِهِ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاوِرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُؤْمِنٌ نُورٌ قَلْبِهِ ﴿١﴾.

بداية الطريق شاقّة لكن بالتعود تلين القلوب وتسكن فتخضع النفوس للذل والانكسار بين يديه، لأن هذه النفوس تسمو للأعلى كلما فهمت معنى ذل العبودية لله عزّ وجل، أليست الصلاة عمل ينبغي فيه قهر كل عذر، وترك البيع، وأعمال الدنيا، قال تعالى:

○ ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ البقرة/45.

إن النفس تهوى ما يضرها ولا ينفعها وهي ميالة إلى الأنا والاستعلاء فإن جهاد النفس أساس تعبيد العقول لرب العقول، أليس العقل ينهي النفس ويزجرها عن جنوحها.

فالعبد يخضع وينكسر لذل العبودية لربه وهذا يتناسب طرداً مع عصيان العبد لهواه وهو عين مجاهدة النفس فيمتزج الخوف مع الرجاء والمحبة مع الطاعة عندها تنال محبة الله عزّ وجل.

ثمرة إعمال العقل وسيلة إجرائية للإصابة والسداد للوصول للحق وعدم التقليد الأعمى، فالعقل وسيلة إجرائية للنظر السليم والصحيح لتمييز الحق عن الباطل.

أصل الحق المطابقة والموافقة، والحقيقة تستعمل تارة في الشيء الذي له ثبات ووجود معه<sup>(٢)</sup>.

<sup>1</sup> - أبو بكر عبد الرزاق بن همام اليماني: المصنف - الأحاديث المنتخبة، دار ابن كثير، ص 42.

<sup>2</sup> - المفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 133.

والسداد: الصواب في القول والفعل<sup>(1)</sup>، أي الاستقامة ولا يتم إلا بتحديد الهدف والإصابة هو تركيز القصد لفعل محمود، فالعاقل عندما يركز لإصابة الحق بالقول والفعل فيأتي التقدير بالاجتهاد.

والتقليد الأعمى هو أخطر دعائم الضلال قال تعالى:

○ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة/170.

أخبر تعالى عن حال المشركين، إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله، رغبوا عن ذلك، فاكتفوا بتقليد الآباء، فأباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالة، وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعاً، واتبعه إن كان منصفاً<sup>(2)</sup>.

هنا نفى عن آبائهم العقل، لأنهم لا يسمعون الحق ولا يفهمونه إنهم عمي لا يبصرون، بكم لا ينطقون، فكيف تتبعون آباءكم الضالين المنعدمين العقول ولا يوعون شيئاً، قال تعالى:

○ ﴿أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنبياء/67.

<sup>1</sup> - أحمد بن محمد الفيومي المقرئ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص172.

<sup>2</sup> - تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص71.

هنا التوبيخ والتقريع كان إجراءً عقلياً قولياً لينهي طريق الضلال للعودة إلى طريق الهداية وعدم التسوية بين الحق والباطل.

ما أضلكم وأخسر صفتكم! وما أخسكم أنتم وما عبدتم من دون الله! إن كنتم تعقلون عرفتم هذه الحال، فلما عدتم العقل، وارتكبتم الجهل والضلال على بصيرة، صارت البهائم أحسن حالاً منكم<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يونس/16.

أفلا يعقلون إني حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً، تعرفون حقيقة حالي، بأني أُمي لا أقرأ ولا أكتب ولا أدرس ولا أتعلم من أحد؟.

فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن «مع هذا» أن يكون من تلقاء نفسي، أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد؟.

فلو أعلمتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب لجزمتكم جزماً لا يقبل الريب بصدقة، وأنه الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذا أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون<sup>(2)</sup>.

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 71-72.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 356.

## البند الأول:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

#### لحسن التصرف والإحسان للآخر

الرشد هو إلهام من الله عزّ وجلّ للمؤمن بتفكر وتمعن والنظر في عواقب الأمور فيوزن تصرفاته وكلامه وحركاته وفق وجدانه ووازعه الأخلاقي الديني فيدفع السيئة بالخصلة الأحسن، مثل أن تدفع الغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو، قال ابن عباس: ((ادفع بحلمك جهل من يجهل عليك))<sup>(1)</sup>. والرشد يستعمل استعمال الهداية، وعقل الرشيد أي أن يحسن الإنسان التصرف، والغواية ضد الرشد:

○ ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ الأعراف/146.

ضمير المؤمن ووجدانه الذي يصدق في قلبه ويناديه لفعل الخير والإحسان إلى الآخر، وخير الناس من علا مثله واشتد شعوره ووجدانه، إن عدم التصرف بشكل لائق يدل على نقص في العقل «أي العقل الرشيد». فإن الحكم إذا علق بوصف ازداد قوة بقوة ذلك الوصف، ونقص بنقص ذلك الوصف لأن العقل نتيجه حسن التصرف<sup>(2)</sup> قال تعالى:

○ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُجَادُونَكَ وَالْجِبْرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات/4.

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص1106.

<sup>2</sup> - الشيخ محمد العثيمين: تفسير سورة البقرة، مجلد 1، ص353.



أي أكثر هؤلاء غير عقلاء إذ أن العقل يقتضي حسن الأدب، ومراعاة  
العظماء عند خطابهم سيما لمن كان بهذا المنصب الخطير<sup>(١)</sup>.

لأن الرعونة وسوء التصرف مع الآخر يؤدي إلى تنافر القلوب وزيادة الشحناء  
والبغضاء فينبغي للإنسان العاقل الرشيد أن لا يخطو خطوة إلا عرف أين يضع  
قدميه، وأن لا يتكلم أو يفعل فعلاً إلا عرف مسبقاً نتيجة عمله وقوله، قال النبي  
ﷺ: ﴿وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ﴾<sup>(٢)</sup>.

والعقول أنواع العقل المدرك هو مناط التكليف وهو إدراك الأشياء وفهمها وهو  
الذي يتكلم عليه الفقهاء في العبادات، والمعاملات وغيرها وعقل الرشيد هو أن  
يحسن الإنسان التصرف، وسمي إحسان التصرف عقلاً، لأن الإنسان عقل تصرفه  
فيما ينفعه<sup>(٣)</sup>.

فاستخدام العقل هنا بإحسان التصرف هو إجراء ذهني وحركي سلوكي قال تعالى:

○ ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ الحجرات/6.

فالعقل الرشيد هو الذي يحسن التصرف ويحترز من التصرفات الرعناء فيتدبر  
الأمر بروية وفضيلة، ويتبين مكن المشكلة لإيجاد أحسن الحلول وأفضل التصرف  
إزاء أي موقف يتعرض له.

وهنا ندخل في موضوع الإحسان وقد فسر النبي ﷺ الإحسان في حديث جبريل  
عليه السلام بقوله:

○ ﴿الإِحْسَانُ أَنْ تُعْبَدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ﴾.

<sup>1</sup> - تفسير صفوة التفسير للصابوني، ص 1202.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/6018.

<sup>3</sup> - تفسير سورة البقرة للشيخ محمد العثيمين، مجلد 1، ص 158.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل/90.

فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه<sup>(1)</sup>.

كقول علي كرم الله وجهه: ((العدل الإنصاف، والإحسان التفضل)).

فالإحسان زائد على العدل فتحري العدل واجب وتحري الإحسان ندب وتطوع، لذلك عظم الله تعالى ثواب المحسنين، قال عز وجل:

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ المائدة/13<sup>(2)</sup>.

فأمرنا الله بالقول الحسن للناس وخص الوالدين بالقول والفعل قال تعالى:

○ ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة/83.

○ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ البقرة/83.

○ ومن الآيات التي جمع فيها بين العدل والتفضل بالإحسان قوله تعالى عز وجل: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الشورى/40.

○ فيها عدل ثم دعا إلى الإحسان بقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الشورى/40.

---

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 329.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 126.

○ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت/34.

أي من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه: ((ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه))<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: ((أمره الله تعالى في هذه الآية بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان))<sup>(٢)</sup>. وأثبت علمياً أن الذي يعفو ويصفح عن الناس لا يحمل غلاً لأحد ويكون في حالة نفسية مستقرة، ومطمئن البال حيث وجد أن مادة الدوبامين «هرمون السعادة» والسيروتونين «هرمون الاكتئاب» كلما ارتفع تركيزه في الجسم، يشعر الإنسان بالطمأنينة وعدم الاكتئاب فتتغلق منافذ الشيطان، سبحان الله، قال تعالى:

○ ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ 133 ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران/133-134.

هؤلاء أهل الإحسان نفوسهم طيبة كالشجرة الطيبة تعطي الظل لمن جلس بقربها وتشعره بالأمان وراحة البال، إنهم الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس. تعالوا نتوسع قليلاً حول «والكاظمين الغيظ».....

((الغيظ أشدُّ غضبٍ وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه))<sup>(٣)</sup>.

<sup>1</sup> - مختصر ابن كثير للصابوني، ج 3 ص 263.

<sup>2</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة فصلت المجلد الثامن ص 237.

<sup>3</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 371.

والغضب «اصطلاحاً» تغير داخلي انفعالي في نفس الإنسان نتيجة الغيظ وما الغضب إلا نحول العقل، فإذا ضعف هجم جند الشيطان، وجاء في الأثر: سئل! إبليس أرني كيف تغلب ابن آدم! فقال أخذه عند الغضب، وعند الهوى والغيظ أعلى درجات الغضب، وعنه ﷺ قال: ﴿الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ، كَمَا يُفْسِدُ الصَّبْرُ الْعَسَلَ﴾<sup>(1)</sup>.

فمن كان من أهل الرشد، يدرك أن عليه أن يقوم بإجراء سلوكي سريع لتخلي بالسكون والوقار ويصبر عند اعتراضه أي موقف يستدعي كظم الغيظ.

"والكظم احتباس النفسي ويعبر عن السكوت"<sup>(2)</sup> وهو إجراء سلوكي لعمل العقل الرشيد وذلك بضبط النفس عن الانفعال السلبي وهذا لا يكون إلا لأهل الإيمان والتقوى، فغضوا عن أساء لهم واحتسبوا الأجر عند الله عز وجل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله (والكاظمين الغيظ) أن النبي ﷺ قال: ﴿مَنْ كَظَمَ غِيظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَىٰ إِنْفَازِهِ مَلَأَ اللَّهُ جَوْفَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا﴾<sup>(3)</sup>

ليس عن ضعف بل يقدر على إنفاذه لكنه كظم وعفا عن عز ورفعة، قال ﷺ: ﴿وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ﴾<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه الطبراني في الكبير.

<sup>2</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 434.

<sup>3</sup> - مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج 1، ص 318.

<sup>4</sup> - رواه مسلم برقم/2588.

بهذه الأخلاق الإسلامية من الإحسان والعفو والصفح وحسن التصرف  
مع الآخر تسمو النفوس وتصبح مطمئنة لأنهم أهل الرشد فتعالوا ندع بدعاء  
الرسول ﷺ:

﴿اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِحَسَنِ الْخَلْقِ، فَإِنَّهُ لَأَيُّهُدَى لِحَسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَأَصْرِفْ عَنِّي  
سَيِّئَهَا لَأَيُّصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ﴾

وحسن التصرف يتطلب... مهارات ذاتية خاصة تعالوا معاً لنتحدث قليلاً عن  
الفتنة والذكاء للخروج من المواقف الحرجة.

## البند الثاني:

### ثمرة أعمال العقل وسيلة

#### للخروج من المواقف الحرجة بالفطنة والذكاء

الفطنة سرعة البديهة وعدم التغافل عما يجري حوله، وفطنة الرجل إذا صارت الفطنة له سجيةً فهو فطن وقالوا: ((ليس العاقل الذي إذا وقع في الأمر احتال عليه، ولكن العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع فيه)).

قال معاوية لعمر بن العاص: ((ما بلغ من عقلك؟ قال: ما دخلت في شيء قط إلا خرجت منه؟ فقال معاوية: لكن ما دخلت في شيء قط أريد الخروج منه))<sup>(١)</sup>.

لكن لو تتبعنا صفات الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه "فاتفق خصومه وأعداؤه على بلاغته وعلمه وفطنته النافذة حيث قال: ((والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس))"<sup>(٢)</sup>.

ويروى عن الحجاج أنه صعد المنبر مرة ليخطب الجمعة وقبل أن يشرع في الخطبة... انتقض وضوءه، وخشى الحجاج أن يعير بها، إن أخبرهم بانتقاض وضوءه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: ((بلغني أنكم لا تحسنون الوضوء، وقد نويت أن أعلمكم وضوء النبي محمد ﷺ، يا غلام... اتنتي بالطشت والماء لأعلمهم كيف كان الرسول ﷺ يتوضأ))<sup>(٣)</sup>.

وتزداد فطنة وذكاء الرجل بزيادة التجارب وحكمة الدهر، قالت الحكماء: ((كفى بالتجارب تأديباً وبتقلب الأيام عظة، وقالوا كفى بالدهر مؤدباً، وبالعقل مرشداً))،

<sup>1</sup> - أبو عمر أحمد بن محمد ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص28.

<sup>2</sup> - عباس محمود العقاد: عبقرية الإمام علي كرم الله وجهه، ص33.

<sup>3</sup> - منصور عبد الحكيم: الحجاج بن يوسف الثقفي - طاغية بني أمية، ص389.

وقال آخر: ((أحاولت إرشادي؟ فعقلي مرشدي أم أسئمت تأديبي؟ فدهري مؤدبي))، وقال آخر:

**وما أبقت لك الأيام      عذراً وبالأيام يتعظ! اللبيب**

وقالوا: ((كفى بالدهر مخبراً بما مضى عما بقي))<sup>(١)</sup>.

وأهل الفطنة هم أهل الحنكة يعرفون متى يصمتون وبماذا يتكلمون.

قالت الحكماء: ((إياك وما يعتذر منه من عرض نفسه للتهم فلا يأمن من أساءه الظن))، وقال امرؤ القيس: ((وجرح اللسان كجرح اليد))، وقال الأخطل: ((والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر))<sup>(٢)</sup>.

عُبر عن سرعة الإدراك وحدة الفهم بالذكاء، والعقل ليس هو الذكاء، لأن العقل نتیجته حسن التصرف «وإن لم يكن الإنسان ذكياً»، والذكاء قوة الفطنة «وإن لم يكن الإنسان عاقلاً»، وبهذا نقول: ليس كل ذكي عاقلاً، ولا كل عاقل ذكياً، لكن قد يجتمعان، وقد يرتفعان<sup>(٣)</sup>.

---

<sup>1</sup> - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص170-171.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ج2، ص172.

<sup>3</sup> - تفسير سورة البقرة للشيخ محمد عثيمين، المجلد الثالث، ص353.

## البند الثالث:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

### لإنتاج سلوك العطاء والإصلاح

عقلية العطاء عقلية سلوكية، يقابلها عند أهل الجهل عقلية الشح والإمساك وشتان بين العقلين.

عقلية العطاء: تؤمن بأن دائرة العطاء في توسع دائم وتشمل المحتاج لنصيحة أو لأمر مادي وتفاعلها إيجابي في المجتمع، غير منغلقة، هي في حالة توازن، هذه العقلية تدفع الآخر لبث روح التعاون والخير بين أبناء المجتمع، وتحمل طاقة إيجابية خلاقية محفزه، وهي صفات نخبة العقول.

يقول نبي الرحمة ﷺ: ﴿السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَأَلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ﴾<sup>(1)</sup>، هؤلاء أهل الرفق والعطاء وعنه ﷺ قال: ﴿مَنْ يَحْرُمُ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ﴾<sup>(2)</sup>.

هؤلاء الناس لا يهتمهم اللون ولا الفئّة والطائفة، إنهم أهل العطاء والرفق وعنه ﷺ قال: ﴿مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ﴾<sup>(3)</sup>.

فملكة إرادة العمل الصالح والعطاء والإيثار بنية خالصة لله هي التي امتاز بها الإنسان العاقل عن البهائم، لأن البهائم واقفة على طباعها، لا تفهم عواقب فعلها،

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/6006.

<sup>2</sup> - رواه مسلم برقم/2592.

<sup>3</sup> - رواه البخاري برقم/6953.



ويا للأسف كثير من بني البشر انحرفوا بتصرفاتهم كالبهائم فركبهم هواهم وطبعهم فمالوا عن الحق وعاثوا في الأرض فساداً.

لكن المؤمن العاقل امتنع عن ذلك بقهر عقله لطبعه إنهم أهل العفو والصفح عن كل من أساء إليهم، لأن قلوبهم سليمة لا تحمل أي ضغينة لأحد، يبذلون المعروف، قال تعالى عز وجل:

○ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف/199.

هذا هو المؤمن العاقل مفتاح للخير ومغلاق للشّر وأجره على الله والتعود على عمل الخير، يصبح الخير عادة، فملكة فيه لأنه عرف حق الله عليه وحق القرابة والناس وواجه اتجاههم، هذه هي سعادة العطاء.

○ قال ﷺ: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُسَلِّمُوا، وَلَا تُسَلِّمُوا حَتَّى تَحَابُّوا، وَأَقْسُوا السَّلَامَ تَحَابُّوا، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِعْضَةَ، فَإِنَّهَا هِيَ الْحَالِقَةُ، لَأَ أَقُولُ لَكُمْ: تَحَلَّقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحَلَّقُ الدِّينَ﴾<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى عز وجل: والإصلاح هو غاية الحياة الإنسانية: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ الأنفال/1.

والصلاح ضد الفساد، والصلح يختص بإزالة النفاق بين الناس الصلح خير<sup>(2)</sup>:

○ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الحجرات/10.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أُجْرِ فَاعِلِهِ﴾<sup>(3)</sup>.

---

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم برقم/54.

<sup>2</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص/288.

<sup>3</sup> - أخرجه مسلم برقم/1893.

فهذه مهمة العقلاء الذين يحملون العقول الرشيدة في إصلاح التصدعات وتخفيف المشاكل بين الناس وجبر الخواطر، ولا يريدون شكراً ولا ثناء من أحد، وسيربحون مع رب البشر حياة مطمئنة طيبة في الدنيا وجنة عرضها السموات والأرض:

○ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل/97.

○ وعنه ﷺ: ﴿صِنَاعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ﴾<sup>(1)</sup>.

هذه عقلية الإصلاح عقلية تحاول جمع بين المتخالفين، بين الزوجين، بين الأقارب، وعكسها عقلية واهية تحب الإفساد وإشعال نار الفتن بين الناس والأصحاب. إنها عقلية شحيحة تعتقد أن عمل الخير والعطاء ينقص من مميزات صاحبها لأنه أناني فيعتقد بأن الخير كله له «أنا أولاً أحد» وبالتالي يكره نجاح الآخر، وتميزه، فلا يعطي أحداً من خبراته، لا معلومة ولا مساعدة ولا يحب التعاون مع الآخر، دائماً منطو على ذاته، قناص للأخذ، شحيح للعطاء هؤلاء تنازعهم أنفسهم لحب الأنا، إنه خسيس النفس، أناني الهوى، أفكاره مغلقة على الأخذ لا العطاء، وكلما اقتنص شيئاً شعر بسعادة لا توصف، قلبه مملوء بالبغض والكراهية، وداعي الشيطان فيه عظيم يحثه على الإمساك وعدم الإنفاق ليس بالمال بل حتى بالكلمة، لأنه يملك مشقة العطاء ومشقة عمل المعروف، فشتان بين العقلين فأبي العقلين أصح<sup>9</sup>.

إن الإجراء العقلي إجراء سلوكي اجتماعي لمصلحة المجتمع فتعالوا ندرس هذه الحالة.

<sup>1</sup> - رواه الطبراني.

○ قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة/44.

سمى العقل عقلاً لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره، وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه دل على عدم عقله وجهله، خصوصاً إذا كان عالماً بذلك، قد قامت عليه الحجة، وهذه الآية وإن كانت نزلت في بني إسرائيل فهي عامة لكل أحد، لقوله تعالى:

○ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿2﴾ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ

تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ الصف/3.

وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أن يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه وأمر نفسه ونهيتها، فترك أحدهما لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير، وأيضاً فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعلة فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة<sup>(1)</sup>.

فتعالوا معاً ندعُ بدعاء النبي ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ﴾.

تعالوا معاً ندرس ثمرة أخرى من ثمار أعمال العقل كوسيلة لإنتاج مهارات التواصل الإيجابي مع الآخر.

<sup>1</sup> - تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص38.

## البند الرابع:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

#### لإنتاج مهارات التواصل الإيجابي مع الآخر

إن المرتكزات الأساسية للتواصل مع الآخر بحاجة إلى حنكة وفطنة والعقل صانع الأفكار ووعاؤه.

ولكل عقل خصوصيته في طرح وتقبل الأفكار، وللعقل بوابته الخاصة للتواصل مع الآخر فمن استكشف البوابة، بها يُدخَل أفكاره ورسائله إلى عقل الآخر بتوخي الحيطة في إيصالها، فيتقبلها المتلقي بكل حب وبلغة يفهمها دون اقتحام قسري لبوابة عقله، ولا بطريقة غسل أفكاره مكرهاً، وعلى الطارق الاستئذان وطرق باب العقل بغاية اللطف والمودة وحنكة وحكمة وفطنة متحلياً بأدب الحوار، وحاملاً طاقة إيجابية مؤثرة على الآخر، شرط أن الطارق يتحلى بوعي وإدراك معرّف وموسوم بالتعقل وتدوير الزوايا لكي يستطيع إقناعه بأفكاره وأهدافه، دون تصادم وتقاطع بين الأفكار المترسخة للمتلقي وأفكار الطارق، فإذا كانت النية صادقة خالصة لله تعالى، فالله عزّ وجلّ يسهل عملية التواصل: وتظهر نتائجها الخيرة بإصلاح المفاسد، فتعالوا نفهم معنى التواصل والاتصال بين الناس وأساس الاتصال إيصال الكلمة إلى المخاطب وأساسها الكلمة الطيبة.

الاتصال اتحاد الأشياء بعضها ببعض كاتحاد طرفي الدائرة، ويضاد الانفصال.

وقوله عزّ وجل:

○ «وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمْ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» القصص/51، موصولاً بعضه ببعض<sup>(1)</sup>.

والتواصل: تعني عدم التصارم، أي التقاطع، وما مفهوم صلة الرحم إلا اتحاد الأقارب وعدم التقاطع والتصارم بينهم.

وصلة الرحم أهم دائرة في بناء العلاقات الإنسانية، وجوهرها، تتوسع لتكبر الدائرة لتصل إلى أهل الحي، بل المجتمع بكامله.

لهذا الاتصال جانب سلوكي عقلي تعاملي حثنا القرآن الكريم ورسوله على إتباعه ألا وهو التواصل بين المؤمنين بالحق والإيلاف لكي يتحابوا، فالتواصل من الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ من قولهم وتواصل القوم إذا أوصى بعضهم إلى بعض، قال تعالى:

○ «وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» العصر/3<sup>(2)</sup>. وتواصوا: أي تحابوا<sup>(3)</sup>. والمحبة لا تأتي إلا بالتآلف ومنه الإلف اجتماع مع التثام يقال الفت بينهم ومنه الألفة ويقال للمألوف إلف وألف:

○ قال تعالى: «فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» آل عمران/103.

○ وقال تعالى: «وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» الأنفال/63.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 540.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 540.

<sup>3</sup> - الجامع الأحكام القرآن للقرطبي، ج 3، المجلد العاشر.

والمؤلف ما جمع من أجزاء مختلفة ورتب ترتيباً قدم فيه ما حقه أن يقدم وأخر فيه ما حقه أن يؤخر<sup>(1)</sup>.

فمن يجمع قلوب العباد إلا الله بزيادة الرحمة والمحبة بينهم فعلياً نحن أن نتواصى ونتواصل بالمحبة والألفة ولكن! للأسف!!!.

نحن نعيش في زمن التقاطع والتصارم بين الأقارب، لا بل بين الإخوة والأخوات، والتقاطع والتصارم وصل لداخل العائلة الواحدة، الأب في واد والأم في واد آخر، والأولاد متصارمون يحملون الغل والحقد على بعضهم، تتافر في الآراء والأفكار... تتافر في القلوب والعقول!!!.

✓ كيف السبيل لإعادة الألفة والتواصل بين الناس؟!

✓ كيف السبيل لمد جسور المحبة مع الآخر؟.

✓ كيف السبيل لإقناع الآخر.

✓ كيف نمنع التصادم الفكري؟ تعالوا معاً لنبدأ.

فن الإقناع ومميزات المحاور:

إن فن الإقناع هو فن التعامل مع الآخر والتأثير به وإقناعه بوجهة نظر المحاور برضى تام شرط استخدام الإشارات والألفاظ والكلمات المؤثرة للتأثير على المتلقي لتغيير بعض مفاهيمه وأفكاره مما يؤدي لتغيير سلوكه وميله وقناعته بأدلة وبراهين واضحة يكون الطرف المقتنع راضياً عن هذا التغيير.

إن فن الإقناع بحاجة لمحاور له مميزات تتوفر فيه النية الخالصة لله تعالى منها:

■ محاورٌ نبيه متميز بمهارات نفسية وعقلية وحركية ومعرفية.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص30.

- محاورٌ ماهرٌ ذو شخصية قيادية.
- محاورٌ يستطيع أن يؤثر على الآخر من البوابات المعرفية بالعين والسمع والنطق.
- محاورٌ متميز بالخبرات والتجارب سابقة والمعرفة الشاملة.
- محاورٌ يتصف بالهدوء والرؤية، ويحمل فراسة وحكمة عقلية لربط الأسباب والنتائج، ولربط العلة بالمعلول، ولإقتناص المتغيرات، ومسك خيوط التأثير لإقناع الآخر، عندها يبدأ الانسجام والاطمئنان يتغلغل في قلب وعقل المتأثر، بهذه العوامل يكون المحاور جاهزاً لإقناع الآخر للتواصل معه، فكيف يتم التواصل مع الآخرين؟.

يبدأ التواصل بشعور إيجابي وطاقه إيجابية تفعل فعلها بين الطرفين إيداناً بالموافقة على قبول الآخر بطرق باب عقله والاستجابة له بفتح باب عقله ليقبل رسائله باهتمام فينصت إليه مستمعاً قال ﷺ: ﴿الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ﴾.

#### فالرسالة الأولى:

من المحاور للمتلقى إظهار ميزاته الطيبة، وأنه يسمع من الناس يتكلمون عنه أنه ذو أخلاق عالية وطيبة، وأنه يحب الخير للآخر، وأنه من أهل الفكر الصائب، ورجاحة العقل، ويحمل شخصية متواضعة هذه الرسائل المختصرة ستؤثر على المتلقى تأثيراً إيجابياً فيشعر بالطمأنينة والارتياح النفسي، لأن طبيعة النفس الإنسانية تميل إلى الغرور الذاتي وحب الإطراء، وترفض جملة وتفصيلاً من يريد أن يعيبها وترفض النصيحة، بل قد تكون ردة فعل عكسية فتتنافر القلوب عندها تغلق بوابة العقل فيقاوم «يتصلب بأفكاره» بل يدافع عنها إعجاباً وزهواً بنفسه وأفكاره والنتيجة تكون تصادم لا تصالح، تقاطع لا اتصال بين المتصل والمتلقى.

لكن الفطنة والتعقل له دور هام:

○ وعنه ﷺ أنه قال: ﴿لَا طَيْرَةَ وَخَيْرَهَا الْفَالُ قَالُوا: وَمَا الْفَالُ؟ قَالَ: الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿أَمَرْتُ أَنْ أُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فالتواصل مع الناس هي مهارة وفن وتعقل، لأن عقول الناس متفاوتة، والتعامل معها بحاجة إلى ذكاء وفطنة.

وروى عن ابن عباس رضيه الله عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿لَا تُحَدِّثُوا أُمَّتِي مِنْ أَحَادِيثِي إِلَّا مَا تَحَمَّلَهُ عُقُولُهُمْ، فَتَكُونَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، فعلى قدر عقول الناس يكون التواصل والحوار معهم وإليكم الأمثلة على ذلك.

رَوَى أَنَّ فَتَى شَابِئًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ! انَّذَنْ لِي بِالزَّنَى، فَأَقْبَلَ الْقَوْمَ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ، فَقَالَ ﷺ: أَدْنُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/5753.

<sup>2</sup> - شهردار الديلمي: مسند الفردوس.

<sup>3</sup> - رواه مسلم في الجامع الصحيح.



فَدَاكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ثُمَّ فَوَّضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَظَهَرَ قَلْبُهُ، وَحَصَّنَ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ الْفَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿١﴾.

لننظر للحادثة بعقلانية شاب يسعى للمعصية لكن بالحجة والحوار العقلاني عرف أن هذا الطريق سيصل للفاحشة، هذا هو الأسلوب الراقى الجميل في إقناع الآخر وإيصال الفكرة الصائبة له وإزالة الفكرة المقتحمة السيئة لهذا الفتى، هكذا علينا أن نتعلم، أدب التواصل والإقناع من رسول البشرية محمد ﷺ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلمة الطيبة لا بالعصا ولا بحد السيف! والحديث يعلمنا كيف اقتنع الشاب وانجذب لمفاهيم رسول الله ﷺ برسائل الصور الذهنية التي عرضها بالموعظة الحسنة.

مثال عن التروي والحلم قصة الغامدية الحبلى من الزنى... اعترفت بذنبها... ردها رسول الله ﷺ حتى ولدت ثم جاءته بالصبي، فردها حتى ترضعه وتقطمه قبل تنفيذ حكم الله فيها .

مثال آخر على تمرير معلومة أو رسالة بطريقة استفهامية... سؤال وجوابه .

عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: ﴿أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟ قَالُوا: مَنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطِي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ﴾ (٢).

<sup>1</sup> - رواه الإمام أحمد في مسنده.

<sup>2</sup> - رواه مسلم برقم/2581 .

بهذا الأسلوب الخطابى الاستفهامى الذى انتهجه رسول الأمة مع أصحابه آثار فىهم وحرص أبواب عقولهم لكى تعى وتدرى ما يقوله، إنه فن التواصل والإقناع بمهارة وحنكة وحكمة لإيصال المعلومة لهم.

مثال الرد على المستهزئين:

قال يهودى لعل بن أبى طالب كرم الله وجهه: ((ما لكم لم تلبثوا بعد نبىكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقالتتم؟! قال على كرم الله وجهه: ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلبل حتى قلتتم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف/138))<sup>(1)</sup>.

فن التواصل الناجح مع الآخر هو إخلاص النية الصادقة بالأمر بالمعروف وفعل الخير دون تطييل وتزوير وكثرة كلام لإرضاء ذاته ومواهبه الشخصية، وأنه صاحب تأثير على الآخر ويملك شخصية قيادية، بل الارتقاء بمفهوم التواصل لكى ينتج حوار المصالحة، وتخفيف الضغوط وتقليل حدة العداوة والبغضاء، قال تعالى:

○ ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ  
بَيْنَ النَّاسِ﴾ النساء/114.

فالتتمية البشرية ليست لتتمية الأنا وطغيانها بل يجب أن تكون التتمية حب الخير والعطاء بالقول والفعل وما أكثر المعاهد والقنوات التى تتحدث عن التتمية البشرية وشحن الإنسان بتضخيم الأنا وأن قيمته فى قيمة الأنا الداخلية، بل التتمية البشرية يجب أن تتجه إلى تتمية السلوك الأخلاقى للإنسان وبكل الاتجاهات.

<sup>1</sup> - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ج2، ص141.

حذرنا رسول الله ﷺ من كثرة الكلام والثرثرة، والقيل والقال وكثرة العتاب ونصح الناس، والصمت إلا للخير: ﴿وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ﴾<sup>(١)</sup>.

نصيحة رسول الله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه قال:

﴿عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ، فَإِنَّهُ مُطْرِدَةٌ الشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ﴾<sup>(٢)</sup>.

حتى مع الآخر الذي يملك فكراً مغايراً لنا، أمرنا الله عز وجل بالمهادنة واللفظ معه قال تعالى:

○ ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت/46.

مثال عن التهاور وإقناع الآخر بالبينة والحجة والبرهان بالعقل المقارن كما فعل أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في تحاوره مع من يعبدون غير الله، بالمنطق والتأثير العقلي:

○ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ 76 ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ 77 ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ 78 ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام/76-79.

<sup>1</sup> - رواه البخاري برقم/6018، جزء من الحديث.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/2240 و 5672.

فيا أيها العاقل حظك من الدعاء ليس في الإجابة لكن بالاتصال مع خالق السموات والأرض فلتجعل لك دعاء وورداً دائماً لكي يكون اتصالك دائم مع الله:

○ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة/152، وتذق حلاوة مناجاته تكن مريداً وعارفاً بالله.

يقول ابن عطاء الله: ((يا من عاش وما عاش، تخرج من الدنيا وما ذقت أذ شيء منها، وهي مناجاة الحق سبحانه))<sup>(1)</sup>.

والآن بعد أن تعرفنا على ثمرة إعمال العقل في فن التواصل مع الآخر نتابع ثمرة جديدة من ثمار إعمال العقل في قضية التحايل بأمور الدين.

تعالوا معاً نتابع....

---

<sup>1</sup> - ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، ص492.

## البند الخامس:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة للوقوف

#### على حدود الله وضبط التحايل في أمور الدين

تحليل الحلال وتحريم الحرام من حق الله وحده، وأي تلاعب بتحليل الحرام وتحريم الحلال هو اقتران بالشرك، وفي الحديث القدسي: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، وَأَنْهَمُ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمُ عَنْ دِينِهِمْ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّلْتُ لَهُمْ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(1)</sup>.

لقد بين الله عز وجل الحلال، وأما الحرام ففصله تفصيلاً:

○ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ الأنعام/119.

لأن الأصل في الأشياء الإباحة، وكل ما ورد من تحريم في كتاب الله فهو محرم:

○ ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ الأعراف/157.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾<sup>(2)</sup>.

في الحديث النبوي يؤكد من أراد من المسلمين أن يتبرأ لدينه وعرضه عليه بالمتابرة على التقوى وتحصين النفس والحيطه والحذر فيترك شيئاً من الحلال خوفاً من

<sup>1</sup> - رواه مسلم.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/52.

ملامسة الحرام وعنه عليه السلام قال: ﴿لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ، حَذْرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال الشافعي: ((جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم عن عائشة أنه قال: ﴿إِنِّي لَأَاحِلٌّ لِأَمَّا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ وَلَا أُحْرَمٌ إِلَّا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

○ قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر/7.

○ وعن أبي قلابة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْبِرُّ لَا يَبْلَى وَالْإِثْمُ لَا يَنْسَى، وَالِدَيَّانُ لَا يَنَامُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ، كَمَا تَدِينُ تَدَانُ﴾<sup>(٣)</sup>.

فالمؤمن العاقل يجمع اللذات الشهوانية ويقهر الهوى الذي يدخل عليه في لحظات الغفلة الطارئة لأنه يدرك عواقب هذه اللذات والشهوات فيردع النفس عن مقارفتها والوقوع فيها قال صلى الله عليه وسلم: ﴿لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ((العاقل إذا زلَّ تدارك ذلك بالتوبة؛ بالعقل الذي قسم له، والجاهل إنما هو بمنزلة الذي يبني ويهدم، فيأتيه من جهله، ما يفسد صالح عمله)).

---

<sup>1</sup> - رواه الترمذي.

<sup>2</sup> - الطبراني في الأوسط.

<sup>3</sup> - حديث مرسل: أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري، تابعي، التعريب 333.

<sup>4</sup> - رواه البخاري برقم/6114/ومسلم برقم/2609/.

إذاً العاقل دائماً مترقب من أن تنزلق قدمه باتجاه الحرام، فيكون مرهف الشعور والإحساس بأن الله عز وجل يراه في كل لحظة:

○ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ الحديد/4.

وعلى المؤمن العاقل أن يتذكر قول رسول الله ﷺ:

○ ﴿دَعَا مَا يُرِيْبِكُ إِلَّا مَا لَأُ يُرِيْبِكُ﴾<sup>(1)</sup>.

والريبة قد تكون ريبة الفؤاد وهو قلق ينتاب كامل النفس أو اضطراب في حركة الإنسان مع شعور بضيق الصدر، وسرعة ضربات القلب.

فلا اقتراب من الحرام بل الاجتناب الكامل هذا دور العقل الإجرائي والسلوكي الاجتبابي.

فرب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، فالحذر مقرون بالنجاة، والتعرض للفتن والشهوات مقرون بالعطب، هذه الريبة والحذر العقلي يؤدي بإجراء سلوكي داخلي وظاهري زاجر وناهي عن كل المحرمات.

ليصل بالنفس لحالة السكينة والطمأنينة، فتستكين للطيبات وتستحسنها لأنها حلال، عن أبي ثعلبة رضي الله عنه قال يا رسول الله أخبرني ما يحل وما يحرم علي؟ قال رسول الله ﷺ:

○ ﴿الْبَرُّ مَا سَكَتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمَفْتُونُ﴾<sup>(2)</sup>.

فمن أعمل عقله في ردع داعي الهوى وزجره عن التلاعب بما أحل وحرّم الله تعالى كان قلبه مطمئناً سليماً نقياً، وما العقل إلا ضابط للنفس البشرية، أما الأحق

<sup>1</sup>- أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: سنن النسائي.

<sup>2</sup>- رواه أحمد في مسنده.

الجاهل الذي تتلاعب به الأهواء والملذات والشهوات فإن قلبه أسود لكثرة بواعث الشيطان فيه، فتظهر إرادة الشر على أفعاله، حتى تصبح عادة فملكة فيطبع بها، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

○ ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْفَرَ صُفِّلَ قَلْبُهُ وَإِذَا زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الرَّأْنُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين/14﴾<sup>(١)</sup>.

وما أكثر القلوب الصدئة المتعفنة لكثرة الخطايا والذنوب المتكررة، قال رسول الله ﷺ:

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنِ أَشْيَاءَ رَحْمَةً «لَا عَنْ نِسْيَانٍ» فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا﴾<sup>(٢)</sup>.

فالهجر الهجر والابتعاد والاجتناب والزجر عما حرم الله بإجراء عقلي سلوكي فعلي.  
عن جابر، قال:

- ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْهَجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْ تَهْجُرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- وعن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: ﴿اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup>.
- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء/32.

<sup>1</sup> - رواه الترمذي برقم/3334.

<sup>2</sup> - رواه الطبراني.

<sup>3</sup> - رواه أبو داود/1449/جزء من الحديث.

<sup>4</sup> - رواه أحمد في مسنده/8534/والترمذي برقم/2305.



أي لا تدنُ من الزنا، واللفظ أبلغ من (لا تزنا) لأنه يفيد النهي عن مقدمات الزنا كالمس والقبلة والنظرة والغمزة وغير ذلك مما يجر إلى الزنا، فالنهي عن القرب أبلغ من النهي عن الفعل<sup>(١)</sup>.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: ((ينزع منه الإيمان في الزنا))، وقد روي مرفوعاً أخرجه أبو جعفر الطبري من طريق مجاهد عن ابن عباس سمعت النبي ﷺ يقول: ﴿مَنْ زَنَى نَزَعَ اللَّهُ نُورَ الْإِيمَانِ مِنْ قَلْبِهِ فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَرُدَّهُ إِلَيْهِ رَدَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما يؤكد أن بعض المورثات السلوكية السيئة والضامرة قد ظهرت لضعف الوازع الإيماني مما يقوي هوى الشهوة الجنسية لتتركب العقل فتقوده ويقع ما لا يحمد عقباه.

الخوف كل الخوف من ظاهرة المساكنة التي بدأت تظهر علناً وهي نمط من العهر الحديث حيث يعيش الزاني مع زانيته علناً تحت سقف واحد، وعلّة السبب يقولان بسبب الأوضاع الاقتصادية وغلاء المهور، فألغينا فكرة الزواج! واخترنا المساكنة؟ إضافة للزواج العريفي دون موافقة ولي الأمر! وكله تحت سقف الزنا، لكن بمسميات زائفة تليق بالعصر.

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 643.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/6772/.

<sup>3</sup> - فتح الباري في صحيح البخاري، ج 3 ص 531.

والأخطر من هذا اللواطه فالفاعل والمفعول به لا يملكون أدنى مقومات العقل بل ميل وشهوة شيطانية مرضية، لا يقبلها عقل ولا دين ولا عرف، انحلال أخلاقي عقلي كامل إنه شذوذ وانحراف عن الفطرة وليس اضطراب هرموني أو وراثي.

عن أبي عباس قال رسول الله ﷺ: ﴿مَلْعُونٌ، مَلْعُونٌ مَّنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ﴾<sup>(١)</sup>.  
والمصيبة أكبر وأعظم أنهم يتسلحون في دول الغرب بالقوانين التي تسمح وتعلن الزواج المثلي بينهما وتحت سقف واحد؟ وأنها من حقوق الإنسان؟! وعنه ﷺ قال:  
﴿سِحَاقُ النِّسَاءِ زِنًا بَيْنَهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنهم يشعرون بلذة حيوانية سافلة، فلا زاجر ولا ناهي عقلي، فيدمنون على فعلها كما يدمن شارب الخمر والمخدرات على الإدمان، فيتطبعوا على فعل الفاحشة وعنه ﷺ قال: ﴿أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغِيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضَلَّاتِ الْهَوَى﴾<sup>(٣)</sup>.

هذه الشهوات الماجنة المنحرفة، والأهواء المزينة من الشيطان ونفس أمارة تظهر أفعال قبيحة التي أوجبت انكساراً وذللاً ومرضاً وحرزناً طويلاً، لأنهم استسلموا لشياطين الإنس والجن:

○ ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فاطر/8.

<sup>1</sup> - رواه أحمد في مسنده برقم/1878/و/2909.

<sup>2</sup> - رواه الطبراني في الكبير.

<sup>3</sup> - رواه أحمد في المسند.

وقيل فيهم:

وكل امرئ يدرى موافقه شده  
ولكنه أعمى أسير هواه  
يسير عليه الناصحون بجهدهم  
فيأبى قبول النصح وهو يراه

وعنه عليه السلام قال: ﴿حُبُّ الشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ﴾<sup>(1)</sup>، أي يعمي صاحبه عن سلوك طريق الرشد ويصمه عن سماع صوت الحق ويعميه عن قصد رشده وفي الأثر: ((ما تحت أديم السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع)).

لأن موافقة النفس الأمارة بالسوء على ما تريد وتشتهي دون لجمها وقمعها بالموعظة والرهبه والخوف من عقاب الله سيؤدي إلى استكانة النفس لهواها، لكن المال واليوم الموعود آت.

○ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>92</sup> ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

الحجر/92-93.

○ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ آل عمران/30، قرب ساعة شهوة أورثت ندماً عظيماً.

المؤمن العاقل يبتعد عن التحايل في أي أمر يتعلق بشرع الله عز وجل، وما الحيلة إلا لإباحة الحرام وإسقاط الواجبات.

قال النبي عليه السلام: ﴿لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتُ الْيَهُودُ، فَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَدْنَى الْحَيْلِ﴾، صارت في عرف الفقهاء، إذا أطلقت: يقصد بها الحيل التي تستحل بها محارم كحيل اليهود، وكل حيلة تتضمن إسقاط حق الله تعالى أو الأدمي فهي مما

<sup>1</sup> - رواه أبو داود برقم/5130/وأحمد في مسنده.

يستحل بها المحارم<sup>(١)</sup>، وقال ﷺ: قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ فَجَمَلُوهَا فَبَاعُوهَا<sup>(٢)</sup>، أي أذابوا الشحوم لكي يزول عنها اسم الشحم فباعوها .

وكذلك البدع هي نوع من التحايل والتلاعب بالمنهج الرباني، وعنه ﷺ قال: كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

○ قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة/275 .

○ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ النحل/116 .

فتعالوا نردد اللهم ألقنا بجلالك عن حرامك....

---

<sup>1</sup> - ابن القيم: إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان، ص323 .

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/2223 .

## ثمرة إعمال العقل كوسيلة

### وعظية لإثارة الخوف والرهبه باليوم الموعود

تبين لنا أن العقل المطبوع بصفاته وخواصه الرشيدة ووظائفه يقوم بإجراء غائي نتيجة لحدث ما يستدعي منه الضبط والاكتفاف والسيطرة على هوى النفس وشهواتها بآليات متعددة:

هي إما ذهنية أو قولية أو فعلية - حركية لكي يعالج به حدث ما :

الآليات العقلية التي تحدث عنها رسول الله ﷺ قال: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضعفُ الإِيمَانِ، وَكَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ﴾<sup>(١)</sup>.

الإجراء الأول فعلي وتتمثل بحركة الجوارح (فليغيره بيده)، الإجراء الثاني قولي يحركه اللسان (فبلسانه)، الإجراء الثالث قلبي ذهني ويتمثل في القلب -الواعظ العقلي.

في حديث النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبِي الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْحَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَعْوَجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لِمَا تَفْتَحُهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحَهُ تَلَجَّهُ، فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالِدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه مسلم.

<sup>2</sup> - رواه أحمد في مسنده.

واعظ الله المكنون في قلب كل مسلم هو العقل الواعظ الزاجر الناهي عن فعل القبائح وهو لمة الملك في قلب كل مسلم يضعف تأثيره بضعف الإيمان فتضعف الرهبة والخشية، وتزداد بواعث الشيطانية وبواعث الهوى فيستحوذ على قيادة النفس لتسول لها ما تشاء، لكن بقوة الإيمان تقوى بواعث الخير والخشية والرهبة من الله فتقوى لمة الملك.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾  
الحجرات/4.

ومثال عن الإجراء السلوكي القولي والفعلي للعقل:

ذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب، فأدب العبد عنوان عقله<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الشريف: ﴿وَرَجُلٌ دَعَتِهِ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ إِنَّ أَخَافِ اللَّهَ﴾<sup>(٢)</sup>، قال إني أخاف الله إجراء عقلي قولي وفعلي.

○ قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ البقرة/44.

<sup>1</sup> - تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص 811.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/6806/جزء من الحديث.

إجراء قولي وفعلي بالأمر بالخير ولا يفعله علماء اليهود: ((أفلا تنظرون بعقولكم التي رزقكم الله إياها حيث لم تنتفعوا بما لديكم من العلم))<sup>(١)</sup>.

(أفلا تعقلون): الاستفهام هنا للتوبيخ، يعني أفلا يكون لكم عقول تدركون بها خطأكم، وضلالكم؟.

والعقل هنا عقل الرشد، وليس عقل الإدراك الذي يناط به التكليف، لأن العقل نوعان: عقل هو مناط التكليف «وهو إدراك الأشياء، وفهمها» وهو الذي يتكلم عليه الفقهاء في العبادات والمعاملات، وغيرها، وعقل الرشد: وهو أن يحسن الإنسان التصرف وسمي إحسان التصرف عقلاً، لأن الإنسان عقل تصرفه فيما ينفعه<sup>(٢)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الأنفال/2.

أي خافت ورهبت فأوجبت لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، لأن الخوف من الله تعالى أكبر علاماته أن يحجر صاحبه عن الذنوب<sup>(٣)</sup>.

وما الوجل إلا استشعار الخوف من الله عز وجل بهذا الخوف يكبر واعظ الله في قلب المؤمن ويقوى عقله الزاجر مخافة الله فيحجر صاحبه عن الأفعال السيئة والأقوال السيئة فهذا إجراء عقلي حركي فمن ذكر الله مخافته ترك ذنبه.

عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿كَانَ الْكُفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَأَ يَتَوَرَّعَ عَنْ ذَنْبِ عَمَلِهِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَاراً عَلَى أَنْ يَطَّأَهَا، فَلَمَّا

1- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ص78، ج1.

2- تفسير القرآن لابن عثيمين سورة البقرة، ج1 ص158 وص193، ج3.

3- تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص308.

أَرَدَهَا عَلَى نَفْسِهَا ارْتَعَدَتْ وَبَكَتْ: فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ ؟ قَالَتْ: لَأَنَّ هَذَا عَمَلٌ مَأْ  
عَمَلْتَهُ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَةُ. فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أَنْتَ هَذَا مِنْ مَخَافَةِ اللَّهِ ! فَأَنَا  
أَحْرَى أَذْهَبِي فَالْكُ مَا أَعْطَيْتُكَ وَوَاللَّهِ مَا عَصَيْتَهُ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ فِي لَيْلَتِهِ،  
فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَرَ لِكُفْلِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ﴿<sup>(١)</sup>

لحظة وعظ واحدة في قلب العاقل ممزوجة بمخافة الله وتوبة صادقة  
مطهرة لطباع النفس، يقول الجنيد يرحمه الله: ((الإنسان لا يعاب بما في طبعه،  
إنما يعاب إذا فعل بما في طبعه))<sup>(٢)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل/90.

إن ضابط الواعظ هو الكلام الذي تلين به القلوب، وأعظم ما يلين به قلوب  
العقلاء أوامر ربهم ونواهيهم، فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم  
امتثالهم، وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم امتثالهم، وطمعوا فيما  
عنده من الثواب في اجتنابه<sup>(٣)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ الرحمن/46.

عن مجاهد: ((هو الذي إذا هم بمعصية ذكر مقام الله عليه فيها فانتهى، وقال  
أيضاً هو الرجل يذكر الله عند المعاصي فيحجر عنها))<sup>(٤)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه الترمذي برقم/2496.

<sup>2</sup> - ذم الهوى لابن الجوزي، ص436.

<sup>3</sup> - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ص544.

<sup>4</sup> - ذم الهوى لأبي الفرج بن الجوزي، ص183.



بهذا الخوف والوجل والواعظ في قلب المؤمن يستقيم أمره، لكن حذر رسول الله ﷺ من محقرات الذنوب كالإصرار على صفائر الذنوب فقال: ﴿إِيَّاكُمْ ومحقرات الذنوب، فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَهْلِكَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

هنا لم يكن مقام الخوف والوجل من الله كافياً فكان وهناً في الواعظ العقلي، فالإصرار على الذنوب تهلك صاحبها أما حال المؤمن الخائف الوجل يرى ذنبه هكذا كما قال ﷺ قال: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأختم بقول ابن مسعود: ((إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن زرع خيراً فيوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً فيوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع))<sup>(٣)</sup>.

---

<sup>1</sup> - رواه الإمام أحمد في مسنده.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/5833.

<sup>3</sup> - ذم الهوى لابن الجوزي، ص436.

## البند السابع:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

### لإظهار العدل وتحقيق موازينه

كل نظر عقلي سليم يستحيل أن يخالف كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ،  
فالعدل من أسماء الله تعالى والله يأمر بالعدل:

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل/90.

الإسلام قائم على العدل، والعدل نقيض الظلم، وحرّم الله الظلم على نفسه وعلى  
عباده:

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ يونس/44.

وبعث رسولنا العظيم ﷺ بالشرعية السمحة لإقامة العدل.

وجبلت الإنسان تميل بطبيعتها إلى حب الهوى، وبذلك يميل الإنسان عن الحق  
والعدل وتكون نتائجه، وخيمة هنا مكمّن الموضوع، العاقل كل تصرفاته وأعماله  
وأقواله موزونة بميزان إيمانه فالقرآن أعظم ميزان نتبين به أعمالنا وأقوالنا  
وتصرفاتنا .

وعقل المؤمن ميزان للحالة التي أمامه فلا تعارض مطلقاً بين العقل والمنقول.

فلو تُركَ للمرء حب الطغيان والكبر والاستعلاء على الآخر وتضخيم الأنا لوقع في  
مصائب شتى، ولكن حكمة الله تعالى في كبح طباع النفس الميالة للهوى أن يلجمها  
بلجام العقل لضبطها وزجرها عن عمل المستقبّح من الأعمال فتكون له الجنة:

○ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿40﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ  
الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات/40.

لو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ، ولما قال رسول الله ﷺ:  
﴿حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ﴾<sup>(1)</sup>.

والخسارة كل الخسارة أن يفقد الإنسان توازنه فيميل إلى الطغيان، وحب الدنيا  
والغفلة والعصيان، فيختلس الهوى قيادة النفس للتحويل ليس فقط لأمانة بالسوء  
بل للتحويل إلى النفس الخبيثة.

○ ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ ﴿37﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿38﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ  
الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات/37-40.

لذا العاقل يسعى للتوازن وعدم الميل والانحراف:

○ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾  
فصلت/46.

فلا غلو وتشدد وبالمقابل فلا فلتان ولا تميع ولا كثرة اللامبالاة، وأعظم نتائج  
التوازن اطمئنان النفس والرضا بما قسمه الله.

فلا يأس ولا قنوط بل:

○ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر/53.

فلا قنوط من رحمة الله ولا طغيان:

---

<sup>1</sup> - إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، ص974.

○ ﴿لَا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ 8 ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا

الْمِيزَانَ﴾ الرحمن/8-9.

فالإنصاف هي المعاملة العادلة وذلك ألا يأخذ من صاحبه المنافع إلا مثل ما يعطيه، ولا يُنِيلُه من المضار إلا مثل ما يناله<sup>(1)</sup>.

حتى في العلاقات الاجتماعية بحاجة إلى توازن وإنصاف، والمجانسة تكون بالمجانسة، وكما قيل الصاحب صاحب، لذا فالذي يكون مع أهل الهوى لن يناله إلا الهوى، والذي مع أهل الذكر يصبح منهم.

وكل الشريعة الإسلامية قائمة على التوازن ففي العبادات:

الصلاة: فحقيقتها الابتعاد عن الرذائل والمنكرات وتزكية النفس فالصلاة تدفع المسلم إلى توازنه الروحي فيشحن بطاقة نورانية خلقة تطهر نفسه.

قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ حَافِظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبِرَهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾<sup>(2)</sup>.

الصيام: هو منهج الجسد والروح، هو تسليم زمام الإرادة الإنسانية إلى بارئها فتستكين بواعث ورغبات النفس وأهوائها فتذلل النفس بالصيام مع الجسد.

الزكاة: المجتمع خليط من البشر منهم الفقير ومنهم الغني، منهم البخيل ومنهم المسرف وما الزكاة إلا مطهرة للنفوس تعيد للمجتمع توازنه.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 497.

<sup>2</sup> - رواه أحمد في مسنده، جزء من الحديث.

فلا بغضاء وحقد وحسد من طرف الفقير، بل رحمة ومحبة ورضى وسعادة من الغني للفقير: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة/103.

الحج: يعيد التوازن الروحي لكل من يحج فالمخطئ والمذنب والمسرف على نفسه بالحج تغسل الذنوب منه والحج العبادة الوحيدة التي تجمع بين المال والجسم.

وأخيراً عوداً على بدء، بالتقوى تحفظ الجوارح والنفس توازنها فيرتبط الإنسان بخالقه ويبتعد عن الدنيا وما الدنيا إلا قطرات عسل فليرتشف المؤمن رشفة قليلة من عسلها ينجو ومن غرق في عسلها هلك.  
اللهم أت نفسي تقواها وذكها أنت خير من ذكاها.

تعالوا معاً لنعرف كيف يستطيع العاقل أن يكون في حالة توازن دائماً علينا أن ندرس المحاكمة العقلية... لتتابع....

## البند الثامن:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة للوم

#### النفس وفلترة الأفكار الصادرة والواردة

##### «المحاكمة العقلية»

المؤمن العاقل دائماً في حالة متجددة من السمو لذا فهو يحمل، خاصة النقد والمحاسبة الذاتية الوجدانية:

○ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ 14 ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ القيامة/14-15.

التي لا تتم إلا بفلترة التصورات الذهنية التي ستتحوّل إلى مفاهيم، ولاحقاً معتقدات قد تكون ظنية وهمية أو حقيقية، فالبداية البداية من الخاطرة هل حامله للخير أم الشر؟ هل هذه الخاطرة وحديث النفس تحمل طاقة سلبية لأي حدث أو مشكلة، مثال ذلك أحدهم ناجح لكن، أفكاره تتجه للاستعلاء والكبر.

الأخر موظف بسيط جميع التصورات الذهنية تحفزه على السرقة، والأخر يحمل تصورات ذهنية يحب فعل الفاحشة دعونا نسميها ملفات ذهنية أولية مشوشة في أذهانهم.

قد تتحوّل إلى أفكار تدفع النفس إلى فعلها هنا الدور يقع على العقل إما أن يفلتر هذه الأفكار التسلطية القبيحة، قبل أن تمتلكه فيهوى فيها، وإما أن يكبح هذه الخواطر السلبية فيلوم ذاته لهذه الأفكار الواهية المستقبحة، فيمسك زمام عقله وإرادته بإلغائها نهائياً والتوجه إلى خالقه والدعاء له لكي يرتاح من تسلط هذه الأفكار الاقتحامية عليه.

- استبدال هذه الأفكار «التصورات الذهنية» بأفكار متجددة بعيدة عن الأفكار المتعفنة التي راودته والتي قد تسول نفسه وشيطانه عملها .
- المتابعة والاستمرار على خلق عادة جديدة والصمود والثبات على إنهاء وفترة الأفكار الاقتحامية بمساعدة الأصدقاء المخلصين من أهل السلوك الحسن لإزالة العوائق ودفعه لترك هذه الأفكار .

فتهذيب وتزكية النفس والجوارح بمحاسبتها وهو عين المجاهدة تبدأ من فترة الأعضاء وما تستقبل وهي العين - الأذن - اللسان - البطن - الفرج - اليد :

○ قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ انور/30.

أليس من الجوارح الأرجل:

○ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا﴾ الإسراء/37.

أليس السمع والبصر بوابات الإدراك:

○ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء/37.

أليس باللسان يستبين الكفر والإيمان:

○ قال ﷺ: ﴿لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ، حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ﴾<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - وراه أحمد .

○ قال ﷺ: ﴿لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيٍّ﴾<sup>(١)</sup>.

المؤمن العاقل قوله ذكر ونظره عبرة وصمته فكرة:

○ قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ق/18.

محاسبة الإنسان لذاته ولو في خلوة مسائية مع نفسه يسألها ويلومها أين مكمن التقصير؟ ما هذه الأفكار التي رصدت اليوم؟ لماذا قلت كذا، لماذا ضاع اليوم بدون أي جديد تعلمه لأخرتك؟ يقول النبي ﷺ: ﴿لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَا عَلِمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فتعالوا كلنا نبادر بمحاكمة عقلية لوامة لكي نطهر أنفسنا من الأفكار والأعمال والأقوال السيئة قبل أن ينتهي العمر وتكون الندامة.

كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى بعض عماله: ((حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضى والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد إلى الندامة والخسارة)).

فالنفس عدو منازع يجب مجاهدتها لترويضها ودفع هواها عن ركوبها.

○ قال ﷺ: ﴿الْمُؤْمِنُ بَيْنَ خَمْسٍ شَدَائِدٍ: مُؤْمِنٌ يَحْسِدُهُ، وَمُنَافِقٌ يَبْغِضُهُ، وَكَافِرٌ يُقَاتِلُهُ، وَشَيْطَانٌ يُضِلُّهُ، وَنَفْسٌ تَنَازَعُهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه الترمذي.

<sup>2</sup> - أخرجه الترمذي.

<sup>3</sup> - أبو بكر عبد الله بن محمد المعروف بـ ابن أبي الدنيا: كتاب مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف، إحياء علوم الدين: الغزالي، ص 986.



وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((كان يضرب قدميه بالدرّة إذا جنى الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم؟)).

تدبر عاقبة الأفعال والأعمال والأقوال، ففي الخبر:

أن عليه الصلاة والسلام جاءه رجل فقال: ﴿يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي فَقَالَ: أَمْسُتُوصِي أَنْتَ ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ فَإِنْ كَانَ رَشْداً فَأَمْضِهِ وَإِنْ كَانَ غِيّاً فَأَنْتَهُ عَنْهُ﴾.

أما معنى عاقبته فالعاقبة إطلاقها يختص بالثواب نحو والعاقبة للمتقين وقد تستعمل في العقوبة نحو فكان عاقبتهما أنهما في النار<sup>(١)</sup>.

فعندما يتدبر الإنسان عاقبة إقدامه لقول أو فعل ويعرف أنه به هلكته، ينتهي عنه لأنه عقل نتائج العاقبة، عنه رضي الله عنه قال: ﴿الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي﴾<sup>(٢)</sup>.

فتعالوا نستفيد من الصحة قبل المرض ومن الغنى قبل الفقر، ومن الشباب قبل الهرم، ومن قيمة الوقت قبل ضياعه، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: ﴿كُلُّ النَّاسِ يَعْدُو، فَبَانِعِ نَفْسَهُ فَمَعْتِقَهَا أَوْ مَوْبِقَهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

وما الوقت إلا أنفاس معدودة تخرج من صدورنا وسينتهي زمنها بفراق الدنيا.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 343.

<sup>2</sup> - أخرجه الترمذي برقم/2459/ وأحمد في مسنده.

<sup>3</sup> - صحيح مسلم برقم/223/.

أيام تمر على بعض المرضى كأعوام، وبعض الناس يمضي عمرهم بالقييل والقال، والغفلة عن الآخرة، ولم يعمل لأخرفته شيئاً، فاليوم دار عمل وتوبه، وغداً دار حساب وجزاء فالذي يحاسب نفسه اليوم يهون عليه حساب الآخرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: ﴿أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ؟ قَالُوا: مَنْ لَّا دُرْهُمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطِي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّارِ﴾<sup>(1)</sup>.

فتعالوا ننقذ أنفسنا من النار وندعو الله اللهم آت نفسي تقواها وزكياها أنت خير من زكاها .

---

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم.

## البند التاسع:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

### لحسن الظن بالله وثبات اليقين

الظن: اسم لما يحصل عن أمانة ومتى قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت جداً لم يتجاوز حد التوهم<sup>(1)</sup>.

فالظن ظنان ظن الحسن وهو المحمود وهو ظن العلم والاعتقاد، وهي حاله تعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة فيجوز الحكم بها.

○ وظن السوء والشك وهو مذموم: أن يقع في النفس شيء من غير دلالة كقوله تعالى: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾ الفتح/6.

○ قال رسول الله ﷺ: لَأَيُّمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ وَهُوَ بِحُسْنِ الظَّنِّ فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرَادَهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ، قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَادَكُمْ فَاصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فصلت/23<sup>(2)</sup>.

○ وقد يعمل الظن بمعنى اليقين قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة/46.

الذين يظنون أي يتيقنون، والظن يستعمل في اللغة العربية بمعنى اليقين<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 320.

<sup>2</sup> - رواه الإمام أحمد من مسنده.

<sup>3</sup> - تفسير سورة البقرة للشيخ محمد بن عثيمين، مجلد الأول، ص 166.

قيل لعمر بن العاص: ((ما العقل؟ قال: الإصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان)).

وقال عمر بن الخطاب: ((من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه))، إنما ركب الله العقل في الإنسان دون سائر الحيوان يستدل بالظاهر على الباطن، ويفهم الكثير بالقليل<sup>(1)</sup>.

أحد السلف الصالح يقول رأس مالك قلبك ووقتك، وقد شغلت قلبك بهواجس الظنون، وضيعت أوقاتك بارتكاب ما لا يعينك، فمن يربح من خسر رأس ماله<sup>(2)</sup>.

فالظن السيئ وغلبة التوهم ينتج الاعتقاد الخاطئ، وهي نتائج لمنبع واحد، هو ضعف التعليل أي عدم القدرة على فهم السبب المسبب بمعنى عدم ربط العلة بالمعلول، فحامل الظن السيئ والوهم ينظر للحوادث التي تظهر أمامه بجهالة وسفاهة عقلية لا واعية لعدم التدقيق فيها وسطحية المعنى من الفهم، لذا تكثر الخرافة والأوهام وأحاديث السحر والشعوذة عند فئة من الواهية عقولهم، فيؤمنون بالخرافة والخزعبلات والعرافة والأوهام نتيجة تشكيل صور ذهنية لهذه المسميات، وتتشكل لاحقاً التفكير الأعوج المنحرف لضعف الوازع الديني لأنهم رضوا بالشياطين الإنس والجن أن تعبت بهم.

إن عملية اجتناب الظن والشك والوهم يقوم بها المؤمن العاقل الذي يدفع الشبهات والريبة قال تعالى:

○ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا﴾ النور/12،  
لأن المؤمن العاقل يملك قوة التعليل وربط العلة بالمعلول فتراه يتفحص

<sup>1</sup> - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج2، ص117.

<sup>2</sup> - ذم الهوى للإمام أبي الفرج بن الجوزي، ص437.

ويفلتر في عقله كل الأحداث قبل أن يصدر الحكم فيها ويبتعد عن ظن  
السوء.

وعنه ﷺ قال: ﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تُحْسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا  
تَتَاجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغُضُوا وَلَا تُدَابِرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا﴾<sup>(1)</sup>.

فعلينا أن ندع الخلق للخالق، وقيل قديماً ما أبحر إنسان في نوايا الناس، إلا غرق.  
فعلينا بالظاهر، والله يتولى السرائر.

○ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ  
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ الحجرات/12.

علينا أن ننصح أولادنا الابتعاد عن بعض الناس الذين يؤثرون عليهم ليس بقوة  
حجتهم، بل لخبثهم ومكرهم، فيؤثرون على الشبيبة التي في ريعان الشباب  
فيقومون بغسل عقولهم لمأرب أخرى قد تكون بعيدة عن الحقيقة فيجنحوا إما  
للتطرف والغلو الديني أو باتجاه إدمان المخدرات والسرقة.

هنا دور الأهل في متابعة أبنائهم والحرص على الحوار معهم للسير بهم إلى بر  
الأمان، فقلة اليقين تنتج الريبة والظنون.

وأما علم اليقين فهو سكون الفهم مع ثبات الحكم<sup>(2)</sup>.

ولا يظهر إلا عندما يصل اليقين إلى القلب فيمتلئ نوراً، فلا ريب ولا ظن ولا وهم  
فيه.

---

<sup>1</sup> - رواه البخاري (قيل التجسس بالجيم) هو البحث، وبالحاء: هو ما أدركه الإنسان ببعض  
حواسه.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن الأصفهاني، ص553.

المؤمن العاقل عقل أوامر الله ونواهيه وعرف توحيد الله وكمال قدرته وأنه المستحق للعبادة وعقل عن الله حججه وآياته فكان من أهل اليقين.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ تَبِعًا لِمَا جُنَّتْ لَهُ﴾<sup>(1)</sup>.

وقال الحسن البصري: ((ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب، وصدقه العمل، إن قوماً ألتهتم الأمانى، حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا: نحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل))<sup>(2)</sup>.

فحسن الظن بالله مرتبط بقوة الإيمان واليقين الثابت.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجَهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ النساء/125.

---

<sup>1</sup> - رواه أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي في كتابه شرح السنة.

<sup>2</sup> - صفوه التفاسير الصابوني، رقم 259.

## البند العاشر:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

### لإظهار الحجة والبرهان والبيينة

هناك من العلوم لا تأتي إلا بفتح من الله عزّ وجل لبعض الناس من ذوات العقول العاملة المتبصرة ومنهم أهل الحجة، والحجة هي الدلالة الميينة للحجة أي القصد المستقيم والذي يقتضي صحة أحد النقيضين<sup>(1)</sup>.

ذكر في القرآن الكريم مناظرة إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه وغلبهم بالحجة الواضحة:

○ قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ الأنعام/83.

أما أهل الكفر فحججتهم داحضة:

○ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ

دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الشورى/17

والبرهان ببيان للحجة، وأؤكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً:

○ قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة/111.

○ وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ النساء/174.

---

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص115.

هذه كلها دلالات عقلية واضحة بيّنة، والبيّنة هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة<sup>(1)</sup>.

والبيان الكشف عن الشيء، وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود لإظهاره نحو هذا بيان للناس:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(34)</sup> ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت/34 - 35.

تركنا من ديار قوم لوط أثاراً بيّنة لقوم يعقلون العبر<sup>(2)</sup>.

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق.

<sup>2</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص 637.



## البند الحادي عشر:

### ثمرة إعمال العقل

#### وسيلة إعزاز وعلو همة النفس

العزة: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب، فقد يمدح بالعزة تارة:

○ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المتفقون/8.

هي العزة الدائمة الباقية:

○ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الصافات/180.

ويذم بها تارة:

○ قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ ص/2.

والعزة هنا هي التعزز وهو في الحقيقة ذل:

○ قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ فاطر/10.

○ كما قال عليه الصلاة والسلام: ﴿كُلُّ عِزٍّ لَيْسَ بِاللَّهِ فَهُوَ ذُلٌّ﴾<sup>(1)</sup>.

○ قال ﷺ: ﴿مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ، إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ﴾<sup>(2)</sup>.

أي: يامن يريد العزة، أطلبها ممن هي بيده، فإن العزة بيد الله ولا تتال إلا بطاعته<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص336.

<sup>2</sup> - رواه مسلم.

<sup>3</sup> - تفسير كريم الرحمن للسعدي، ص694.

أي من كان يريد العزة التي لا ذلة فيها، من الله وصدق في طلبها بافتقار  
وذلل، وسكون وخضوع، وجدها عنده إن شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه:

○ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّونَ  
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ النساء/139.

○ قال ﷺ: ﴿مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ طَلَبَهَا مِنْ غَيْرِهِ وَكَلَّهَ إِلَى مَنْ  
طَلَبَهَا عِنْدَهُ، وَقَدْ ذَكَرَ قَوْمًا طَلَبُوا الْعِزَّةَ عِنْدَ مَنْ سِوَاهُ﴾.

فأنبأك صريحاً لا إشكال فيه أن العزة له يعز بها من يشاء ويذل من يشاء، وعنه  
ﷺ مفسراً لأية: ﴿مَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ فَلْيُطِيعِ الْعَزِيزُ وَمَنْ اعْتَزَّ بِالْعَبْدِ أَدَّلَهُ اللَّهُ،  
وَمَنْ اعْتَزَّ بِاللَّهِ أَعَزَّهُ اللَّهُ﴾<sup>(1)</sup>.

عندما تكون حالة القلب سليمة صافية للمؤمن العاقل فإنه يتطلع دائماً لأن تكون  
كرامته عالية وثقته بنفسه قوية ويرفض الذل والمهانة والوضاعة، فلا يستطيع  
الإنسان أن يصل لهذا إلا بقلب مملوء بالتقوى وعقل متدبر بإرادة صالحة، هو يعلم  
أن العزة لله ولكن تطلب بطاعة الله ورسوله، وهذه بعض وصايا أمير المؤمنين علي  
كرم الله وجهه يوصي من أحب إياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها  
وعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب<sup>(2)</sup>.

والوضاعة ليست من سمات المؤمن العاقل.

○ قال تعالى: ﴿إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ الشورى/39.

إن العزة والتمكين لا تأتي إلا من حب الله ورسوله ﷺ.

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج3، مجلد 7 ص450.

<sup>2</sup> - عبقرية الإمام علي كرم الله وجهه لـ عباس محمود العقاد، ص30.

○ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ المائدة/54.

## البند الثاني عشر:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

#### دراسة التاريخ والاعتبار من قصص القرآن

○ ﴿قَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف/11.

القصص القرآنية واقعية صادقة، تقوم بتأصيل التاريخ الصحيح، وهي أداة للتربية، وأداة للتذكير والاعتبار والاتعاظ، استرجعها الوحي للتعليم والاعتبار، والقصة القرآنية كأن أحداثها شريط حي أمامنا، نشاهد العراك بين الحق والباطل، بين أهل الإصلاح والإفساد.

وتعلمنا أن الذين أسرفوا واستكبروا بغير حق وأصموا أذانهم عن سماعه، ماذا كان مصيرهم؟.

○ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ 83 ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ 84 ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾  
غافر/83-85.

اندثرت هذه الأمم وبقيت أثارها لتعلمنا، ونعتبر مما حل بهم من كوارث وابتلاءات ربانية، إنها سنن الله في أرضه نتيجة حتمية للكبر والجحود والعتو والبطر على الحق، وأهل العقول تلهمهم هذه القصص ليتعضوا من تجارب الآخرين والاطلاع على حضارتهم والاستفادة من تجاربهم، إنها دروس التاريخ الماضي:

○ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾  
الحج/46.

أثارهم باقية وسيرتهم محفوظة في القرآن وصاحب النظر العقلي يعي ويفهم  
ويعقل معاني القصص:

○ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت/35.

فقصة لوط عليه السلام مع قومه ونهايتهم:

○ ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ  
مِّنْضُودٍ﴾ 82﴿ مَسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾ هود/82-83.

كثرة المعاصي تهلك الأمم لأنها استقرت في النفوس لضعف الوازع الديني، فأكثرهم  
لاهية قلوبهم وعقولهم واهية، فيقود الهوى النفوس إلى الهلاك، بل تعودوا على  
ذلك وأصبح تقليداً متبعاً فيهم فيكون النهي عن المعاصي مستغنياً بل وجريماً!  
فيمسي الطهر منكراً:

○ ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ  
يَتَطَهَّرُونَ﴾ الأعراف/82.

وهكذا كانت الأمم الماضية أكثرها سادت ثم بادت...

إنه تاريخ الأمم المسطور في كتاب الله، تظهر فيه سنن الله:

○ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الفتح/23.

○ ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يوسف/11.

عبرة وتذكرة أليست قصة يوسف تعلمنا أن الحسد والحقد يمتلك قلوب  
ضعاف الإيمان.

وتعلمنا أن من صبر ظفر:

○ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف/22.

تعلمنا قصة يوسف أن النفس أمانة بالسوء إلا من رحمه ربه:

○ ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ﴾ يوسف/32.

تعلمنا قصة يوسف أن أهل الإيمان والعزيمة لا يحبون الوضاعة ولا الشماتة قال  
لهم يوسف:

○ ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يُغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ يوسف/92.

تعلمنا قصة يوسف أن أهل التقوى هم أهل الثبات والنجاح: من يتق ويصبر فإن  
الله لا يضيع أجر المحسنين.

في نهاية قصة يوسف تحث الآيات أصحاب العقول على الاستفادة والاتعاظ  
والاعتبار من قراءة وفهم ودراسة التاريخ لأخذ العبرة وأن العاقبة للمتقين.

قال الإمام علي كرم الله وجهه: ((ما أكثر العبر وما أقل الاعتبار)).

## البند الثالث عشر:

### ثمرة أعمال العقل وسيلة إجرائية

#### لفهم الأمثال القرآنية لمعرفة دلالاتها العقلية

إن الأمثال وعاء وخزان تجارب الأمم، وتمثل جزء من العرف فيها، وأهم وسائل حفظ الموروث الشعبي تتناقلها عبر الأجيال، وبالأمثال تعرف كثيراً من أخلاق وعادات الأمم.

المثل: عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره.

وضرب الله الأمثال لتحريك ذهن العاقل لفهم الحدث وتعليقه والتفكر به ودراسته، قال تعالى:

○ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر/21.

فوظيفة المثل هي الإقناع والبيان بظهور حجة واضحة بينة لمن يعقله، فيعين صاحبه لفهم المثل والتفكر به<sup>(1)</sup>.

والله عز وجل ضرب الأمثال في القرآن لأن الأمثال أمور محسوسة يستدل بها على أمور غير المحسوسة، والأمثال يفهمها أهل العقول المستتيرة لغناها بالوعظ والاتعاظ.

○ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت/43.

وهذا مدح للأمثال التي يضرِبها، وحث على تدبرها وتعقلها ومدح لمن يعقلها، وأنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 464.

<sup>2</sup> - تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص 638.

هذا هو وظيفة المثل القرآني للبيان والإقناع، فدرجة فهمه وتعقله يقرب العبد العاقل من ربه ويعرفه على قدرته، بهذا الإجراء الذهني للعقل يساعد المثل التعرف على خالق الوجود وعظمته.  
والأمثال تتضمن تشبيه الشيء بنظيره.

فضرب الأمثال في القرآن الكريم يقوي عملية التفكير العقلي وتحليل المعطيات:

○ قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ

خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر/1.

يقول تعالى معظماً الأمر القرآن ومبيناً علو قدره وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدع عند سماعه لما فيه الوعد الحق والوعيد الأكيد، فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتتصدع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم يا أيها البشر ألا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه<sup>(1)</sup>.

---

<sup>1</sup> - مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج3، ص474 - 475.



## البند الرابع عشر:

### ثمرة أعمال العقل التسليم المطلق

#### بالقضاء والقدر ورفض الصدفه

القدر هو العلم الإلهي الذي قدره الله سبحانه من أمور خلقه في علمه الأزلي الغيبي المسطور في كتاب اللوح المحفوظ:

○ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الحج/70.

القدر صورة محفوظة تطابق الأصل بلا زيادة ولا نقصان، فلا يقع أمر، ولا يحصل شيء إلا بعلم الله، ومسطور في اللوح المحفوظ:

○ قال تعالى: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ سبأ/3.

القضاء: هو ما حكم به الله سبحانه من أمور خلقه وأوجده في الواقع.

من لزوم الإيمان بالله عز وجل الإيمان بقضائه وقدره خيره وشره والرضا والتسليم المطلق به:

○ وعنه ﷺ: ﴿أَحْرَصُ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَقُلْ قَدَرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ﴾<sup>(1)</sup>.

فقد دل هذا الحديث أن القدر سابق للأحداث، وأن كل ما يحصل في الكون من الله تعالى وتقديره، والحذر لا ينجي من القدر:

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم.

○ كما قال المصطفى ﷺ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ﴾<sup>(1)</sup>، رواه الترمذي.

فالعاقل يفهم أن كل ما يجري في الكون من أحداث مهما صغرت أو كبرت، يعلمها الله قبل حدوثها، ولا يأتي عبثاً وصدفة، بل حكمة من الله تعالى ويعلم منه، وقد ندرك الحكمة وقد لا ندرك معناها، والمؤمن العاقل عليه التسليم الكامل، والثقة المطلقة بالله وأنه لا يظلم وهو الحق والعليم الحكيم في قضائه وقدره.

((والحكيم الدال على ثبوت كمال الحكم لله وكمال الحكمة:

○ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ التين/8.

فثبوت الحكمة له سبحانه في خلقه وفي أمره وشرعه، حيث يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها))<sup>(2)</sup>، والعاقل عليه الاستسلام والرضا بحكم الله لأن الله لطيف لما يشاء:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف/100.

والحق تقيض الباطل والعبث والصدفة، يقال: ((الحق الموجد الشيء، بسبب ما تقتضيه الحكمة ولهذا قيل، في الله تعالى: ((ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال))، لهذا يقال في فعل الله تعالى كله حق<sup>(3)</sup>:

○ ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يونس/5.

أي لم يخلقه عبثاً بل له حكمة عظيمة في ذلك وحجة بالغة وليس عبثاً:

---

<sup>1</sup> - الشيخ محمد علي الصابوني آمنت بالله، الناشر- المكتبة العصرية، ص 273.

<sup>2</sup> - فقه الأسماء الحسنی لـ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص 209-210 بتصرف.

<sup>3</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 132.

○ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ المؤمنون/115<sup>(1)</sup>.

والله عز وجل الذي يدبر الأمر: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ يونس/3، قال مجاهد: ((يقضيه ويقدره وحده: وقيل: يأمر به ويمضيه... وحقيقة تنزيل الأمور في مراتبها على أحكام عواقبها))<sup>(2)</sup>.

لذا سأتطرق هنا إلى ثمرة إعمال العقل لفهم الأسباب والمسببات:

العاقل يفهم ارتباط الأسباب والمسببات والقضاء والقدر والعلّة والمعلول.

أليس للبشر دور فيما يحصل لهم من الإهلاك؟ بالتأكيد لأن الإنسان مخير وإرادته ومشيتته بقرار منه.

فلا يقع الإهلاك من الله إلا بعد حدوث الظلم من البشر والجزاء من جنس العمل افتراء على الله - الظلم - الفساد - الغفلة - الكفر - الغبن في الأرض - الإسراف - الطغيان الاستكبار - الجحود - وانحراف عن الفطرة السليمة:

○ ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأعراف/30.

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد سخر ما في الأرض جميعاً للإنسان، فالإنسان لمن؟ الجواب: أن الإنسان لله، من واجبه عليه أن يقوم بحق هذا الإله، فيعبده ويشكره على نعمائه، فإذا انحرف الإنسان عن هذا الهدف فقد ضل سواء السبيل، والعقل إذا ترك وشأنه فإنه يعترف بقانون السببية، أي لا يوجد ثمة فعل بغير فاعل، ولا صنعة من غير صانع، وقد وضع ذلك في قول هذا الأعرابي، وقد سئل: ((أتعلم خالقاً لهذا الكون؟ قال: يا سبحان الله، البعرة تدل على البعير، والقدم على المسير،

<sup>1</sup> - مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج2، ص182.

<sup>2</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج2، المجلد الرابع ص458.

أفأرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف  
الخبير<sup>(١)</sup>.

وسأل هارون الرشيد الإمام مالك عن دليل بأن لهذا الكون صانعاً، فاستدل  
باختلاف الأصوات وترديد النعمات، وتباين اللغات، وصدق الله حين قال:

○ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الروم/22.

منهم من آمن بالله، ومنهم من استحب العمى والضلالة:

○ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمُ  
صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فصت/17.

السبب أنهم رفضوا الإيمان فكان طريقهم الضلال يارادتهم:

○ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ  
تَكْسِبُونَ﴾ يونس/52.

○ ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس/33.

فمن فهم الأحداث وصيرورتها التاريخية، وفهم العلة والمعلول فهم معنى القضاء  
والقدر، وأن الجزاء من جنس العمل، فالإسراف والبطر تكون نتيجته هكذا:

---

<sup>1</sup> - د. محمد الصادق عفيفي: الفكر الإسلامي مبادئه، مناهجه، قيمه، أخلاقياته، مكتبة  
الخانجي، ص43..

○ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ النحل/112، والعلة هنا أنهم كفروا بأنعم الله.

والنتيجة ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي فقدوا الأمن ومسببات الحياة من المأكل والمشرب لكفرهم بأنعم الله، أليس هذا من صنع إرادتهم!.

سنرجع جميعاً إليه ونقف للحساب، قال تعالى:

○ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ يونس/4.

إنه دين العلم دين يعرفك بالعلة والمعلول، عندها نفهم معنى القدر، فقدر الله هو علمه الأزلي الغيبي المسطور في كتاب اللوح المحفوظ، وأنواع القدر كثيرة منها لا قدرة لأي مخلوق على رده أو دفعه، ويقع ضمن حركة الكون وقوانينه المسيرة بأمر الله كالسوف والخسوف والانفجارات الكونية، وحركة الأجرام:

○ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ يس/38.

وجزاء منه يقع على أهل الأرض كالموت والبلاء والرزق:

○ قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ آل عمران/185.

○ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ الرعد/26.

هذا النوع من القدر المسطور لا يمكن بأي حال لأهل الأرض ردة أو دفعه لكن الإنسان له المشيئة وإرادة اختيارية، ولهذا أقام الله عليه الحجة بالتكاليف الشرعية فالإنسان تقع عليه المسؤولية الاختيارية المتصلة بالأعمال الاختيارية،

وهنا الجزاء من جنس العمل بها يتعلق الثواب والعقاب وبها يفوز بالفوز المبين وجنة عرضها السموات والأرض لأنه نجح في الامتحان والاختبار، ومنهم من ضل فخسر الخسران المبين، ونار الجحيم مصيره فالذي يعتقد بأن الله عز وجل يجبر أحداً على طريق الضلال ليدخله النار هو جاهل متهافت عقلياً، فالله تعالى أعظم وأجل وأعدل، لكن الإنسان هو المسؤول بإرادته الاختيارية السير على طريق الهداية أو الضلال، فلا احتجاج على القدر يا أيها الإنسان:

○ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ الكهف/29.

فأهل الشقاء هم أرادوا ذلك:

○ ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ التوبة/70

أعمالكم وتصرفاتكم الحمقاء ووجودكم لله تعالى واستكباركم أوصلكم إلى دار الشقاء الأبدي فلا تعتذروا اليوم إنما هو جزاكم:

○ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التحريم/7.

والقضاء والقدر من أركان الإيمان، فالذي يؤمن بالقضاء خيره وشره ستظهر عليه علامات:

■ الاستسلام لحكمة الله والتوكل عليه يقيناً: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ

اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة/51.

■ الإيمان بالقضاء والقدر يجعل المؤمن العاقل المتبصر يرفض الجذع والخوف عند ملاقاته العدو.

يقول أبو بكر رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه: ((أحرص على الموت توهب لك الحياة)).

■ الإيمان بالقضاء والقدر تعطي الثقة والعزة للمؤمن، لأنه عزيز بإيمانه بالله فلا يذل لأحد إلا لله سبحانه.

لأنه علم أن النافع والضار والمعز والمذل هو الله ولا يحدث شيء إلا بأمر الله، فالخلق خلقه والأمر أمره فهل بقي لأحد شيء بعد ذلك! فلا يؤخر أمراً إلا لخير ولا يحرملك أمراً إلا لخير، فالخيرة فيما اختاره الله لنا:

○ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يونس/49.

○ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ التغابن/11.

لا ملجأ إلا إليه ولا غوث إلا به والتسليم بقضائه وقدره في كل الابتلاءات والمصائب والمحن التي يمر بها المؤمن العاقل عليه أن يتضرع إلى خالقه لكي يفرج همه وغمه والرضا ثم الرضا بقضائه وقدره والتسليم لأمره عندها يرفع الابتلاء:

○ قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يونس/107.

إذاً لا يرفع الابتلاء إلا بالتسليم المطلق بقضاء الله خيره وشره وهنا نفهم حكمة الابتلاء.

وبلوته أي اختبرته... وقيل أبلت فلاناً إذ اختبرته، وَسَمِيَ الْغَمَّ بِلَاءٍ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ يُبْلَى الْجِسْمُ:

○ قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ابراهيم/6.

○ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة/155.

وسمي التكليف بلاء من أوجه:

أولها: أن التكليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء.

وثانيها أنها اختبارات:

○ قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ

أَخْبَارَكُمْ﴾ محمد/31.

وقد تكون شدة البلاء عظيمة مترافقة مع حزن أليم، كقول زينب رضي الله عنها لحظة وداع لأخيها الحسين عليه السلام: ((لقد قطعت نياط قلبي يا أخي)).

وثالثها: أن اختبار الله تعالى للعبادة تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء.

والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين، وبهذا النظر قال عمر: ((بلينا بالضرء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر، وقال: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع في عقله))<sup>(1)</sup>.

والابتلاء بكل أنواعه بحاجة ماسة إلى الصبر، لكي ينجح الإنسان في الاختبار، وذلك بضبط داعي هواه وشهوات نفسه ليكون عبداً مستسماً لله ولا يتم إلا بالخضوع والصبر لحكمته النافذة وبكامل المحبة:

○ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ

الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران/142.

فتعالوا معاً لتتعرف على ثمرة إعمال العقل وسيلة للثبات والصبر على البلاء.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص71.



## البند الخامس عشر:

### ثمرة إعمال العقل وسيلة

#### للثبات والصبر على الابتلاء

الصبر: الإمساك في ضيق، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو كما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سميت صبراً لا غير ويُضدّه الجزع، وإن كان في محاربة فسمي شجاعة ضدها الجبن، وإن كان في نائبه مضجرة سمي رحب الصدر وتضاده الضجر، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً ونبه عليه بقوله:

○ ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ البقرة/177.

○ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ آل عمران/200.

أي احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم، وقوله: واصطبر لعبادته أي تحمل الصبر بجهادك، والصبور القادر على الصبر والصابر، يقال إذا كان فيه ضرب من التكلف والمجاهدة، بقوله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور<sup>(1)</sup>.

فحكمة الله في خلقه للبشر أن ركب لهم العقل والشهوة، فمن عبّد نفسه وطوعها على أن تعقل ما أمر الله، ونهى النفس عن ما حرم الله، عندها يصل إلى كامل

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 277.

التسليم لخالفه، وقد قيل: ((واعلم وفقك الله، أن الصبر مما يأمر به العقل، وإنما الهوى ينهى عنه))<sup>(1)</sup>.

فكلما صبر العبد على المكاره كلما صعدت وارتقت نفسه وسمت للأعلى، وهنا تظهر حكمته سبحانه وتعالى في التفاوت بين العباد وتحمل مشاق الطاعات والصبر عليها بالخضوع والتذلل لمسبب الأسباب، ودوام شكر العبد لما حل له، والشكر يقتضي التواضع والاعتراف بفضل الله، وبالشكر تدوم النعم، والخوف كل الخوف من أن نألف النعم ونتعود عليها نعمة الأمن - نعمة الصحة، فألفها دون شكر منعمها الله عز وجل تكون غفلة ونسيانها جحوداً:

✓ ﴿تَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ابراهيم/7.

وما الصبر إلا فعل اختياري ضابط للإرادة الإنسانية العقلية التي يتحكم بها المؤمن التقى ويحتسب الأجر على الله بنيته الصادقة لوقف وحجر داعي الهوى، والانفعال، والتهور المذموم، فيدفعه دفعاً للابتعاد عنه:

✓ الصبر عن شهوة الجنس سمي عفة.

✓ والصبر عن إجابة داعي الغضب سمي حليماً.

✓ والصبر عن إجابة داعي الانتقام والتشفي سمي صنفحاً.

✓ والصبر عن إجابة داعي الحقد والضعينة سمي تسامحاً.

✓ بالصبر يخمد داعي الشيطان ويجعله خامداً فتتحول النعمة إلى نعمة.

---

<sup>1</sup> - ذم الهوى للإمام أبي الفرج بن الجوزي، ص 63.

قال رسول الله ﷺ: ﴿الصَّبْرُ ضِيَاءٌ﴾<sup>(1)</sup> لأنه نور من الله، يرسله للمؤمن، ليعصمه من الانهيار نتيجة الابتلاء، فيكون الصبر ضياءً وسكينة له لأنه قضاء الله، فيتماسك وينتظر الفرج:

○ قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ آل عمران/186.  
المؤمن العاقل يؤمن بأن الخير كله من الله عز وجل، وأن عليه الصبر والشكر في السراء والضراء:

○ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ التغابن/11.

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿الْإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفُ صَبْرٍ، وَنِصْفُ شُكْرٍ﴾<sup>(2)</sup>.  
بهذا الصبر يُثَبَّتُ باعث الخير في قلب المؤمن ممزوجاً بالسكينة وبه تقمع الشهوات وقهرها (باعث الهوى)، أو ليس من المهام الأساسية للعقل الضبط ونهي النفس عن الهوى.

وأصل كلمة الصبر: هو المنع والحبس، فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوهما<sup>(3)</sup>.  
والصبر هو حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله:

○ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ الرعد/22.

---

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم برقم/223/ جزء من الحديث.

<sup>2</sup> - أخرجه أبو منصور الديلمي.

<sup>3</sup> - ابن القيم: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص14.

العاقل يفهم بأن عليه حبس النفس عن الجزع والهلع فيضبطها بقوة الإيمان، ويرضى بقضاء الله خيره وشره ويدعو الله ليكشف الضر والسوء، ويشكر الله في السراء والضراء، قال رسول الله ﷺ: ﴿عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَهُ سُوءٌ شُكِرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ﴾<sup>(1)</sup>.

لأنه يعلم بأن الله تعالى يملك الضر والنفع:

○ ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ يونس/49.

فالعاقل أوعى بأن عليه الاستعانة بطوق النجاة، بالصبر والصلاة:

○ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة/153، بالصبر تناولوا كل فضيلة، وبالصلاة تنتهون في كل رذيلة<sup>(2)</sup>.

فتعالوا ندعُ الله عزَّ وجل اللهم أهدني الصبر وحسن التصرف، اللهم اجعلني صبوراً، واجعلني شكوراً.

بعد أن تحدثنا عن بعض ثمرات إعمال العقل سنتجه إلى من تهافتت عقولهم.

تعالوا نتابع معاً...

<sup>1</sup> - رواه مسلم.

<sup>2</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 90.

## تهافت عقول الأشقياء

إن المعركة بين الحق والباطل ليست جولة واحدة، إنها صراع طويل:

○ يقول تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ الأنفال/42.

الإسلام دين القيم الحكيمة لكن بالطرف الآخر يوجد من يحمل مفاهيم شريرة يعتقد أنها قيم بل الغرابة كل الغرابة أن أكثر الناس يعبدون أهواءهم، بدلاً من عبادة الله فاطر السموات والأرض الذي أحسن إليهم وأكرمهم، ما هذا التناقض العجيب؟! يعتقدون أنها مفاهيم وقيم خاصة بهم؟! منهم من يعبد البشر، ومنهم من يعبد البقر، والشمس، والقمر، نعم اجتالتهم شياطينهم ونفوسهم الأمانة بالسوء عن الطريق المستقيم.

هذا الانزلاق في متاهة الهوى، هو انفلات من قيود الأوامر الإلهية، فالإنسان بما حمل من أفكار وإيراداته التي بناها لنفسه سيكون المسؤول عنها، فمن أحب العزة والعلو الإيماني ارتفع بعقله السليم ورفع معه نفسه فارتقت وسمت نفسه، وأما الجاهل بربه فشرده هواه وضل ضلالاً بعيداً، فنزل وهوى إلى مزبلة الحضيض.

قال عبد الله بن مسعود: لأصحابه في ذلك الحين: ((أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان)).

عندها تكون الغلبة والقوة لداعي الهوى فيسقط منازعة الدين بالكلية فيستسلم البائس للشيطان وجنده، فيقودونه حيث شاءوا وله معهم حالتان:

إحداها: أن يكون من جندهم وأتباعهم، وهذا حال العاجز الضعيف.

والثانية: أن يصير الشيطان من جنده وهذه حالة الفاجر القوي المتسلط كما قال قائل: ((وكنت إمرأً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي))<sup>(1)</sup>.

إن التصورات والخواطر السلبية والأفكار الواهية تنشئ ظنوناً واهية نتيجة استنتاجات ذهنية جاهلة تميل بصاحبها إلى الهاوية.

○ قال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ﴾ النساء/157.

لأن العقل المتهاوي لم يستطع التحكم وضبط هذه الأهواء والشهوات والآراء والمعتقدات الفاسدة، فكان مصيرهم الضلال:

○ ﴿وَإِنْ كَثِيراً لِيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الأنعام/119.

عندها تتشكل قناعات واهية ثم يتعشقها القلب وتتحول إلى صفة يحملها الإنسان ويسمى باسمها فتسول له نفسه الأمانة بالسوء عمل القبائح والفواحش:

○ ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة/81.

<sup>1</sup> - ابن القيم: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص48.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا شَقِيٌّ قِيلَ: وَمَنِ الشَّقِيُّ؟ قَالَ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِطَاعَةٍ، وَلَا يَتْرُكُ لِلَّهِ مَعْصِيَةً﴾<sup>(1)</sup>.

هؤلاء يملكون قلوب لاهية غافلة مشحونة بحب الهوى والشهوات المنكرة فتتهافت عقولهم بتلذذهم وتطبعهم بخدمة أهوائهم فلا يتركون لله معصية.

وأهم أسباب تهافت عقول الأشقياء (الشطط العقلي): الانحراف الفكري للنفس البشرية عن الفطرة التي فطرها الله عليها إلى عشق العقائد الفاسدة، فالإيمان لا يصح مع عقل أسن متعفن.

الذين يحملون لواء الإلحاد فتتكر قلوبهم بالإيمان بالله تعالى، لأن الملحد يريد إله على هواه حتى يؤمن به، هؤلاء المهزومين يمجدون أوهامهم وأفكارهم الميتة.

○ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الجاثية/24.

يحملون أفكاراً واهية يدافعون عنها ويستमितون إليها، وما لهم بها من علم إلا استكباراً عن الحق وإتباع الظن، هم الذين وضعوا الأغلال والقيود في عقولهم المتهافئة.

لكن الله عز وجل سلب العقل عنهم:

○ قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً

وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ البقرة/171.

---

<sup>1</sup> - أخرجه الإمام أحمد .

## صفات الحمقى المتهاففة عقولهم:

حب الهوى: هو ميل النفس إلى ما تستلذه من الشهوات، من غير داعية الشرع وتؤدي إلى الشطط العقلي وتهافته، فالهوى: ميل الطبع إلى ما يلائمه<sup>(1)</sup>.

وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهي، فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذي فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفراط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار<sup>(2)</sup>.

فالنفس تهوى ابتداءً وتشتهي ما يضرها ولا ينفعها فتسول لصاحبها القيام بذلك، وكلما كان الطبع الإنسان ميالاً لهوى النفس كلما ابتعد عن التكاليف الشرعية وكلما ابتعد عن الإيمان وعن وعي العقل، وعلى عكس المؤمن العاقل الذي ضبط هواه وشهواته بقيود التكاليف الشرعية.

فالإفراط في الهوى مذموم عقلاً، لأنه يهوى بصاحبه إلى النار، وينساق لهواه حتى يصبح معبوده فيضله عن الصراط المستقيم:

○ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الجاثية/23.

وها هو إبراهيم (عليه السلام) يقول لقومه:

○ ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنبياء/67.

○ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص/26.

<sup>1</sup> - علي بن محمد الجرجاني: في التعريفات، ص320.

<sup>2</sup> - ابن الجوزي: ذم الهوى والشهوات، ص27-28.



وعن قتادة قال: ((كلما هوى شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع، ولا تقوى))<sup>(1)</sup>.

فالمعاصي سببها هوى النفس، والانقياد إليها توصله إلى الهاوية والزيغ:

○ ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف/5.

فالحذر الحذر من مهادنة النفس والسير معها دون ضابط عقلي، قال بشر: ((اعلم أن البلاء كله في هواك، والشفاء كله في مخالفتك إياه))<sup>(2)</sup>.

فالجاهل هو من يتبع هواه في لذة محرمة وشهوة تورث ندماً، أما العاقل بإرادته العاقلة الواعية يعرف عاقبة هذه اللذات، فيقمع طبعه، ويكبح هواه، ويدفعه دفعاً بعزيمة الإرادة.

فتستقر وتثبت القيم التكليفية له:

○ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ﴿40﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات/40.

إنه يعلم أن عواقب إتباع الهوى والشهوات وخيمة في الدنيا والآخرة، أما الجاهل الأحمق فلا يعرف أن الهوى إن زاد يصدأ القلب برين الهوى، فيغلبه ويطبع على قلبه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأشد من المعصية أن ينزع الله قبحها من القلب.

فلا يرى إلا هواه فيصبح أسيراً، فيشط عقله، ويصبح ذليلاً مقهوراً لأن هواه غلبه فيصبح كالكلب يلهث.

<sup>1</sup> - أضواء البيان للشنقيطي، ص1414.

<sup>2</sup> - د. ماهر بايزيد: لنين منظومتنا الأخلاقية ص110.

○ قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾ الأعراف/176 .

لهذا حذر الله عز وجل من إتباع الهوى:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ الأنعام/159 .

○ وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: ﴿أَيَا عَائِشَةَ: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا مِنْهُمْ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمَ قَالَ: هُمْ أَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ، وَأَصْحَابُ الْبِدْعِ، وَأَصْحَابُ الضَّلَالَةِ، مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَا عَائِشَةُ: إِنَّ كُلَّ ذَنْبٍ تَوْبَةٌ، مَا خَلَا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ لَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ، أَنَا مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ﴾<sup>(1)</sup> .

حب الشهوات:

أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده وقد تكون شهوة صادقة وشهوة كاذبة.

فالشهوة الصادقة: ما يختل البدن من دونه كشهوة الطعام عن الجوع.

والشهوة الكاذبة: ما لا يختل من دونه، وقد يسمى المشتهي شهوة وقد يقال للقوة التي تشتهي الشيء شهوة:

○ ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ آل عمران/14<sup>(2)</sup> .

هؤلاء الذين شحنوا عقولهم بحب الشهوات الماجنة والخواطر الشريرة والقناعات الفارغة لكثرة الدواعي الشيطانية في قلوبهم فتظهر المورثات السلوكية السيئة للعيان،

<sup>1</sup> - ابراهيم بن موسى الشاطبي: الموافقات في أصول الأحكام، الكتاب الثاني، ج4، ص81 .

<sup>2</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص271 .

تطغى على قلوبهم فتتحول سلوكياتهم إلى سلوكيات دنيئة تنطبع على القلوب الغافلة والعقول التافهة:

○ كما قال تعالى فيهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾  
الأعراف/179.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مَن أُمَّتِي أَقْوَامَ تَتَجَارَى بِهِمُ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ لِصَاحِبِهِ لَأَيَّقَى مِنْهُ عُرْفٌ وَلَا مَفْصَلٌ إِلَّا دَخَلَهُ﴾<sup>(١)</sup>.

هؤلاء فقدوا حتى إنسانيتهم فكانوا كالذئاب المسعورة يبطشون ويفعلون الرذيلة قلوبهم منكرة لأي وازع ديني.

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: شَهَوَاتُ أَعْيٍ فِي بُطُونِكُمْ وَفِرْوَجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى﴾<sup>(٢)</sup>.

أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: ((يا داود حذر وأنذر أصحابك من أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا أثر شهوة من شهواته أنه أحرمه طاعاتي))<sup>(٣)</sup>:

○ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ النساء/27.

المؤمن العاقل يجعل من عقله رقيباً ضابطاً على جميع شهواته وأهوائه، فيا أيها المؤمن العاقل تذكر قول رسول الله ﷺ: ﴿الْكَيْسُ مَن دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ

<sup>1</sup> - سنن أبي داود برقم/4597.

<sup>2</sup> - رواه أحمد في مسنده.

<sup>3</sup> - مختصر ابن كثير للصابوني، ج2، ص455.

الموتِ والعاجزِ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ<sup>(1)</sup>، والعاجز هو القاصر عن فعل الشيء، الكيس أي العاقل.

فالإسلام لم يمنع الشهوات - الأكل - الجنس - المال لكن شريطة عدم المغالاة:

○ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ الأعراف/31.

ولم يحرم شهوة الجنس بل يجب تصريفها بالزواج الحلال:

○ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ الروم/21.

وشهوة المال والسلطان:

○ قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ص/26.

إنما الذي حرمه الإسلام الإفراط والغلو بالشهوات.

وصى بعض الحكماء رجلاً، فقال: ((أمرك بمجاهدة هواك، فإن الهوى مفتاح السيئات وخصيم الحسنات وكل أهوائك بك عدو، وأهواها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى))<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه الترمذي/2459/وأحمد في مسنده.

<sup>2</sup> - أبو حامد الغزالي: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، ص90.

## النفس الأمارة بالسوء:

النفس الأمارة بالسوء تجعل الشيطان قرينها وصاحبها فهو يعدها ويمنيها، ويقذف فيها الباطل، ويأمرها بالسوء، ويربها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها، ويمدها بأنواع الإمداد الباطل من الأمانى الكاذبة والشهوات المهلكة<sup>(1)</sup>.

فتظهر السلوكيات السيئة في هذا القلب وتطغى عليه لكثرة دواعي الشر وإغواء الشيطان ووسوسته فيه تقوى لمة الشيطان فيميل إلى الشر لضعف الأضداد فيه فالوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة لمة الملك.

هنا عند هؤلاء الحمقى المتهافتة عقولهم قويت لمة الشيطان في قلوبهم، وظهرت المورثات السلوكية الإغوائية لعمل الشر والمعصية وخنست المورثات السلوكية الحسنة فيهم، لأنهم عبدوا أهواءهم فسلط الله عليهم شياطين الإنس والجن فكانت نفوسهم أمارة بالسوء:

○ قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ الجاثية/23.

فتعالوا معاً ندرس صفات الحمقى وتهافت عقولهم الذين ارتضوا أن يكونوا من جند إبليس، وأصر على إضلالهم قال تعالى:

○ ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ 16 ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف/17.

<sup>1</sup> - كتاب الروح لابن قيم الجوزية، ص 289.

## الغفلة وطول الأمل:

الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ واليقظ، قال تعالى:

○ ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ الكهف/28.

عن ذكرنا أي تركناه غير مكتوب فيه الإيمان وقيل معناه من جعلناه غافلاً عن الحقائق<sup>(1)</sup>.

هؤلاء يحملون عقولاً غافلة نتيجة انغماسهم بحب الدنيا وطول الأمل:

○ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ الروم/7.

والله عز وجل كان لهم بالمرصاد:

○ ﴿سَاءَ صَرَفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ الأعراف/146.

○ وعنه ﷺ: ﴿أَوَّلُ صَلَاحِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْيَقِينِ وَالزُّهْدِ، وَأَوَّلُ فَسَادِهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ﴾<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 364.

<sup>2</sup> - رواه البيهقي في شعب الإيمان.

## إتباع الظن:

وقد يكون الظن في كثير من الأمور مذموم قال تعالى:

○ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ النجم/23.

فالذين يتبعون الأوهام والظنون ينحرفون رويداً عن جادة الحق وتتحرف بوصلة عقولهم إلى الهاوية، وأصحاب الظنون السيئة لا يظنون بالناس إلا الشر، هذا هو خبث الباطن.

الوسوسة: الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو الهمس الخفي:

○ ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ طه/120.

بهذه الوسوسة يحاول الشيطان أن يبرمج قلب الإنسان على بث الخواطر الشريرة، وبواعث الشر في قلبه لكي تنمو وتظهر حب السلوكيات السيئة في مورثاته القلبية فيتغلب عليه، فيأتيه من باب المعاصي، فإن امتنع يأتيه من باب البدع، فإن أبى يدخل عليه باقتحامه لوسوسته، فيشككه بصلاته ووضوئه، أو يبث وسوسته في قلبه، بأن أعماله الخيرة يحكى بها بين الناس، فيحيل قلبه إلى الزهو والإعجاب بنفسه وبه يهلكه، وبذلك يسعى الشيطان الرجيم إلى تغيير برمجة قلب الإنسان بزيادة بواعث الأنا والحقد، فينقلب القلب قال تعالى:

○ ﴿وَنَقَلَبَ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ الأنعام/110.

○ وعنه ﷺ قال: ﴿الْقَلْبُ فِي تَقْلِبِهِ كَأَلْقَدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلِيَانًا﴾<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه أحمد والحاكم.

## الجحود العقلي:

نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه<sup>(١)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ انمل/14.

أي ليس جحدهم مستنداً إلى الشك والريب، وإنما جحدهم مع علمهم ويقينهم بصحتها ظلاماً منهم لحق ربهم ولأنفسهم<sup>(٢)</sup>.

أي من داخلهم يعرفون الحق لكن عتوهم وجحودهم رفضوا الإيمان.

## الضلال العقلي:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

النساء/167.

**الضلال:** هو العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ يونس/108، ويقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً، يسيراً كان أم كثيراً فإن الاستقامة والصواب يجري مجرى المقرطس من المرمى وما عداه من الجوانب كلها ضلال<sup>(٣)</sup>.

ومن أصعب معاني الضلال، الضلال عن معرفة الله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء/136، وأصل الضلالة الحيرة والجور عن القصد وفقد الاهتداء.

فكل طريق لا يؤدي إلى المقصود كالذي يدور في حلقة مفرغة هو ضلال.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 95.

<sup>2</sup> - تيسير الكريم الرحمن للسعدي، ص 607.

<sup>3</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 301.



الكذب على الله ورسوله ﷺ:

○ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

المائدة/103 .

اللهو العقلي:

ما يشتغل الإنسان عما يعنيه وبهمه، أي اشتغلت عنه بلهو<sup>(1)</sup>.

لا هية قلوبهم وعقولهم فتركوا أهوائهم بدون تعقل ولا تدبر فأصبحت ساهية مشتغلة بما لا يعينها .

○ قال تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر/3 .

فمن أراد الانغماس واللهو في الدنيا أضاع آخرته، لأنه أثر الحياة الدنيا:

○ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ 103 ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف/104 .

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ، أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ

بِدُنْيَاهُ، فَاتَرَوْا مَا بَقِيَ عَلَيَّ مَا فَنِي﴾<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 458 .

<sup>2</sup> - رواه أحمد في مسنده .

## تزيين الشيطان لأعمالهم:

○ قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الأنفال/48.

هنا التزيين والزخرفة يختبئ داخله الشر والضلال فتعمى عقول بعض الواهمين لكي يصل الإنسان إلى الذلة وأهل الخسة والإفساد في الأرض لأنهم ارتضوا لأنفسهم وعقولهم أن تعبت بهم شياطين الإنس والجن، بتزيين الحرام حلال.

جاء في الحديث القدسي: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنْفَاءَ، وَأَنْتَهُمُ اتَّهَمُ الشَّيَاطِينِ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾<sup>(1)</sup>.

رفاق السوء:

إن شياطين الإنس أخطر من شياطين الجن، لأنهم من بيئة واحدة، اجتمعوا على عشق الهوى وحب الشهوات.

وبها تقترب قلوبهم الخرية وعقولهم اللاهية والواهية فيتعلمون من بعضهم فنون العري، والسفاهة وشرب الخمر، والمخدرات، هؤلاء الصحبة السيئة التي تؤدي إلى الخذلان يوم القيامة:

○ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ

سَبِيلًا﴾ 27 ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ 28 ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ

الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ الفرقان/29.

عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَمَحَامِلِ الْمَسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلِ الْمَسْكِ إِمَّا أَنْ يَجْزِيكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا

<sup>1</sup> - رواه مسلم، جزء من الحديث.

إِنَّ تَجِدَ فِيهِ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً ﴿١﴾.

فظاهرة إدمان الشباب للمسكرات والمخدرات، يؤدي إلى اختلال العقل بفقده الوعي والإدراك ويختل توازنه ويفقد الإنسان السيطرة على نفسه، ويضطرب كلامه ويصبح كلامه هذيان، ولا يعرف ما يقول وقد يشتم هذا وذاك، وتضطرب الرؤيا ويفقد التركيز لما حوله ويضطرب تفكيره فيتصرف تصرفات طائشة.

والخمر اسم لما خامر العقل وغطاه من الأشربة، وكل مسكر خمر لما روي عن أنس أنه قال: (( حرمت الخمر وهي من العنب، والتمر والعسل، والحنطة، والشعير، والذرة ))<sup>(٢)</sup>.

○ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ المائدة/91.

أما المخدرات فهي مواد طبيعية أو مصنعة، تحتوي على مواد مسكنة يستفاد منها للأغراض الطبية، لكن استخدامها بغير محلها والتعود عليها مما يزيد من سميتها على أجهزة الجسم وخاصة الجملة العصبية وبالتالي اضطراب الأوامر للجهاز الحركي للجسم مما يؤدي إلى الوهن والخمول وعدم الرغبة في العمل وتخور قوته بالكامل، وضعف التركيز، والتمييز، والوعي، والإدراك، فالمدمن على المخدرات بكافة أنواعها يجعل من نفسه سلعة رخيصة لبيع نفسه وعرضه للحصول على

<sup>1</sup> - رواه مسلم/2628.

<sup>2</sup> - محمد علي الصابوني: روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن، المجلد الأول، ص407.

المخدرات فعندما يختل العقل يفعل بصاحبه الأفاعيل، فينزلق لمتاهات الهوى وحب المعصية ويزين الشيطان أعماله، فينفلت العقل من قيد الخضوع والطاعة:

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾<sup>(1)</sup>.

الترف المادي والتقليد الأعمى:

الترف هو أول مظاهر الفساد في المجتمع، والمترفين هم الأدوات التي تفتك بحسم المجتمع لكي يصل إلى الهاوية إذا فسقوا:

○ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء/16.

وأما التقليد الأعمى:

○ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ الأعراف/28.

هكذا هم دائماً يقولون وجدنا آباءنا يفعلون ويقولون ويؤمنون بهذا، ونحن كذلك نتبعهم فبدل أن يدركوا الحقائق ويتبعون الحق قلدوا آباءهم فكانت النتيجة تهافت عقولهم فهم على آثارهم يهرعون.

<sup>1</sup> - رواه البخاري.

المجادلة بالباطل ليدحضوا به الحق:

أعموا أبصارهم وبصيرتهم عن صوت الحق، وعطلوا بوابات الإدراكية لعقولهم فكانوا أخس من الدواب.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبَكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الأنعام/22.

والمخاصمة بطبع الإنسان:

○ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ النحل/4.

لكن أن يخاصم خالقه وينازعه في شرعة فهنا عين الكفر، هؤلاء يعتقدون في أنفسهم بأنهم يملكون العلوم والمعرفة لكنهم بالحقيقة لا يملكون إلا الدنائة، فلم تفرق عقولهم بين الخير والشر، منهم من تفنن في بث العقائد الباطلة المنحرفة عن الفطرة السليمة وعن شرع الله، ليدحضوا به بالحق، لكن ديننا يجعل العقل رأس الفضائل ومناطق تكليفه، والعين الساهرة على شرعه:

○ ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الرعد/19.

وكثيراً من الناس من يتصلبون لأرائهم ويستमितون في الدفاع عنها، وهذا هو قمة الغلو فكل ما أنكره شرع الله فهو منكر ولو تعارف عليه الناس، وكل ما عرفه شرع الله فهو معروف ولو أنكره الناس.

## الخبال العقلي:

الفساد الذي يلحق الحيوان فيورثه اضطراباً كالجنون والمرض المؤثر في العقل والفكر<sup>(1)</sup> قال تعالى:

○ ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ التوبة/47.

○ وفي الحديث الشريف: ﴿مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ ثَلَاثًا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ﴾.

وكما حدثنا رسول الله ﷺ عن آخر الزمان أنه يزداد القتل بين أبناء الأمة قَالُوا: ﴿وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ ؟ ! قَالَ: أَنَّهُ لَتَنْزِعَ عُقُولَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَتَخَلَّفَ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ يُحَسِّبُ أَكْثَرَهُمْ إِنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ﴾<sup>(2)</sup>.

## الشطط العقلي:

هو جنوح بالقول بعيداً عن الحق ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ الكهف/14، وما القول والفعل إلا إرادة إنسانية عقلية، لأن بعضهم يبحثون عن الأفكار التافهة ويدافعون عنها.

## الاستعلاء في الأرض وخضة العقل:

مثال ذلك فرعون حيث تشربت نفسه الخبيثة بأنه لا يقدر عليه أحد، بل وبمقدوره أن يلغي تفكير قومه:

○ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر/29.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 148.

<sup>2</sup> - أخرجه أحمد وابن ماجه.

## العتو العقلي:

هو رفض الطاعة، ولا سبيل لإصلاحهم قال تعالى:

○ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ الذاريات/44.

لاعتقادهم الخاطئ بأنهم على صواب.

## السفه العقلي:

السفيه: هو الذي لا رأى له في حسن التصرف.

○ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ

هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة/13.

## الغرور العقلي:

الغرور: كل ما يغرر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد غرر بالشيطان إذ هو أخبث الغاوين بالدنيا لذا قيل الدنيا تغر وتضر<sup>(1)</sup>.

○ ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ النساء/120.

## اللغو العقلي:

اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي يورد لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير، وقد يسمى كل كلام قبيح لغواً:

○ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ المؤمنون/3<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص363.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص455.

من أجل ذلك نهانا الله عزّ وجل الخوض مع أهل اللغو، بل والإعراض عن مجالسهم:

○ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الأنعام/68.

الجهالة العقلية:

ظلمه الجهالة العقلية تؤدي إلى عمى القلب، والجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: وهو خلو النفس من العلم.

والثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

والثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً كمن يترك الصلاة متعمداً:

○ وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذْنَا هُزُؤاً قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة/67<sup>(1)</sup>.

○ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ الزمر/64.

ويقول ابن عاشور في تفسير الجهالة: ((تطلق على سوء المعاملة، وعلى الإقدام على العمل دون روية - أي دون تعقل وتدبر))، لهذا كان الجهل الحمق أصل لكل فساد، والجاهل يفعل بنفسه أكثر مما يفعل العدو بعده.

<sup>1</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص 109.



## الحمق العقلي:

الحمقى هم الذين لا زَبَرَ لهم، وعنه ﷺ قال: ﴿وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ، الَّذِي هُمْ فِيكُمْ تَبِعاً لَنَا يَبْتَغُونَ أَهْلاً وَنَا مَالاً﴾<sup>(1)</sup>.

وقوله ﷺ الضعيف الذي لا زَبَرَ له أي لا عقل له يزيره، ويمنعه عما لا ينبغي... ولعل المراد فيه أنهم الكسالى لا يسعون إلى تحصيل مال ولا ولد، وهم فيكم تبعاً إتباع للرؤساء، لا رأي لهم في الدين<sup>(2)</sup>.

## المكر العقلي:

صرف الغير عما يقصده بحيلة، منه مكر مذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فاطر/43، فأنظر كيف كان عاقبة مكرهم ومنه مكر محمود ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ آل عمران/54، وقال بعضهم: من مكر الله إقبال العبد وتمكينه من إعراض الدنيا ولذلك قال أمير المؤمنين ﷺ: ((من وسع عليه دنياه ولم يعلم بأنه مكر به فهو مخدوع عن عقله))<sup>(3)</sup>.

## المنكر العقلي:

وهو عكس الحسن، وهو الذي ينكره المجتمع والعرف وتقبحه الشريعة، لهذا فإنهم لا يملكون عقولاً ناهية تزجرهم عن القبائح والمنكرات لا باليد، ولا باللسان، ولا بالقلب.

○ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ المائدة/79.

<sup>1</sup> - رواه مسلم، جزء من الحديث.

<sup>2</sup> - يحيى بن شرف النووي: شرح صحيح مسلم، ج1، ص314.

<sup>3</sup> - مفردات غريب القرآن للأصفهاني، ص473.

هؤلاء اتبعوا خطوات الشيطان:

○ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور/21.

وذلك أنهم جمعوا بين المنكر والجهر به وعدم النهي عنه، والمعصية إذا فعلت ينبغي أن يستتر بها لحديث رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ أُبْتَلِيَ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَاذِرَاتِ فَلْيَسْتَتِرْ﴾<sup>(1)</sup>.

الرجس العقلي:

○ قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس/100.

قال الرَّجَّاح: ((الرجس اسم لكل فاسد فذر من عمل، وقال أيضاً: الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة)).

أي ويجعل العذاب على الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستعملون عقولهم فيما ينفع<sup>(2)</sup>.

الخاطئون:

هم الذين كانوا يقصدون تعمداً عمل الخطيئة والإساءة عن قصد ونية مع سبق الإصرار، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾ 36 ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ الحاقة/36-37، والخاطئ هو القاصد للذنب العظيم، أما أهل الإيمان فإن كانت الخطايا من غير قصد فالتوبة والمغفرة لهم ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ البقرة/58.

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 503.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 510.

## الزيغ العقلي:

هو الميل عن الاستقامة:

○ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف/5.

أي لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك، فالزيغ، هو الميل عن الحق إتباعاً للهوى<sup>(1)</sup>.

○ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ آل عمران/7.

○ قال ﷺ: ﴿إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

## العتو العقلي:

حالة رفض الطاعة ولا سبيل لإصلاحها ومداواتها فعتوا عن أمر ربهم:

○ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الأعراف/166.

العجز العقلي: العاجز هو القصور عن فعل الشيء<sup>(3)</sup>، قال عليه الصلاة والسلام: ﴿وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا﴾<sup>(4)</sup>.

الجنون العقلي: حائل بين النفس والعقل<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي، الكتاب الثاني، الجزء الرابع، ص84.

<sup>2</sup> - سنن أبي داود، رقم/4598.

<sup>3</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص325.

<sup>4</sup> - رواه الترمذي/2459، جزء من الحديث.

<sup>5</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص106.

## الكبر العقلي:

هو مرض نفسي عقلي، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم الكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان بالعبادة قال تعالى:

○ ﴿سَاءَ صِرْفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف/146<sup>(1)</sup>.

## الغل العقلي:

الغل مختص بما يقيد به فيجعل الأعضاء وسطه، وغل فلان قيد به:

○ قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ الحاقة/30.

○ ﴿إِذِ النَّاعِلَاتُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ غافر/71<sup>(2)</sup>.

وأهل الغل العقلي هم الذين يتصلبون لأرائهم وأفكارهم وقيدوها بحيث لا يقبلون رأي الآخر ويستमितون في الدفاع عن أفكارهم المتطرفة.

الغي العقلي: الغي جهل من اعتقاد فاسد قال تعالى:

○ ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُم فِي الْغَيِّ﴾ الأعراف/202<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 423 و 424.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 364.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص 369.

## الخبث العقلي:

ما يكره رداءة وخساسة محسوساً كان أو معقولاً وأصله الرديء الدخلة الجاري مجرى خبث الحديد، وذلك بتناول الباطل في الاعتقاد، والكذب في المقال، والقبیح في الأفعال، قال تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ الأعراف/157، أي ما لا يوافق النفس من المحظورات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ النساء/2، أي الحرام بالحلال قل لا يستوي الخبيث ولا الطيب أي الكافر والمؤمن والأعمال الفاسدة والأعمال الصالحة<sup>(1)</sup>، وقيل في خبيث الطوية: ((قد أُرُضِعَ بلبان اللؤم، ورُبِّيَ في حجر الشر، وقُطِمَ عن ثدي الخير، هو عصارة لؤم في قرارة خبث، في أخس جثة)).

البغي: تجاوز الحد في الفساد، يبغيون في الأرض بغير الحق.

الظلم: عن أهل اللغة وضع الشيء في غير مكانه إما بنقصان أو زيادة، والظلم يقال في مجاوزة الحق، ولهذا يستعمل في الذنب الكبير والصغير قال بعض الحكماء والظلم ثلاثة:

الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى وأعظمه الكفر والشرك والنفاق:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ نعام/13.

والثاني: ظلم بينه وبين الناس:

○ ﴿إِنَّهُ لَأَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الشورى/40.

والثالث: ظلم بينه وبين نفسه وإياه قصد بقوله:

○ ﴿فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ فاطر/32<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 147.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 318.

وعلينا أن نفرق بين الظلم الذي هو أخذ حق الغير بدون قهر، والبغي الذي هو أخذ حق الغير تحت القهر وبالقوة، وكله يندرج تحت فعل إرادي عقلي.

#### الفساد العقلي:

الفساد خروج الشيء عن الاعتدال وضده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، بالتفكير والقول والفعل:

○ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الروم/41.

#### الفسق العقلي:

فسق فلان خرج عن حَجَرِ الشرع، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأمر به ثم أخل بجميع أحكامه أو بيعضه، أي الخروج عن طاعة والدخول في كبيرة، كالذي يصلي ثم توقف عن الصلاة، وهناك فسق عمل وفسق عقيدة:

○ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ السجدة/18.

○ وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلأنه أخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة، قال تعالى:

○ ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ الكهف/50.

○ ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور/55.

فالفسق أعم من الكافر والظالم أعم من الفاسق<sup>(1)</sup>.

الذل: ما كان عن قهر، ويقال الذلة والقلّة:

---

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 382.

○ قال تعالى: ﴿تَرَهَقُمُ ذُلَّةٌ﴾ القلم/43.

○ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ المجادلة/20.

إن الذين يحادون الله ورسوله داخلون في جملة الأذلين، لا يوجد أحد أذل منهم لأنهم يعادون ويخالفون ويشاقون، وأصله مخالفة حدود الله التي حدها وهم أعظم الناس ذلاً، والذل: الصغار والهوان والحقارة<sup>(1)</sup>.

ويعجبني قول المصلح الكبير عبد الحميد بن باديس: ((الجاهل يمكن أن تعلمه، والجايف يمكن أن تهذبه، ولكن الذليل الذي نشأ على الذل، يتعذر أن تغرس في نفسه الذليلة المهينة عزة وإباء وشهامة تلحقه بالرجال)).

الجدال العقلي:

المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله، ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وأساس الجدال هو الكبر والعنوة والكفر:

○ ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ غافر/5.

○ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ 3

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ الحج/3-4.

<sup>1</sup> - أضواء البيان للشنقيطي، ص1848.

## علماء السوء وتهافت العقول:

ضرب الله مثلاً عن علماء السوء وصورهم بأخزي وأقبح صورة... الكلب اللاهث لمن رزقه الله العلم النافع فاستعمله لدنياه الفانية فكان العلم خزيًا ووبالاً عليه، لأنه انسلخ منه كما تنسلخ الحية من جلدها ولو بقي متمسكاً بعلمه وبشرع الله لأعزه الله ولرفعه، لكنه آثر هواه فأخذ إلى الأرض بغفلته وحب هواه.

○ قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿175﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾  
الأعراف/175-176.

هؤلاء بعض صفات ونماذج من الذين تهافتت عقولهم وقلوبهم، فكانت إرادتهم إرادة شيطانية تابعة من قلب خرب حاوي إلا من سواد البواعث الشيطانية الشريرة:

○ ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾  
التوبة/69.

إنهم ملة الكفر والضلال أرادوا ذلك، وعزموا على الانحراف، فحكمة الله في إضلال من يضلّه من عباده لا تتم إلا بعد أن يبين لهم الحق من الباطل، فيرفضونه عناداً واستكباراً، عندها يتم معاقبتهم:

○ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾  
التوبة/115.



فأصبحت قلوبهم خربة خالية من بواعث الخير، بل أصبحت منزلاً للشيطان لكثرة بواعث الهوى والشهوات المدنسة بالصفات السلوكية المذمومة، عندها يخنس العقل لكثرة غشاوة البواعث الهوى الشيطانية في القلب فتغلبه، ماذا كانت النتيجة؟<sup>5</sup>.

قلوب خربة، وحواس تسمع وتبصر دون وعي وإدراك وتدبر وتعقل، أنتجت مرضاً في قلوبهم وعقولهم.

علامات مرض قلوب وعقول الأشقياء كثيرة منها :

1) مرحلة الإزاغة: الزيغ: الميل عن الاستقامة.

○ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الصف/5.

لما فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك<sup>(1)</sup>.

2) مرحلة الران: الران صدأ يعلو الشيء الجليل.

○ قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ المطففين/14.

أي صار ذلك صدأ على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفة الخير من الشر<sup>(2)</sup>.

3) مرحلة الطبع: الطبع هو نقش النفس بصورة ما :

○ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد/16.

○ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر/35.

---

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص222.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص214.

○ ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

النساء/155.

هذا الطبع والإبعاد عن توفيقه وفضله إنما كان لكفرهم الذي اختاروه لأنفسهم وآثروه على الإيمان فعاقبهم عليه بالطبع واللعنة<sup>(1)</sup>.

(4) مرحلة الختم: الختم والطبع يقال على وجهين مصدر ختمت وطبعت هو تأثير الشيء.

كنقش الخاتم والطابع، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ البقرة/7.

إشارة إلى ما أجرى الله به العادة أن الإنسان إذا تناهى في اعتقاد الباطل أو ارتكاب محظور يورثه ذلك هيئة تمرنه على استحسان المعاصي، كأنما يختم بذلك على قلبه:

○ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد/16.

وقال بعضهم: ((خَتَمَهُ شَهَادَتُهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾))<sup>(2)</sup>. هؤلاء الأشقياء الذين تهافتت عقولهم وقلوبهم الخربة لا يرجى منهم الخير مطلقاً.

○ قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ

مَعْرُضُونَ﴾ الأنفال/23.

إن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما، فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب، فإنه سبحانه نفى عن

<sup>1</sup> - ابن القيم: التفسير القيم، ص146.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص149.

الكفار سماع المقصود والمراد هو حظ القلب وأثبت لهم سماع الألفاظ التي هي حظ الأذن في قوله تعالى:

○ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿2﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ الأنبياء/3.

وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه، أو تمكنه منها، وأما مقصود السماع وثمرته، والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه بل يخرج السامع قاتلاً للحاضر ماذا قال آنفاً:

○ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ محمد/16<sup>(1)</sup>.

لا بل هناك المزيد:

○ ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ﴾ هود/20.

ما كانوا يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعاً ينتفعون به، ولا أن يبصروا إبصار مهتد<sup>(2)</sup>.

بهذا الجحود والاستكبار والطغيان والمكر عن الحق لا بد من نتائج أخرى لهؤلاء المنهزمين من الكفار والمنافقين... تعالوا نتابع ماذا سلب الله منهم: سلب منهم عقولهم:

○ ﴿وَأَقْبَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ ابراهيم/43، أي جوف لا عقول لها<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - ابن القيم: التفسير القيم، ص 46-47.

<sup>2</sup> - جامع الأحكام العلوم القرآن للقرطبي، المجلد الخامس ج 2.

<sup>3</sup> - جامع الأحكام لعلوم القرآن للقرطبي، ج 3 ص 173.

○ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يونس/100.

○ وروى عن النبي ﷺ أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَعْقَلَ فَلَانًا فَقَالَ: مَهْ إِنَّ الْكَافِرَ لَأَعْقَلُ لَهُ أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك/10.

○ وفي حديث ابن عمر: فزجره النبي ﷺ ثم قال: مَهْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ الحشر/14.  
سلب منهم الإيمان:

○ قال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَأَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ التوبة/12.  
سلب منهم العلم:

○ قال تعالى: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة/93.  
سلب منهم الفقه والفهم:

○ قال تعالى: ﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة/87.

○ قال تعالى: ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ التوبة/127.

○ قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الأنفال/65.

---

<sup>1</sup> - الجامع الأحكام لعلوم القرآن للقرطبي ج3، المجلد التاسع، ص48.

سلب منهم التعقل والتبصر بما يسمع ويشاهد ففقدوا وعيهم وإدراكهم العقلي:

○ قال تعالى: ﴿وَنُطِبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف/100.

○ قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمَعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ النحل/108.

سلب منهم الطمأنينة وقذف في قلوبهم الريبة:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ التوبة/45.

بل كان الله لهم بالمرصاد فأنزل آيات تتهم بعقولهم وينعتهم كالأنعام:

○ ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضْلُ سَبِيلًا﴾ الفرقان/44.

○ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ الطور/32.

أي أم تأمرهم عقولهم بهذا الكذب والبهتان؟، قال الخازن: ((وذلك أن عظماء قريش كانوا يوصفون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم، حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل، وهو تهكم آخر بالمشركين))<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ 43 ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضْلُ سَبِيلًا﴾ الفرقان/43-44.

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 1231.

والمعنى بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون، أي لا تعتقد ذلك ولا تظنه فإنهم لا يسمعون الحق ولا يعقلونه: أي لا يدركون بعقولهم إن هي كالأنعام أي ما هم إلا كالأنعام، بل هم أضل من الأنعام، أي أبعد عن فهم الحق وإدراكه.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: **بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**، قال الزمخشري: ((فإن قلت: كيف جعلوا أضل من الأنعام؟ قلت: لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تلعفها وتتهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وتجنب ما يضرها، وتهدي لمراعيها ومشاربها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العذاب الذي هو أشد المضار والمهلك ولا يهتدون للحق))<sup>(1)</sup>.

هؤلاء الذين تهافتت عقولهم وقلوبهم واجتالتهم شياطين الإنس والجن عن الحق فسقطوا في مستقع الضلال والكفر والعصيان ونهايتهم وخيمة.

○ قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾** 27 ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ 28 ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ الفرقان/27-29.

لكن مهلاً هناك من يريد العودة إلى جادة الحق، وكله بتوفيق وفضل من الله. والله عز وجل لطيف بعباده:

○ قال تعالى: **﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** الحديد/17.

<sup>1</sup> - أضواء البيان للشنقيطي، ص 1414.

أي أعلموا يا معشر المؤمنين أن الله يحيي الأرض القاحلة المجدبة بالمطر، ويخرج منها النبات بعد يبسها، وهو تمثيل لأحياء القلوب القاسية بالذكر وتلاوة القرآن، كما تحيا الأرض المجدبة بالغيث، قال ابن عباس: ((يلين القلوب بعد قساوتها، فيجعلها مخبئة منيية، وكذلك يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة))<sup>(1)</sup>.

---

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 1286.





## لا تناقض بين العقل والنقل

**نور** النقل مدد لإرشاد طاقة العقل، والحكْمُ بالشيء أن تقضي بأنه كذا أو ليس بكذا سواء أُلزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه:

- قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ النساء/58<sup>(1)</sup>.
- سنبدأ البحث من أن أي قضية خلافية، يجب ردها إلى كتاب الله وسنة رسوله:
- قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ الشورى/10.

الإسلام أطلق للعقل مساحات واسعة لينظر ويفكر ويتدبر ويقرر بإرادة اختيارية وله القيادة في ذلك، لكن عليهم أن يفهموا أن العقل محدود الإدراك وهو السبب الرئيسي في أن الشرع منعه من أن يتدخل في علم الغيب «الآخرة» والصراف المستقيم، والجنة، والنار، والروح، بل وفي الذات الإلهية، لا بل حتى في قضايا غير الغيبية، قد يدرك إدراكاً عاماً للمجمل وليس مفصلاً كقضايا الجور، العدل.

لهذا كان النقل والسنة الشريفة تعصم من المهالك نصاً قاطعاً للعدر:

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 134.

- قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ 15 ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المائدة/16 .
- قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة/3 .

ومع هذا هناك من يحب أن يظهر التناقض بين النقل والعقل، بعض العقلاء قد يستنتجون استنتاجات صحيحة مطابقة للحق، وبعضهم يشطط عقله لمنحى آخر. فصريح العقل لا يعارضه الشرع، لكن الحكم للنقل وليس للعقل، فلا معارضة عقلية مهما كانت، لا بالمجادلة ولا بالمعقولات ولا بالأراء، لكتاب الله عزّ وجل، وهؤلاء الذين يجادلون في آيات الله حفنة من أهل الشطط العقلي، يزعمون أن آراءهم وأفكارهم تفند بعض الآيات، هم أهل الريبة والشك لأن أقوالهم معلومة البطلان بصريح المعقول والمنقول.

هم من يريد تفصيل إسلام جديد على مقاسهم ومقاس أهواءهم وأفكارهم ويعتقدون أن العقل وحده قادر على ترشيد الحياة وأن النقل لم يعد صالحاً في هذا الزمان، وهنا يظهرون العقل كأنه إله وهذا ما حدث لـ "نيتشه" حيث أعلن موت الإله وبزوغ الأنا، والعقل لسان القلب ينطق بما يحتويه من معتقدات إيمانية وأخلاقية.

ينطقها اللسان على شكل آراء وأفكار، فمنهم من أعلى شأن العقل أمثال ابن رشد نادوا بسلطان العقل وحاكميته، ومنهم من تمادى في رفض العقل، ومنهم من ينادي بأنهم فقط قرآنيين ويرفضون السنة الشريفة:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (150) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ النساء/150-151 .
- قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر/7 .

لماذا هذا الجدل والخصومة؟

إن التصارع والتصادم بين العقل والنقل مرده هوى النفس، واستعلاء الأنا، على النقل ورفضه إما جملة أو تفصيلاً؛ فأرادوا الخصومة هنا مع الخالق في تكذيب الوحي بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، هؤلاء اعتقدوا أن عقولهم تدرك كل شيء. هي حالة التوازن والتناغم والتوافق بين النقل والعقل الذي له دور هام في مناهج التكليف، لذا العقل يقوم بدوره كضابط للأفعال والأقوال وتقديرها قبل ظهورها بما يوافق النقل حسب استطاعة المخلوق:

- ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة/286 .

- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ التغابن/16 .

هنا قمة التناغم بين العقل والنقل، وتظهر على قلب العاقل وجوارحه بالطمأنينة والسكون.

والعقل يقدر قيمة الفعل والقول ضمن إمكانيته الإدراكية المحدودة الزمانية والمكانية والذي لا يتجاوز حجم الإنسان بالنسبة لحجم الكون!.

فكلما عقل العاقل أوامر الوحي كلما تقارب تقدير الأفعال، لأنه يخضع لأوامر الوحي، وبهذا رفع مقام العقل وجعل منه ظهيراً للنقل في قيادة الحياة، وإذا كان

النقل لم يقدر بعض الأفعال، يكون للعقل دور ظني في النظر العقلي والبحث والاستنباط والاجتهاد في ذلك ضمن الضوابط الشرعية من ينبوع النقل، فصريح العقل لا يعارضه الشرع، بل فضل النقل على العقل بأنه يحميه من تدليس النفس.

فسبحان الله الذي أمر وأحكم نقله وأرسل رسله لُبَيِّنَ للمستخلف ما يجب عليه فعله وما ينبغي، فبين له الطريق المستقيم، والسعادة كل السعادة فيه، وطريق الضلال والشقاء كل الشقاء بمخالفته.

عجبت من اجتماع العقل والسمع والبصر واليد وانكباها عند الكتابة، ومع هذا يحتاج أحذق الكتاب إلى ورق مسطر يهديه حتى لا تنحرف أسطره، فكيف يريد الوصول بهذا العقل المجرد من غير أن يرسمه الله له:

○ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام/153<sup>(1)</sup>.

حكى أبو عمر الداني في كتابه طبقات القراء عن أبي الحسن بن المنتاب قال: ((كنت يوماً عند القاضي أبي اسحاق إسماعيل بن إسحاق، فقيل له: لمَّ جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عزَّ وجل في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ المائدة/44، فوكل الحفظ إليهم، فجاز التبديل عليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر/9، فلم يَجَزَّ التبديل عليهم))<sup>(2)</sup>.

وقد تحدى الله عزَّ وجل من الإتيان بسورة من مثله، وعجزت العرب عن الإتيان ولو بأية واحدة، إنه معصوم ومحفوظ من الله عزَّ وجل، من التبديل والتغيير

<sup>1</sup> - عزام محمد المحيستي: سطور من النقل والعقل والفكر، ص212.

<sup>2</sup> - الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي، ج2، ص32.

والزيادة والنقصان حتى ولو بحرف واحد، وقيد الله عز وجل للقرآن حفظه رجال تتناقله الأجيال إلى يومنا هذا بدون أي تحريف.

وإيضاح مسألة الحكم العقلي أنه عند جمهور ثلاثة أقسام:

الأول... الواجب عقلاً: ومثاله العقل السليم لو عرض عليه وجود خالق هذه المخلوقات لقبته، ولو عرض عليه عدمه، وأنها خلقت بلا خالق، لم يقبله، فهو واجب عقلاً.

الثاني... المستحيل عقلاً: كالجمع بين النقيضين: ومثاله إن كان العقل يقبل عدم وجود خالق لهذه المخلوقات فهو المستحيل عقلاً، كشريك لله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً:

○ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء/22.

○ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ المؤمنون/91.

الثالث... الجائز عقلاً: كإيمان أبي لهب، فإنه لو عرض وجوده على العقل السليم لقبته، ولو عرض عدمه بدل وجوده لقبته أيضاً<sup>(1)</sup>.

فإن السبب المؤدي إلى معرفة الأصول الشرعية والعمل بها هو علم الحس، وهو العقل، لأن حجج العقل أصل المعرفة الأصول، إذ لا تعرف الأصول إلا بحجج العقل<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ص 136 و ص 1197.

<sup>2</sup> - الماوردي: أدب القاضي، ج 1، ص 274.

فالمؤمن التقي يضيء قلبه وعقله كالمصباح من مشكاة الربوبية:

○ ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الحديد/28.

فالعقل هو بمنزلة العين للإنسان التي تبصر نور الشمس، والمتقي هو الذي يبصر بعقله فيتبصر قلبه، فليقادة الحياة الإنسانية بأحسن ما يكون بحاجة إلى التوازن والتناغم بين النقل والعقل، مما يجعل النقل دائماً يحمي العقل من تدليس النفس، عندها يعقل العاقل النقل ويطمئن له وبه، فيحاول تطبيق أقواله وأفعاله وتنزيهه على الواقع بشكل متوازن ودون غلو وتطرف فلا أحد يلغي الآخر بل يتدافعان في مجرى واحد لوصول النفس إلى كامل الطمأنينة التي تنشدها في هذه الحياة، فالنقل من الله هو نور والعقل هبة من الله وهو طاقة النور تترجم وتدرك وتفهم النقل لإنزاله على أرض الواقع، وهو بحاجة إلى هذا المدد النوراني من النقل لإرشاد العقل بدون إفراط ولا تفريط، هذه المنظومة الثنائية المتوازنة بين نور النقل ونور العقل:

○ ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ النور/35.

تصح في أرجاء المعمورة بالتوحيد وإقرار عبودية الإله الواحد الأحد وهي أسمى الأهداف والغايات لخلق الإنسان:

○ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات/56.

فالله خالق الكون ومبدعه إبداعاً يليق بمقامه وجلاله به التناسق الكامل، فلا تفاوت ولا اعوجاج:

○ ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾ الملك/3.

○ ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ الفرقان/2.

فهل بعد الذي قيل هناك تعارض بين النقل والعقل!.

وظيفة العقل الأساسية ومناطق تكليفه تعقل أوامر الله ونواهيه وحدوده لكن في أمور حياة الإنسان فلا بد من إعمال العقل والاجتهاد فيه لأخذ أصوب الآراء وأحسنها، فالؤمن نبيه كيس، قال ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ، فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾<sup>(1)</sup>.

إنه دين يسر وليس بعسر، إنه دين الوسطية وليس بالمتجمد والمتزمت، إنه دين المحبة والتسامح، وأهله ليسوا بأهل الغلو «تعالوا إلى كلمة سواء»، بل يكرهون مظاهر التشدد، فهي الجماعات التكفيرية لفظت من إسلامنا كما يلفظ الزبد من الماء فلا يقبل الغلو والكرهية والحقد والبغي وغير الحق، هؤلاء تركوا شرع الله وحكموا عقولهم المتهاافتة فقتلوا وأعدموا العشرات، وأفسدوا في الأرض، فحللوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله، هذه هي فتنة العقل والإعجاب به، فيميل بصاحبه عن فهم النقل، بل ويحرف معناه رأساً على عقب لغاية في نفسه المريضة فغرور الإنسان بقدرته العقلية، وتضخيم الأنا يجعله ينادي أنا ربكم الأعلى، يريدون أن يحكموا بعقولهم المتشيطنة بأحكام الجاهلية قال تعالى:

○ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ المائدة/50.

نعم اجتالتهم شياطينهم عن فطرة الله تعالى، إنهم أهل الغلو المارقين عن الإسلام يضربون رقاب الناس، فيستبيحون دماء الناس بدون وجه حق. احتكموا لعقولهم الطائشة المتهاافتة وازدراء الأديان بل ورفض العيش المشترك، لكن إسلامنا يدعو:

○ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل/125.

<sup>1</sup> - رواه مسلم في صحيحه.





## المهارات التفكيرية لأولي الألباب

**أولو الألباب** هم نخبة أهل العقول النيرة وخلاصة العقول وأسماهم القرآن أولي الألباب.

فالألباب: هي العقول واحدها لب، ولب الشيء صفوته وخلاصته لذلك سمي العقل لباً<sup>(١)</sup>.

اللب: العقل الخالص من الشوائب، وقيل هو أذكى من العقل، فكل لب عقل وليس كل عقل لب، ولهذا علق الله عزّ وجلّ الأحكام التي لا يدركها إلا العقول الذكية بأولي الألباب<sup>(٢)</sup>.

خاطب الله عزّ وجلّ أولي الألباب بطريقة فكرية عالية المستوى تليق بعقولهم وتليق بما يتفكرون في الآيات المنظورة والمقروءة، فيتأملوا أسرار الكون وإبداع خلقه، لكي يزدادوا معرفة بالله العليم، فأمدهم بالعلم والمعرفة وحسن البصيرة،

---

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 1049.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 449.

والفراسة والحكمة وتدبر الآيات الأحكام، كل هذه الصفات يحملها أولو الألباب فضل من الله عز وجل:

○ قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران/7.

لقد ورد في القرآن الكريم معاني عديدة لمعنى الفكر، وهذه معانٍ متقاربة تجتمع في شيءٍ وتتفرق في آخر.

سمي تذكراً لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه ومنه قوله تعالى:

○ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف/201.

وسمي نظراً لأنه التفات القلب إلى المنظور فيه.

وسمي تأملاً لأنه مراجعة للنظر كرة بعد كرة حتى يتجلى له وينكشف لقلبه.

وسمي اعتباراً وهو افتعال من العبور لأنه يعبر منه إلى غيره فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة تالئة وهو المقصود من الاعتبار، ولهذا يسمى عبرة:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ النازعات/26.

وسمي تدبراً لأنه نظر في إدبار الأمور، وهي أواخرها ومنه تدبر القول:

○ وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ المؤمنون/68.

○ ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء/82.

وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة...  
وسمي استبصاراً وهو استفعال من التبصر وهو تبين الأمر وانكشافه وتجليه  
للبصيرة<sup>(1)</sup>.  
وهذه هي بعض المعاني المتقاربة والتي يتوصل بها للفكرة في عقولنا وتصاغ حسب  
حامل هذا العقل.

تعالوا ندرس معاني وصفات أولي الألباب الذين هم خاصة أهل التقوى....

---

<sup>1</sup> - ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ص217.

## البند الأول:

### الاعتبار العقلي

○ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَابِ﴾ يوسف/11 .  
الاعتبار والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد:

○ قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ الحشر/2 .

والتعبير مختص بتعبير الرؤيا وهو العابر من ظاهرها إلى باطنها، قال تعالى:

○ ﴿إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ يوسف/43<sup>(1)</sup> .

○ قال تعالى: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى﴾ الانزاعات/26 .

فإن من يخشى الله، هو الذي ينتفع بالآيات والعبء فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى وبارز الملك الأعلى، عاقبته في الدنيا والآخرة<sup>(2)</sup> .  
ومعاني الفكر كثيرة منها الاعتبار: وهو افتعال من العبور لأنه يعبر منه إلى غيره، فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة تالفة وهو المقصود من الاعتبار ولهذا يسمى عبرة<sup>(3)</sup> .

والعبارة المائية هي التي تعبر من ضفة النهر إلى الضفة الأخرى وهكذا تعبر الفكرة من حالة إلى أخرى.

---

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 323 .

<sup>2</sup> - تفسير السعدي ص 923 .

<sup>3</sup> - ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ص 217 .

## فائدة لطيفة في معنى الاعتبار:

○ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ النَّبْصَارِ﴾ الحشر/1-2.

ماذا حدث لهم، أخبرنا الله ذلك في كتابه:

○ ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾، أي: من الأمر والباب الذي لم يخطر ببالهم أن يؤتوا منه<sup>(1)</sup>.

○ ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾، وهو الخوف الشديد الذي هو جند الله الأكبر الذي لا ينفع معه عدد ولا عدة ولا قوة ولا شدة<sup>(1)</sup>.

○ ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ما درس الاستفادة من هذه الآيات:

○ ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ النَّبْصَارِ﴾.

أي: أهل البصائر النافذة والعقول الكاملة، فإن في هذا معبر يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم الذين لم تنفعهم عزتهم، ولا منعتهم قوتهم، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم النكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكير فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل

<sup>1</sup> - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 861.

والفكر، وبذلك يزداد العقل وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان ويحصل الفهم الحقيقي<sup>(1)</sup>، وما تعليل ما حصل لليهود:

○ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر/4.

آية أخرى توضح معنى الاعتبار والعاقبة، قال تعالى:

○ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة/179.

أي لكم في هذا الحكم الذي شرعه الله لكم حياة، لأن الرجل إذا علم أنه يقتل قصاصاً إذا قتل آخر كف عن القتل وانزجر عن التسرع إليه والوقوع فيه، فيكون ذلك بمنزلة الحياة للنفوس الإنسانية.

وهذا نوع من البلاغة بليغ، وجنس من الفصاحة رفيع، فإنه جعل القصاص الذي هو موت حياة.

باعتبار ما يؤول إليه من ارتداع الناس عن قتل بعضهم بعضاً، إبقاء على أنفسهم واستدامة لحياتهم، وجعل هذا الخطاب موجهاً إلى أولي الألباب، لأنهم هم الذين ينظرون في العواقب ويخافون ما فيه الضرر الآجل، وأما من كان مصاباً بالحمق والطيش والخفة فإنه لا ينظر عند ثورة غضبه وغليان مراجل طيشه إلى عاقبة ولا يفكر من أمر مستقيل.

ثم علل سبحانه هذا الحكم الذي شرعه لعباده بقوله: لعلمكم تتقون أي تخافون القتل بالمحافظة على القصاص فيكون ذلك سبباً للتقوى<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 862.

<sup>2</sup> - محمد بن علي الشوكاني: فتح القدير، ج 1 ص 176.

## البند الثاني:

### التدبر العقلي

التدبر: التفكير في دبر الأمور قال تعالى: ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ اننازعات/5، يعني الملائكة الموكله بتدبير الأمور<sup>(1)</sup>، عند أهل اللغة التدبر هو النظر في عاقبة الأمور<sup>(2)</sup>.

والفكر سُميَّ تدبيراً لأنه نظر من إديار الأمور وهي أواخرها ومنه تدبر القول:

○ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ المؤمنون/68.

والتدبر المطلق لله تعالى:

○ ﴿وَمَنْ يُدَبِّرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ يونس/31.

ومن مهارة أولي الألباب النظر لعواقب الأمور وخواتمها بالعمل والقول السديد الموصل للحق:

○ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿70﴾  
يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب/71.

○ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا النَّالِبَابِ﴾ ص/29.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 171.

<sup>2</sup> - أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، مادة (دبر).

كتاب أنزلناه إليك مبارك فيه خير كثير، وعلم غزير، فيه كل هدى من ضلالة، وشفاء من داء، ونور يستضاء به في الظلمات، وكل حكمٍ يحتاج إليه المكلفون فيه، وفيه من الأدلة القطعية على كل مطلوب، ما كان به أجل كتاب طرق العالم منذ أنشأه الله.

ليدبروا آياته، أي هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود.

وليتذكر أولوا الألباب، أي أولوا العقول الصحيحة يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلب، فدل هذا على أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب<sup>(1)</sup>.

هذا القرآن جعل الله تعالى آياته بينات الدلالة، لكن الهداية بيد الله تعالى فمن هداة، اهتدى بهذا القرآن وجعله الله له إماماً ونوراً ونبراساً وقدوة، ومن لم يرد الله هدايته، فجميع الآيات البينات لن تهديه ولن تنفعه:

○ ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ الحج/16.

يقول الزركشي: ((القرآن كله لم ينزله منزله تعالى إلا ليفقهه ويُعلم ويفهم، ولذلك خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكرون ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب))<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - تفسير السعدي، ص 720.

<sup>2</sup> - أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 2/160.



يقول ابن عطاء الله السكندري: ((التدبير المحمود هو ما كان تدبيراً إلى ما يقربك إلى الله سبحانه وتعالى، كالتدبير في براءة الذمة من حقوق المخلوقين، إما وفاء وإما استحلالاً، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين، وأما التدبير المزموم، فهو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها ليس لله فيه شيء))<sup>(١)</sup>.

قال الحسن بن علي رضي الله عنه: ((إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها في النهار)).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أَعْطُوا أَعْيُنَكُمْ حَظَّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَظُّهَا مِنَ الْعِبَادَةِ؟ قَالَ: النَّظَرُ فِي الْمَصْحَفِ وَالتَّفَكُّرُ فِيهِ وَالْإِعْتِبَارُ عِنْدَ عَجَائِبِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتدبر القرآن يولد الأفكار، والتأمل في القرآن: ((فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص/29)<sup>(٣)</sup>.

سأل ابن عمير عائشة رضي الله عنها: ﴿فَأَخْبَرِينَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ فَبَكَتْ، وَقَالَتْ: كُلُّ أَمْرِهِ كَانَ عَجَبًا، أَتَانِي فِي لَيْلَتِي ثُمَّ قَالَ: ذَرِينِي أَتَعَبُدُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَحَمَّ إِلَى الْقُرْبَةِ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَبَكَى حَتَّى بَلَ لِحَيْتِهِ ثُمَّ سَجَدَ حَتَّى بَلَ الْأَرْضُ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى جَنْبِهِ حَتَّى أَتَاهُ بِلَالٌ يُؤَدِّنُهُ بِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَبْكِيكَ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: لَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَاتٍ وَبَلَّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَدَبَّرْهَا فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

<sup>1</sup> - ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، ص593-595.

<sup>2</sup> - أخرجه ابن أبي الدنيا .

<sup>3</sup> - ابن القيم: تهذيب مدارج السالكين، ص223.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٩٠﴾ آل عمران/190،  
ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها<sup>(١)</sup>.

فقيل للأوزاعي: ((ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن)).

---

<sup>1</sup> - رواه ابن حبان في صحيحة.

## البند الثالث:

### النظر والتأمل العقلي

من معاني الفكر ما يسمى نظراً لأنه التفات القلب إلى المنظور فيه، ويسمى تأملاً لأنه مراجعة النظر كرة بعد كرة حتى يتجلى له وينكشف لقلبه<sup>(1)</sup>.

**النظر:** تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الروية قال نظرت فلم تنظر أي لم تتأمل ولم تترو:

○ وقوله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يونس/101.

ونظرت فيه إذا رأيته وتدبرته:

○ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي خُلِقَتْ﴾ الغاشية/17.

○ ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ﴿88﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ الصافات/88-89.

ونظر الله تعالى إلى عباده هو إحسانه إليهم، وإفاضة نعمه عليهم، ولا ينظر جلّ وعلا للكفار:

○ قال تعالى: ﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران/77<sup>(2)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فاطر/44.

<sup>1</sup> - ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ص217.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص499.

يحض تعالى على السير في الأرض، في القلوب والأبدان، للاعتبار لا لمجرد النظر والغفلة وأن ينظروا إلى عاقبة الذين من قبلهم ممن كذبوا الرسل، وكانوا أكثر منهم أموالاً وأولاداً وأشد قوة وعمروا الأرض أكثر مما عمروها هؤلاء فلما جاء العذاب، لم تنفعهم قوتهم، ولم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ونفذت فيهم قدرة الله ومشيتته<sup>(١)</sup>.

وهناك المناظرة، وهي المباحثة والمباراة في النظر واستحضار كل ما يراه ببصيرته<sup>(٢)</sup>.

وما أكثر المناظرات بين أهل الحق وأهل الباطل بها يتميز التفكير المستقيم عن التفكير الأعوج.

ولو تتبعنا أهل التفكير الأعوج لوجدنا أن أساليبيهم واحدة لأن نفسياتهم من منبع واحد هي النفس الأمارة بالسوء والتي تحمل كبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجراءة نمرود واستطالة فرعون وبغي قارون، وهوى "بلعام" وحيل أصحاب السبت وتمرد الوليد بن المغيرة وجهل أبي جهل، لأنهم يحملون الأنا المتمردة، فكلما زاد الخواء الداخلي كلما زاد تسرطن الأنا لملء الفراغ منه بالتفكير الأعوج والإرادة السلبية الشيطانية، هي معركة بين الحق بالفكر السليم والعقيدة الصحيحة والحجج العقلية وبين الباطل بالفكر الأعوج والحجج الداحضة، وكل الأنبياء والرسل دخلوا في هذه المعركة.

موسى عليه السلام وفرعون مصر:

○ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ طه/57.

<sup>1</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص 699.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 500.

○ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ الأعراف/110 .

لكن الحقيقة ليست كذلك إنما يريدون بتفكيرهم الأعوج أن يقلبوا الحقائق ويتهمونه زوراً وظلماً بما هم فيه .

○ ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ أَلْكَبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ﴾ يونس/78 .

بل واتهام موسى وهارون بالإفساد في الأرض:

○ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾

الأعراف/127 .

بل ويثيرون المجتمع ضده بطريقة خبيثة:

○ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ 53 ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ

قَلِيلُونَ﴾ 54 ﴿وَأِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾ الشعراء/53-55 .

ومعركة موسى وهارون مع قومهما بقصة البقرة كيف سخروا واستهزؤوا به قالوا:

○ ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة/67 .

حتى خاتم النبيين محمد ﷺ لم يسلم من أهل السخرية:

○ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الحجر/1 .

لكن رسالة الأنبياء جميعاً هدفها إعلاء كلمة التوحيد وإصلاح ما أفسده المفسدون ولو وصلت التهم والافتراءات والسخرية إليهم فإنهم لا يخافون لومة لائم ولا نقد جارح:

○ ﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يونس/65 .

## البند الرابع:

### التأويل العقلي

التأويل أي الرجوع إلى الأصل ومنه رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً  
كان أو فعلاً، ففي العلم:

○ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران/7.

○ وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ الأعراف/53، أي  
بيانه الذي هو غايته المقصودة<sup>(1)</sup>.

كما قال تعالى مخبراً عن الراسخين في العلم حيث قالوا أمنا به كل من عند ربنا  
أي محكمه ومتشابهة حق، فلهذا ردوا المتشابه إلى المحكم فاهتدوا، والذين في  
قلوبهم زيغ ردوا المحكم إلى المتشابه فغَوَّوا، ولهذا مدح تعالى الراسخين في العلم  
وذم الزائغين<sup>(2)</sup>.

○ قال ﷺ لابن عباس: ﴿اللَّهُمَّ فَتَّهِّهِ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ﴾<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - مفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص40.

<sup>2</sup> - تفسير مختصر ابن كثير للصابوني، ص417.

<sup>3</sup> - رواه البخاري برقم 143 ومسلم برقم 2477.

## البند الخامس:

### استنباط الحلول

أليس أولو الألباب هم أولو الحلم والرزانة العقلية، هم الذين يتصفون بأهل الرشد وحسن التصرف بأحسن أحواله بالقول والفعل، فأى معلومة أو إشاعة خبر لا يبثه اللبيب لأحد قبل أن يتروى، ويتفحصه ويتحقق منه، قال تعالى:

○ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ﴾ النساء/83.

هذا إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة، قال تعالى:

○ ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ النساء/83.

قال عمر ابن الخطاب: ((أنا استنبطت ذلك الأمر حديث إشاعة طلاق نساء رسول الله ﷺ ومعنى يستنبطونه أي يستخرجونه من معادنه، يُقال: استنبط الرجل العين إذا حفرها واستخرجها من قعورها))<sup>(1)</sup>.

إذا فأى إشاعة أو خبر لا يجوز تناقله قبل التثبت في صحته بل الأولى أن يردونه إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر، وأهل الرأي والمعرفة والخبرة لكي يستنبطونه ويستخرجون الحل، عندها يقرر أهل الرأي والمشورة إذاعته أو السكوت عنه ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة.

<sup>1</sup> - مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج2، ص418.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور، ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعتها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان، أم لا فيحجم عنه<sup>(1)</sup>.

هكذا مهارات أولي الألباب في استنباط الحلول.

---

<sup>1</sup> - تفسير السعدي، ص 178.



## البند السادس:

### الرؤية العقلية

والرؤية إدراك المرئي وذلك أقرب بحسب قوى النفس.

الأول... بالحاسة وما يجري مجراها نحو:

○ «لَتَرُونَ الْجَحِيمَ ﴿6﴾ ثُمَّ لَتَرُونَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ» التكاثر/6-7.

الثاني... بالوهم والتخيل:

○ «وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا» الأنفال/50.

والثالث... بالتفكر نحو:

○ «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرُونَ» الأنفال/48.

والرابع: بالعقل وعلى ذلك قوله:

○ «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» النجم/11، فاطمأن فؤاده إلى ما رأى بصره وهذا

غاية اليقين والاطمئنان<sup>(1)</sup>.

الرأي: اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن وعلى هذا قوله تعالى: «يَرَوْنَهُمْ مَثَلِيهِمْ رَآيَ الْعَيْنِ» آل عمران/13، أي يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم.

الرؤية: التفكير في الشيء والإمالة بين خواطر النفس في تحصيل الرأي<sup>(2)</sup>.

فأهل أولي الأبواب يملكون مهارة تقليب الصور الذهنية والملاحظات لإدراك ماهية الأشياء؟ أو ماهية الحدث ولما وكيف وقع؟ وما نتائجه؟ هذه المهارة الرؤيوية العقلية تقوى بالتجارب والتدريب والقراءة.

<sup>1</sup> - د . فاضل صالح السامرائي: من أسرار البيان القرآني، ص226.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص189 - 190.

○ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَراهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الزمر/21.

فأولو الألباب لديهم رؤية واضحة تنير دريهم ويتبصرون ما لا يبصر الآخريين، الآية واضحة أنها تخاطب الإنسان العاقل بأن ينظر بالرؤية العقلية والتفكير بقدرة الله عز وجل كيف أنزل المطر فأخذته الأرض وارتوت وحبست الباقي لتحتفظ به على هيئة عيون، وبه تخرج الزروع والحمضيات والبقوليات ثم يحصد، وبعد ذلك يصفر وتنشف عروقه فتتكسر وتسحقه الرياح.

لكن الرؤية العقلية من هذا كانت نتيجته: أن هذه الحياة مهما كانت جميلة ومهما طال عمر الإنسان سيكبر ثم يشيب ثم يضعف وبعدها الموت، فالأولى الانتباه واستغلال العمر لطاعة الله ورسوله ﷺ.

## أهل الرشد

الرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه، والرشد من الرشاد وهي الصخرة، هم الذين يحملون العقول الرشيدة الخالصة من الشوائب القوية كالصخرة تدافع عن الحق لتتهدم الباطل، إنهم أهل التقوى الذين يحبون الإيمان ويستمتتون في حماية إيمانهم، ويكرهون الفسق وعمل المعصية وهم في حالة دائمة لمراجعة فكرية لكل صغيرة وكبيرة لأفعالهم وأقوالهم، لذا قيل الرشد خلاف الغي.

○ قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ الحجرات/7.

أي حبه إلى نفوسكم، وحسنة في قلوبكم، وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار، والعصيان وهي جميع المعاصي، وهذا تدرج لكمال النعمة (أولئك هم الراشدون) أي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين أتاهاهم الله رشدهم<sup>(1)</sup>.

وقد بينت الدراسات العلمية أن نمو الدماغ يكتمل في سن الأربعين، وقسم الذاكرة طويلة الأمد تكون في أوج عملها، والتي تستقبل المعتقدات الإيمانية الموجودة في قلب الإنسان، وفي هذا العمر يكون الجسم البشري في أوجه، هنا العمر الذي حدده القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً يكون الإنسان السليم قد اكتمل أشده ووعيه فما بالكم بالمؤمن الذي يسعى جاهداً لطاعة الله ورسوله ﷺ فيزداد تقوى

<sup>1</sup> - تفسير مختصر ابن كثير للصابوني، ج3 ص358.

وعقلاً بهذه المرحلة يتم كمال عقله ويزداد خبرة فتتم له قوة البدن وقوة المعرفة، لأن المؤمن يعلم أن الغاية الحقيقية لحياته كلها لله تعالى وهذا ما أكدته القرآن الكريم.

○ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأحقاف/15.

بهذه الآية يتبين أن المؤمن الرشيد يدعوا الله كثيراً أن يلهمه التوفيق والسداد على شكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى ويدعوا الله على استمرار الصلاح له ولذريته لأن صلاح الآباء من أعظم الأسباب لصلاح الذرية، فأهل الرشد يتصفون بضبط سلوكهم وتصرفاتهم بشكل متقن، فالمؤمن الرشيد يحسن التصرف، وسمي حسن التصرف عقلاً لأن الإنسان عقل تصرفه فيما ينفعه، والراشد هو المهتدي إلى محاسن الأمور.

والرشد إصابة عين الحقيقة وهو الطريق المستقيم:

○ ﴿عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَذَا رَشَدًا﴾ الكهف/24.

لطائف بيانية:

○ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ الأنبياء/51.

قد تقول: ولم لم يقل (آتينا إبراهيم الرشد) أو (رشداً)؟

فنقول: إن كلمة (الرشد) أعم من (رشده)، ولذا لم يستعمل القرآن (الرشد) معرفة بآل للأشخاص، وإنما استعملها لدينه أو سبيله أو نحو ذلك لأن الرشد أعم من (رشده).

- قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ البقرة/256.
- قال تعالى: ﴿وَأَنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ الأعراف/146.
- وأما (رشد) المنكرة فهي تعني أي نوع من الرشد وإن كان قليلاً، وذلك نحو قوله سبحانه:

○ ﴿فَإِنْ أَسْتَمْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ النساء/6.

وهذا شأن عموم العقلاء من خلق الله من المكلفين، فليس في ذلك مزية خاصة به<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - د. فاضل السامرائي: على طريق التفسير البياني، ج4، ص136.

## البند الثامن:

### أهل الحكمة - أهل أولي الأبواب

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة/269.

الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الأحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ لقمان/12<sup>(1)</sup>.

الحكمة مصدر من الأحكام وهو الإتيان في قول أو فعل، فكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقليل للعلم حكمة، لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع في السفه وهو كل فعل قبيح، وكذا القرآن والعقل والفهم...

وقال بعض الحكماء: ((من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم، فإنما أعطي أفضل ما أعطي أصحاب الدنيا، لأن الله تعالى سمى الدنيا متاعاً قليلاً فقال: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ النساء/77، وسمى العلم والقرآن خيراً كثيراً))<sup>(2)</sup>.

فأهل الحكمة يملكون القلوب المتبصرة الواعية المضاءة بنور القرآن فيمشون ويتكلمون بنور من الله عز وجل، هم يملكون لباب العقول النيرة لأنهم أهل الفطنة والفقهاء إنهم أهل العلم وقوله تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ فقليل هي العلم، وقيل الفهم وقيل الإصابة في القول ولا مانع من الحمل على الجميع شمولاً أو بدلاً، وقيل أنها النبوة،

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 134.

<sup>2</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مجلد 2، ج 1 ص 217.

قيل العقل، وقيل الخشية وقيل الورع، وأصل الحكمة ما يمنع من السفه وهو كل قبيح<sup>(1)</sup>.

أهل الحكمة يملكون ومضات فكرية دائماً يبتونها كفكرة إيجابية، هم أهل الاتزان العقلي وأهل الهمة ويجدون الحلول للمشاكل، ويجتهدون بالقول الصائب السليم، يحملون الصور الذهنية النيرة لتتشكل أفكاراً نيرة هذه هي الحكمة توهب لحاملها بما يوفقه الله له، وتكون ملكاته مستعدة لذلك.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ((خذ الحكمة، ولا يضرك من أي وعاء خرجت))، ويقول ابن عطاء الله السكندري: ((الحكمة القيد وإن قيدت بها نفسك امتنعت، وإن رميتها تسببت تسبب))<sup>(2)</sup>.

أساس الحكمة: أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه... فالحكمة إذاً: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي.

ولقد أمتن الله على رسوله وأمته بما أتاهم من الحكمة، قال تعالى:

○ ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/151.

وللحكمة ثلاثة أركان: العلم والحلم، والأناة، وآفاتها وأضدادها: الجهل والطيش والعجلة.

<sup>1</sup> - فتح القدير للشوكاني، ج1، ص89..

<sup>2</sup> - ابن عطاء الله السكندري: تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس، ص474.

فلا حكمة لجاهل، ولا طائش، ولا عجول، وتكمل الحكمة بأن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه وتلحظ بره في منعه أي تعرف الحكمة في الوعد والوعيد، وتشهد حكمه في قوله:

○ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء/40، فتشهد عدله في وعيده وإحسانه في وعده.

وكذلك تعرف عدله في أحكامه الشرعية، والكونية الجارية على الخلائق، فإنه لا ظلم فيها، ولا حيف ولا جور، وإن أجزاها على أيدي الظلمة فهو أعدل العادلين، ومن جرت على يديه هو الظالم.

فإنه سبحانه هو الجواد الذي لا ينقص خزائنه الإنفاق، ولا يفيض ما في يمينه سعة عطائه فما منع من منعه فضله إلا لحكمة كاملة في ذلك، فإنه الجواد الحكيم، وحكمته لا تناقض جوده.

فهو سبحانه لا يضع بره وفضله إلا في موضعه ووقته بقدر ما تقتضيه حكمته، ولو بسط الله الرزق لعباده لفسدوا وهلكوا، ولو علم في الكفار خيراً وقبولاً لنعمة الإيمان، وشكراً له عليها، ومحبة له واعترافاً بها، لهداهم إلى الإيمان، ولهذا لما قالوا للمؤمنين:

○ ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ الأنعام/53.

○ أجابهم بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ الأنعام/53.



فهو سبحانه ما أعطى إلا بحكمته، ولا منع إلا بحكمته، ولا أضل إلا بحكمته<sup>(1)</sup> فالحكمة كالشجرة تنبت بالقلب وثمارها حكم عقليه وطعمها في لسان صاحبها وأهل الحكمة يتميزون بالهدوء النفسي والوقار والسكينة، وعدم لفت النظر إليهم دون العزلة بل هم في مخالطة مع الناس لكن صمتهم يطفى على تصرفاتهم.

وقال الشافعي يرحمه الله تعالى: الفضائل أربع:

إحداها: الحكمة وقوامها الفكرة.

والثانية: العفة وقوامها في الشهوة.

والثالثة: القوة وقوامها الغضب.

والرابعة: العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس.

أهم طرق الوصول للحكمة أنها هبة من الله عز وجل، ومنها اكتساب نتيجة تراكم الخبرات والمعرفة فتقود صاحبها على إيجاد الحل والربط والرزانة العقلية، وإعطاء الرأي في حل المشاكل، وأخذ القرارات، لأن الحكمة هي وضع الأشياء في مكانها المحدد.

وفي الختام علينا أن نتذكر قول رسول الله ﷺ:

○ ﴿لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلْكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَعْلَمُهَا النَّاسُ﴾.

<sup>1</sup> - ابن القيم: تهذيب مدارج السالكين، ص 435-437 بتصرف.

## البند التاسع:

### البصيرة القلبية

البصيرة يقال: ((لقوة القلب المدركة بصيرة))، وبصر نحو قوله تعالى:

○ ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق/22.

○ وقال جلّ وعلا: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ النجم/17.

وجمع البصر أبصار وجمع البصيرة بصائر:

○ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾  
يوسف/108، أي على معرفة وتحقق<sup>(1)</sup>.

والاستبصار، وهو استفعال من التبصر وهو تبين الأمر وانكشافه وتجليه للبصيرة<sup>(2)</sup>.  
مهارات كثيرة لأولي الألباب، هنا مهارة التعليل والتحليل الذهني وانكشاف الأمور  
على حقيقتها والبصيرة هي طاقة نورانية من الله عزّ وجلّ تسكن قلب المؤمن  
العاقل الفطن.

فتعمل كعمل كشاف يضيء ويبصر بحقائق الأشياء بعد أن ينجلي عنها غشاوة  
الباطل وزيف الشيطان فيفرق بين الحق والباطل، وروي عن النبي ﷺ قال: ﴿الْعَقْلُ  
نُورٌ فِي الْقَلْبِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ﴾<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن ص 59.

<sup>2</sup> - ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ص 217.

<sup>3</sup> - ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد، وجر الله الزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار.

فالمؤمن العاقل يتبصر ببصر قلبه، وهو عقله استدل بها على وجود الرب تعالى وقدرته وعلمه ورحمته وحكمته وإمكان ما أخبر به من حياة الخلائق بعد موتهم كما أحيا الأرض بعد موتها، هذه أمور لا تدرك إلا ببصر القلب وهو العقل<sup>(١)</sup>.

فالبصيرة هي سراج عقل المؤمن فكلما قويت بصيرته أضاءت لعقله نوراً فتنكشف الأشياء بحقيقتها.

وأهل البصيرة هم أهل القرآن، وأهل اليقين والاعتبار:

○ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي

الْأَبْصَارِ﴾ آل عمران/13.

فنصر الله المؤمنين وأيدهم بنصره فهزموهم وقتلوا صناديدهم، وأسروا كثيراً منهم، وما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره وخاذل من كفر به، ففي هذا عبرة لأولي الأبصار، أي أصحاب البصائر النافذة والعقول الكاملة، على أن طائفة المنصورة فيها الحق، والأخرى مبطله، وإلا فلو نظر الناظر إلى مجرد الأسباب الظاهرة والعدد والعدو لجزم بأن غلبته هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكبيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته، وهو نصره وإعزازه لعبادة المؤمنين على أعدائه الكافرين<sup>(٢)</sup>.

هؤلاء هم أهل البصيرة الذين لا يبصرون الأشياء على ظاهرها فقط، لكنهم يبصرون باطن الأشياء على حقيقتها، وتتجلي لهم بعض الحقائق فيستتجون العبر والدروس والمواعظ، قال تعالى:

<sup>1</sup> - ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ص221.

<sup>2</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص112.

○ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ الحج/46.

قال مجاهد: ((لكل إنسان أربع أعين: عينان في رأسه لدنياه، وعينان في قلبه لأخرته، فإن عميت عينا رأسه وأبصرت عينا قلبه فلم ينفعه عماه شيئاً، وإن أبصرت عينا رأسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيئاً))<sup>(1)</sup>.

فالمؤمن بحاجة لنور من الله تعالى ليستتير عقله ويبصر الحق في هذه الحياة:

○ قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام/122.

لتحيا القلوب المبصرة بهذا النور وتتكشف حجب لا يعلمها إلا الله، فيرى ما لا يرى الآخر ويسمع ما لا يسمع الآخر، ويشعر ما لا يشعر الآخر، إنه عالم الود والحب مع الله عز وجل.

والعقل هو بمنزلة العين للإنسان التي تبصر نور الشمس فأى خلل في العين تجعله أعمى ومن لا يملك العقل لا يملك الإبصار ولا التبصر، فنور الإيمان هو رأس الهرم وبه يستتار العقل المتبصر.

○ قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور/35.

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المجلد السادس، ج 2 ص 234.

قال أبي بن كعب: ((«نور على نور» المؤمن يتقلب في خمسة من النور، فكلامه نور، وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى يوم القيامة إلى الجنة)).

وقال السعدي: ((نور على نور قال: نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاء ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه، وقوله تعالى: يهدي الله لنوره من يشاء أي يرشد الله إلى هدايته من يختاره، كما جاء في الحديث: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْ نُورِهِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى وَمَنْ أَخْطَأَ ضَلَّ فَالذِّكُّ أَحَقُّ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾)) أخرج الإمام أحمد<sup>(1)</sup>، قال تعالى:

○ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ الأنفال/29.

قيل: ((نور يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات))، ولذلك كان ﷺ يكثر من دعائه من سؤال النور قال ﷺ: ﴿اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا وَزِدْنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي قَبْرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا﴾<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ج2، ص 604-605.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/117/ومسلم برقم/763.

## البند العاشر:

### الفراسة عين البصيرة

البصيرة تزداد طرداً بازدياد التقوى إلى أن تصل بصاحبها إلى درجة عالية من الحدس والإدراك وترتفع حواسه سمواً ورفعة فيصبح حاملها من أهل الفراسة فيرى ويسمع بنور الله.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر/75.

روى الترمذي الحكيم من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿لِمُتَفَرِّسِينَ﴾، وهو قول مجاهد.

وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ﴾.

وروى الترمذي عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلَّ عِبَادًا يُعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ﴾.

قال العلماء: ((التوسم تفعل من الوسم، وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها، يقال: توسمت فيه الخير))، ومنه قول عبد الله بن رواحه للنبي ﷺ:

**إني توسمت فيك الخيد أعرفه والله يعلم أنني ثابت البصر**

قال الثعالبي: ((وأصل التوسم التثبت والتفكر، وذلك يكون بجودة القريحة وحدة خاطر وصفاء الفكر، بتفريغ القلب من حشو الدنيا))، وقالت الصوفية: ((أنها كرامة، وقيل: بل هي استدلال بالعلامات))، وقول ابن عباس: ((ما سألتني أحد عن شيء إلا عرفته أفتيه هو أو غير فقيه)).

وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن أنس بن مالك دخل عليه، وكان قد مر بالسوق فنظر إلى امرأة، فلما نظر إليه قال عثمان: ((يدخل أحدكم علي وفي عينيه أثر الزنا فقال له أنس: أوحياً بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا ولكن برهان وفراسة وصدق))<sup>(1)</sup>.

وللفراسة أنواع:

فراصة مدلول للكلام:

○ قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد/30.

فمعرفة الإنسان وما يقصده يظهر أجلى وأوضح من ظاهر كلامه لأن الكلام يفضح صاحبه مهما حاول أن يُجمِّله فدلالة الكلام على قصد قائله أوضح وأجلى لكي يعرف المتفرس ما وراء القصد.

فراصة النظر: التمعن بتعابير الوجه قد تعطي بعض المدلولات لكن الخصم قد يجيد التمثيل فيغير من تعابير وجهه إشارات فتكون فراصة السمع أوضح وأجلى ودلالته أوضح مهما حاول الآخر أن يستتر لكي يخفي ما في صدره.

---

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، بتصرف المجلد الخامس ج2، ص279 - 280.

آلية الدراسة والتبصر تعتمد على معايير أهمها:

- 1) دقة ملاحظة المتفرس للآخر بسماع كلامه وفهمه والتمعن بتعابير وجهه.
  - 2) هذه الملاحظات تعطي للمتفرس ومضة في خاطره بأن هذا الذي أمامه صادق أو كاذب في قوله وتصرفه ولو تصرف كل تصرفاته بدهاء وخبث ومكر.
  - 3) هذه الخاطرة تتحرك وتعمل عملها لتشكل صورة ثم فكرة تجول في عقل المتفرس.
  - 4) فتخرج هذه الفكرة مباشرة بقرار يقيني بأن الذي أمامه منافق أو كاذب أو صادق، أديباً المتفرس التقى يقول ظني بفلان كذا وكذا، ولا أزمكي على الله أحد إذ كان يمدحه.
  - 5) هذه النتيجة لا تأتي للمتفرس عبثاً، إنما نتيجة متراكمة للركائز في قلبه. أولاً: نور الإيمان ونور العقل، فيزداد تبصراً وفساسة.
- ثانياً: كثرة التجارب، والقراءة المستمرة، وفهم التاريخ وتنوع في اكتساب الثقافات.
- ثالثاً: التدبر والتفكير والتمعن ودراسة القرآن بطرق استكشافية عندها يتأكد قول من قرأ قرأ وربك الأكرم فيزداد نوراً فيحيا قلبه ويستتير، فلا تكاد فراسته تخطى:

○ قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام/122.



قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((افرس الناس ثلاثة، العزيز في سورة يوسف، حيث قال لامرأته: «أَكْرَمِي مَتَوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَدَّاءً» يوسف/21، وابنة شعيب حين قالت لأبيها في موسى «اسْتَأْجِرْهُ» القصص/26، وامرأة فرعون، «وَقَالَتْ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَدَّاءً» القصص/9)).

وأعظم أهل الفراسة على الإطلاق فراسة رسول الله صلوات الله عليه.

ولعلنا يجب أن نفرق بين الفراسة المتبصرة بنور الله التي تسكن قلب المؤمن التقي وبين الدهاء هو نوع من أنواع الفطنة والذكاء العقلي وسرعة البديهة واقتناص الكلمة والفرصة وتحويلها من صالح الخصم لصالحه حسب الموقف الذي أمامه وهذا ما قيل في دهاء الحجاج بن يوسف الثقفي عندما كان والياً للعراق إنه صعد المنبر مرة ليخطب الجمعة وقبل أن يشرع في الخطبة انتقض وضوؤه، وخشى الحجاج أن يعير بها، إن أخبرهم بانتقاض وضوئه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: ((بلغني أنكم لا تحسنون الوضوء، وقد نويت أن أعلمكم وضوء النبي محمد صلوات الله عليه، يا غلام... اتنتي بالطست والماء لأعلمكم كيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتوضأ))<sup>(1)</sup>، هذا هو عين الدهاء.

أما أن يقلب الأمور ويقلب الباطل حقاً فهذا هو عين المكر وهذا النوع من الناس يطوعون كل شيء لأهدافهم، لكن الله عز وجل يعطي لأهل التقوى نوراً يمشون به.

○ قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» الحديد/28.

<sup>1</sup> - منصور عبد الحكيم: الحجاج بن يوسف الثقفي - طاغية بني أمية، ص 389.

## البند الحادي عشر:

### التذكر من صفات أولي الألباب

**التذكر:** الحفظ للشيء، والشيء يجري على اللسان<sup>(١)</sup>، والتذكر ضد النسيان، والتذكر يقال باستحضاره، ولذلك الذكر ذكران، ذكر في القلب وذكر في اللسان وكل قول يقال له ذكراً<sup>(٢)</sup>.

وأولو الألباب هم الذين فهموا وتدبروا آيات القرآن وحفظوه وعقلوه ووعوه:

○ قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء/50.

سماه ذكراً لأنه يذكر ما ركزه الله في العقول والفتوة من التصديق بالأخبار الصادقة، والأمر بالحسن عقلاً، والنهي عن القبيح عقلاً<sup>(٣)</sup>.

فالذكر عبودية القلب منها تنطلق للسان والجوارح، وهو العلم الذي يوصل المؤمن إلى اليقين الكامل وإيثار الآخرة، واستعداد للرحيل بالعمل الصالح.

ويسمى تذكراً لأنه إحضار العلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه، ومنه قوله تعالى:

○ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

الأعراف/201<sup>(٤)</sup>.

<sup>1</sup> - القاموس المحيط لـ الفيروز أبادي، ص394.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص184.

<sup>3</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص528.

<sup>4</sup> - ابن القيم: مفتاح دار السعادة، ص217.

○ قال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ ص/1.

أي ذي القدر العظيم والشرف، والمُذَكَّرِ للعباد كل ما يحتاجون إليه من العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية ومن العلم بالميعاد والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه<sup>(1)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ الغاشية/21.

أي ذكر الناس وعظهم وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث مسيطراً عليهم مسلطاً موكلاً بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك فلا يقع عليك بعد ذلك لوم<sup>(2)</sup>.

تكرر ذكر أولي الأبواب في كتاب الله حوالي ست عشرة مرة لكن لاحظت أن أكثر من تسع آيات منها تتحدث عن الذكر والتذكر وذكرى، وليذكر أولو الأبواب.

○ قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران/7.

أي يتعظ بمواعظ الله ويقبل نصحه وتعاليمه إلا أولو الأبواب أي: أهل العقول الرزينة لب العالم، وخالصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، ويتذكرون ما ينفعهم فيعقلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهمهم القشور التي لا حاصل لها ولا نتيجة تحتها لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم عن العقول النافعة<sup>(3)</sup>.

ومعنى الذكر هو عملية عقلية تعيد الانتباه وتجلو الصداً وتظهر لليقين قوته ويشرح الصدر وتسكن النفس، ومنزلة الذكر عظيمة على القلب لأنه كماء الحياة

<sup>1</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص717.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص937.

<sup>3</sup> - المرجع السابق.

وغياء القلب، ويزداد ذكر الله تزداد تألق معنى العبودية بل وتزداد حلاوة حياة القلب.

وعنه عليه السلام قال: ﴿مِثْلُ الَّذِي يُذَكِّرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يُذَكِّرُهُ! مِثْلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ﴾<sup>(1)</sup>.

قال الحسن البصري رحمه الله: ((تفقدوا حلاوة الإيمان في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن)).

فذكر الله الدائم يجلو الصدر من الهموم ومكدرات الحياة ويدفع الغفلة وينحيها جانباً:

○ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ الأحزاب/41.

وفلاح المؤمن يأتي بالإكثار من ذكر الله عز وجل:

○ ﴿فَاتَّبِعُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الأنفال/45.

وأما أهل الخسارة فهم الذين أضاعوا ذكر الله لاهتمامهم بجمع المال وتكاثر الأولاد:

○ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المنافقون/9.

---

<sup>1</sup> - رواه البخاري.

أهل الذكر أهل التقوى هم أولوا الألباب:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت/45.

إنهم أهل التفكير في آيات الله المقروءة والمنظورة، لا ينامون إلا قليلاً وهم يذكرون الله تعالى:

○ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران/191.

فتعالوا نجعل أسننتنا رطبة بذكر الله.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿أَلَا أُنبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، أَرْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَّكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالَ: وَمَا ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ذَكَرُ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا<sup>(١)</sup>﴾.

○ ومصدقا لهذا قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص/29.

يقول الحسن البصري: ((والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى أن أحدكم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد أسقطه والله كله، ما يرى للقرآن عليه أثر، في خلق ولا عمل))<sup>(٢)</sup>.

لهذا حذرنا القرآن الكريم من إطاعة أهل الغفلة الذين غفلوا عن ذكر الله:

<sup>1</sup> - رواه أحمد في مسنده.

<sup>2</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 1050.

○ قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ الكهف/28.

○ قال تعالى: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذاريات/55.

والتذكير نوعان:

النوع الأول: تذكير بما لم يعرف تفضيله، مما عرف مجمله بالفطر العقول، فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل ما أمر به وينهى من الشرع فإنه من التذكير، وتام التذكير أن يذكر ما في الأمور من الخير والحسن والمصالح، وما في النهي عنه من المضار.

والنوع الثاني: من التذكير: تذكير لما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون لذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، وليحدث لهم نشاط وهمة، توصي لهم الانتفاع، وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، وإتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى وتقع منهم الموعظة موقعها، كما قال تعالى:

○ ﴿فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَ الذِّكْرَى﴾ 9 ﴿سَيَذَكَّرْ مِنْ يَخْشَى﴾ 10 ﴿وَيَتَجَنَّبَهَا﴾  
الأنشقى/الأعلى/9-11.

وأما من ليس معه إيمان ولا استعداد لقبول التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره وهو بمنزلة الأرض السبخة التي لا يفيدها المطر شيئاً، وهؤلاء الصنف لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم<sup>(1)</sup>.  
فأهل أولي الأبواب هم الذين يتذكرون بما حفظوه ووعوه لأنهم أهل الإنابة والعودة الدائبة إلى الله:

○ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ غافر/13.

قال الحسن البصري رحمه الله: ((ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكير وبالتفكير على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة))، وتذكر يتضمن معنى التعلم والاكساب، كما يتضمن معنى الوعي والاحتفاظ بما حفظه في ذاكرته، فالتفكير يحصله والتذكر يحفظه.

وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ فيه، وفائدة التفكير، تكثير العلم واستجلاب معرفة:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَبَابِ﴾ الرعد/19.

○ قال تعالى: ﴿هُدًى وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَبَابِ﴾ غافر/54.

والذكري: كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر<sup>(2)</sup>.

---

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 824.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 185.

كيف تتم عملية التذكر:

عملية التذكر بحاجة لاستحضار الصور الذهنية الماضية والانطباعات والألفاظ والمعاني والأشكال السابقة التي مرت، كاسترجاع حادثة أو قول ما أو صورة ما، ومجالسة أهل الخبرة والحكمة يفيد أهل العقول.

كما قال السلف الصالح: ملاقة الرجال تلقح لألبابها.

فالذاكرة بها لقاح العقل، والفكر ثمرة العلم، والخير والسعادة مفتاحهما التفكير.

فعلوم الوحي بحاجة إلى تكرار وحفظ لكي لا تنسى، وقيل العلم في الصغر كالنقش على الحجر لذا مرحلة الطفولة هامة تحفظ الصور الذهنية فما بالكم بحفظ القرآن فتعالوا معاً نفهم أين يوعى المعتقد الإيمان في القلب، وكيف يتم الحفظ في الذاكرة القلبية.

إن الخلايا المتميزة الوعائية في القلب تعي وتحفظ كلمات الله وآياته لأنها ترسخت فيها ولها طاقة استيعابية لا يعلمها إلا الله ومبرمجة على حفظ المعتقد الإيمان... وللعلم فإن معنى آخر للتذكر (الحفظ للشيء)<sup>(1)</sup>.

فتعالوا نستذكر أنواع الذاكرة في الإنسان.....

في الدماغ يوجد أنواع كثيرة فمثلاً ذاكرة تحفظ الأمور السريعة كالأرقام والملاحظات والمواعيد وحفظ الصورة الذهنية السمعية وأخرى البصرية اليومية، هي ذاكرات قصيرة الأمد، تمسح كثيراً من هذه الصور لأنها يومية، لكن التي تحفظ المعتقد الإيمان والخبرات والعادات المستمرة، والأحداث الهامة والمؤثرات الماضية فإنها تحفظ كما يدعي علماء النفس في العقل اللا واعي أو الباطني.

<sup>1</sup> - القاموس المحيط لـ فيروز أبادي، ص 394.



ونحن نسميه القلب أي العقل المطبوع الذي يحتوي على الذاكرة العميقة طويلة الأمد من الصعب مسحها لأنها مترسخة وتتحضر في أحاديث القلب أي بمعنى آخر أرشيف كامل للمعتقد الإيماني والطباع والعادات والمشاعر والأحاسيس كلها مؤرشفة في الذاكرة الطويلة الأمد القلبية.

هل من الممكن أن نفقد ذاكرتنا؟.

نعم... تعالوا ندرس حالة الخرف والذي يسمى مرض الزهايمر، فهو مرض ناتج عن حالة عصبية تتدهور بشكل ثابت خاصة في منطقة الحصين، الذي يقع على جانبي الدماغ يحتوي على الملايين من العصبونات والمتمركزة فيه الذاكرة الأكبر في الدماغ.

ومنطقة قاعدة الدماغ التي تزداد خسارة الخلية تدهوراً خاصة العصبونات الكولينية وهي عصبونات تستخدم الناقل العصبي الاستيل كولين تتوزع على نطاق واسع للحاء ويمكن أن تؤدي إلى تعطيل الانتباه وبداية الخرف لفقدانهم محتوى الذاكرة<sup>(1)</sup>.

يعتقد بأن هناك نوع من أنواع الزهايمر وراثي يظهر بسن مبكرة «في العقد الرابع» أما الزهايمر المتأخر أي بعد سن 60 عاماً<sup>(2)</sup>.

والزهايمر هو حالة تبدأ بتعطيل عمليات الانتباه يترافق مع فقد جزء كبير من الذاكرة القصيرة الأمد أي التي تحفظ ما يحدث حالياً، بمعنى مريض الزهايمر لا يعرف ماذا أكل منذ ساعة، ومن تحدث معه، ولا يعرف إن دخل الحمام من قبل،

---

<sup>1</sup> - لاري. آر. سكووير إيرك آر. كاندل: الذاكرة من العقل إلى الجزئيات، ص 396 طباعة مكتبة العبيكان.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 401 - 402.

لكنه يعرف أسماء أهله وأقاربه ولا ينسى شيئاً من الماضي أي من الذاكرة طويلة الأمد المؤرشفة في القلب - في العقل اللاوعي الباطني المطبوع، فالمؤمن الذي يصاب بالزهايمر الجزئي يقوم ويصلي كل صلواته ويساعده أهله في الوضوء وتحديد موعد الصلاة ويعرف أهله وأسماء كل من لهم صلة به مباشرة لكن الزهايمر إذا ازداد قد يصل إلى الذاكرة القلبية التي فيها المعتقدات والمشاعر والحب والبغض... الخ.

هنا مريض الزهايمر ينسى كل شيء حتى لا يعرف أهله لكن بعض أهل الإيمان والتقوى أكرر أهل الإيمان والتقوى يظل جزء من ذاكرتهم القلبية التي تحمل المعتقد الإيماني غير معطلة، فعند الأذان يطلب أن يصلي، فسبحان الله من جعل كلامه محفوظاً في صدور المؤمنين.

حينما تضيع الذاكرة كما هو الحال في مرض الزهايمر، فإننا نخسر مقدرتنا على إحياء ماضيها وتكون النتيجة أننا نفقد صلتنا بأنفسنا وبالآخرين<sup>(1)</sup>.

هذا صحيح لكن يستثنى المؤمن التقي ويفضل الله عز وجل يحفظ له إيمانه في قلبه فلا ينسى نداء الصلاة ولا ينسى صلاته سبحانك اللهم.

---

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 10.

## البند الثاني عشر:

### من مهارات أولي الأبواب

#### «يستمعون القول فيتبعون أحسنه»

قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿17﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر/17-18.

﴿وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي والعقول الذكية... ومن لبهم وحزمهم عرفوا الحسن من غيره وآثروا ما ينبغي إثارة على ما سواه، وهذه علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال حسنها وقبحها، ليس من العقول الصحيحة أو الذي يميز لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعاً لشهوته، فلم يؤثر الأحسن كان ناقص العقل<sup>(1)</sup>.

ويعبر تارة بالسمع عن الأذن نحو ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ البقرة/7، وتارة عن فعله كالسمع نحو إنهم عن السمع لمعزولون، وتارة عن الفهم وتارة عن الطاعة تقول اسمعوا ما أقول لك ولم تسمع ما قلت وتعني لم تفهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ البقرة/93، أي فهمنا قولك ولم نأتمر لك وكذلك قوله:

○ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ النور/51، أي فهمنا وأجبنا وهذا للمؤمنين.

ويعنى الاستماع الإصغاء نحو:

○ ﴿ثُمَّ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الإسراء/47<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص 729.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 248 و ص 249.

فالسَّمْعُ أصلُ العَقْلِ، وأساسُ الإيمانِ الذي انبني عليه وهو رائدُه وجليسه ووزيرُه، ولكن الشَّأنُ كلُّ الشَّأنِ في المسموعِ، وحقيقةُ السَّمْعِ تنبيهُ القلبِ على معاني المسموعِ.

منهم: من يسمعُ باللَّهِ، لا يسمعُ بغيره كما في الحديثِ القدسي: ﴿ فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ ﴾، وهذا أعلى سماعاً، وأصحُّ من كلِّ أحدٍ .

إن المسموعِ الذي يحبه اللهُ ويرضاهُ، وأمرُ به عبادُه، وأثنى على أهله، ورضي عنهم به وهو سماعُ آياته المتلوة التي أنزلها على رسوله ﷺ، فهذا السَّمْعُ أساسُ الإيمانِ الذي يقومُ عليه بناؤه، وهو على ثلاثة أنواع:

✓ سماع إدراك بحاسة الأذن.

✓ وسماع فهم وعقل.

✓ وسماع وإجابة وقبول.

سماع الإدراك: ففي قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن قولهم:

○ ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ ﴿1﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴿ الجن/1-2 .

سماع الفهم: فهو المنفي عن أهل الإعراض والغفلة بقوله تعالى:

○ ﴿ فَإِنَّكَ لَأَ تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الصُّمَّ الدُّعَاءِ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ الروم/52 .

فالتخصيصُ ها هنا لإسْمَاعِ الفهم والعقل، وإلا فالسمع العام الذي قامت به الحجة لا تخصيص فيه، وفيه قوله تعالى:

○ ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾

الأنفال/23 .

أي لو علم الله في هؤلاء الكفرة قبولاً وانقياداً لأفهمهم، وإلا فهم قد سمعوا  
سمع الإدراك ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون أي ولو أفهمهم فلا انقياد ولا  
انتفعوا بما فهموا .

لأن في قلوبهم من داعي التولي والإعراض ما يمنعهم عن الانتفاع بما سمعوه .

وأما سماع القبول والإجابة: ففي قوله تعالى حكاية عن عامة المؤمنين أنهم قالوا:

○ ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ النور/51 .

فإن هذا سمع قبول وإجابة مثمر للطاعة فمن قُرئ عليه القرآن فليقدر نفسه  
كأنما يسمعه من الله يخاطبه به، وعندئذ تزدهم معاني المسموع ولطائفه  
وعجائبه على قلبه، فيزداد حثاً لنفسه وسفرأً إلى الغاية المقصودة بالمسموع الذي  
جعل وسيلة إليها، وهو الحق سبحانه فإنه غاية كل مطلب:

○ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ النجم/42<sup>(1)</sup> .

---

<sup>1</sup> - ابن القيم: تهذيب مدارج السالكين، ص235 - ص238 بتصرف.

### أسئلة مطروحة:

- ما الفرق بين معنى الاستماع والإنصات؟ وكيف تصل الرحمة لمن يستمع وينصت للقرآن؟.
  - كيف تتم عملية تأثير الكلمات القرآنية على الخلايا العصبية فيشعر المريض بالسكينة والطمأنينة؟.
  - ما هو تأثير سماع القرآن على المورثات السلوكية؟.
- ما تأثير الكلمات القرآنية على الكافرين الذي نعتهم القرآن الكريم:
- ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ الإسراء/41.

## الفرع الأول

### معجزة الكلمة القرآنية عند الاستماع والإنصات لها

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

الأعراف/204.

والاستماع: هو الإصغاء نحو:

○ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الإسراء/47<sup>(1)</sup>.

الإنصات: ترك التحدث والانشغال بما يشغل عن سماعه - أي سكت مستمعاً<sup>(2)</sup>.

هنا لطيفة إعجازه للاستماع والإنصات للقرآن الكريم، عند سماع كلام الله المدرك بالأذن، وبإصغاء وانتباه شديد والتركيز لسماعه، وترك التحدث والثرثرة، والبعد عن أي مؤثرات، يبدأ القلب بالاسترخاء وتهدأ الانفعالات الجسمية وتبدأ سكون النفس لانخفاض الأدرينالين في الجسم وتبدأ عمليات التمعن والتركيز عملها للإنسان المؤمن لأن هذه الكلمات القرآنية تحمل طاقة نورانية ذات تأثير هائل لمن يستمع بإنصات وإصغاء لها.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 249.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 307.

فالذبذبات الاهتزازية الصوتية تحسب التردد بالثانية فازدياد التردد يزداد معه حدة الصوت.

وأذن الإنسان لا تسمع الصوت إذا كان تردده أقل من 20 ديسبل وهو مجال الهمس وأعلى من 150 ديسبل ينفجر غشاء الطبل ويفقد السمع، فالذبذبات الصوتية للكلمات القرآنية تصل إلى الخلايا العصبية الأذنية التي هي فائقة التمييز، ترتبط بالخلايا العصبية المحيطة بالقلب مباشرة عن طريق العصب العاشر الذي يسمى العصب الحائر أو التائه، فتصل الكلمات القرآنية إلى القلب مباشرة وهو محل المعتقدات الإيمانية والمشاعر، فتعمل على إعادة برمجة الحمض النووي المنقوص الأوكسجين «DNA» والذي هو مادة الحياة، لأن الترددات الاهتزازية لكلمات القرآن توافق لغة تركيب المورثات السلوكية الإيجابية فتعيد تفعيل «DNA» بشكل إيجابي لهذه المورثات السلوكية الموجودة حصراً في القلب، حيث لها نفس نظام الترددي فتوسم بنور السكينة والطمأنينة للمؤمن المستمع والمنصت للقرآن، هذه الكلمة القرآنية ذات سلطان طاقي هائل، بل سحر الكلمة وقوتها تفعل الأعاجيب وتفتح قلوب العباد وتكون الرحمة قريبة ممن يسمع كلماتها .

إن السكينة والطمأنينة من الله عز وجل، والكلمات القرآنية تحمل نور ذو طاقة إيجابية لا يعرف قوتها إلا الله:

○ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ

إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الفتح/4.

بعملية الإنصات والاستماع تكون السكينة سكنت قلب سامع القرآن ومنصته.



بهذه الترددات الصوتية والذبذبات الطاقية لكلمات القرآن تعمل الخلايا العصبية على تمرير بالمشبك العصبي الموصلات العصبية الكيميائية (الناقل العصبي الكيميائي، نتيجة فعل الجهد الكهربائي على طول المحور العصبي وحركة الأيونات «الشوارد» عندها تثار الحويصلات فتنفجر)<sup>(1)</sup>، طارحة مواد كيميائية وأهمها الدوبامين الذي يؤثر مباشرة على الحالة النفسية للإنسان.

فتنخفض شدة التوتر، والاكتئاب والضغط النفسي وتتحول إلى حالة الطمأنينة ويشعر المؤمن بالسعادة (انشرح الصدر):

○ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ يونس/57.

إن مفهوم مورثات السعادة نجد أن أول مادة يمكن أن تلعب مثل هذا الدور هي الناقل العصبي المسمى (الدوبامين)، وهي مادة السرور الكيميائية تزداد بعد تجربة سارة «كسماع كلمات قرآنية» إن إطلاق وتحول الدوبامين والسيروتونين، هي أول الظواهر التي تفسر تأثير المورثات على السلوك<sup>(2)</sup>.

هذه المواد الكيميائية تزداد إفرازاً عند سماع القرآن، أليست هذه المواد مسخرة ومجندة من الله تعالى لجعل الحالة النفسية للمؤمن بحالة الطمأنينة.

○ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ الفتح/7.

---

<sup>1</sup> - كرسيتين تمبل: المخ البشري، سلسلة عالم المعرفة، العدد رقم 287، ص 13.

<sup>2</sup> - كيفن ديفس: الجينوم - كسر شفرة المورثات، ص 330.

فعد دوام ذكر الله وقراءة القرآن تطمئن القلوب:

○ قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد/28.

إن المورثات السلوكية الموجودة في الخلايا القلبية حصراً تحتاج دائماً إلى من يهذبها لكي تظهر فيها السلوكيات الحسنة وهنا يلعب الذكر وقراءة القرآن دوراً بتقويتها من شوائب الآثام والمعاصي التي أثرت على المورثات السلوكية سلباً وسودت صفحة القلب فلا بد من زيادة نور الإيمان ليروي القلب وليغسل درنه.

وليرجع نقياً صافياً هذا هو حال المؤمن المعلق قلبه بذكر الله، وينصح بسماع القرآن لأن بعض الأبحاث أثبتت أن سماع القرآن يؤثر على رفع النظام المناعي للإنسان، إن تنبه القلب لمعاني المسموع يصل لحالة الفهم وإدراك المعنى، عندها يكون سماع قبول وإجابة:

○ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿24﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إبراهيم/24-25.

إنها كلمة التوحيد، كلمات القرآن الكريم، تنشط وتهذب المورثات السلوكية للصفات الحميدية للإنسان، فتقوى لمة الرحمن المنادية لفعل الخير لهذا المؤمن فيصوب نفسه باتجاه الاستقامة، وعنه قال رسول الله ﷺ: ﴿حَسَنُوا أَخْلَاقَكُمْ﴾.

هنالك تغيرات فيزيولوجية أيضاً تظهر لمن يستمع للقرآن، وأكدها القرآن الكريم:

○ قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر/23.

أحسن الحديث هو القرآن الكريم:

فعند قراءة القرآن وتلاوته تلاوة عقلية تفكرية، وتأمل معانيه يشعر المؤمن العاقل بتغير جسمي ونفسي كيف هذا؟ لأن الذين يتلون القرآن هم الذين يتبعون أحكامه ومعانيه فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة... إذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً، أما قوله:

○ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ البقرة/121، أي إتباع له بالعلم والعمل<sup>(1)</sup>.

فسماع القرآن أو تلاوته يشعر المؤمن بقشعريرة في جلده وهي دليل الخشوع والانكسار لرب الوجود، ثم تلين جلودهم وقلوبهم طمعاً بمغفرة الرحمن وزيادة الهدى فتتشعر جلودهم عند سماع آيات العذاب والخوف من الله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء.

ومصدقاً لحديث رسول الله ﷺ قال: ﴿لَا يَقَعْدُ قَوْمٌ يُذَكِّرُونَ اللَّهَ إِنَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ﴾<sup>(2)</sup>.

فذكر الله تجعل المجلس تتحلق حوله الملائكة وتغشيهم الرحمة وتنزل السكينة والطمأنينة عليهم، ويذكرهم الله فيمن عنده سبحانه الله أليست كلها جنود لله:

○ ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ الفتح/7.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 84.

<sup>2</sup> - رواه مسلم في صحيحه.

ماذا يحدث للكفار عند سماع القرآن: يتأثرون سلباً وتشمئز قلوبهم ويولون الأدبار نفوراً وتصيبهم حالة الاكتئاب النفسي ويضطرب مزاجهم، بل وتزداد عدوانيتهم وانفعالهم وغضبهم.

وذلك لزيادة فرط نشاط هرمون التوتر الأدرينالين والنور أدرينالين التي تفرزه الخلايا النابضة في القلب والمشابك العصبية في الدماغ فتزداد دقات قلوبهم وتبثق عنها ارتفاع ضغط الدم فيظهر ما تكنه سرائرهم من كراهية وحقد واشمئزاز فتظهر علانية، بل وينخفض مستوى السيروتونين فتظهر الكآبة وتوتر القلق الزائد، لكن لو ذكر أسيادهم ليستبشروا مصداقاً لقوله تعالى:

○ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الزمر/45.

○ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَتْ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾ الإسراء/46.

إنهم في حالة الضنك والتعب النفسي والجسمي حتى في حياتهم ومعيشتهم كما قال تعالى:

○ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه/124.

بل ويزيدهم قهراً، فيقيض الله تعالى للكافر شيطاناً قريباً له قال تعالى:

○ ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الزخرف/26، يرهقه بوسوسته، لا لا بل هناك المزيد.

إن الكفار يكونون في حالة نفسية وقلبية شديدة البؤس تنعكس على قلوبهم المشمئزة فتتفطر قلوبهم.

أكد فريق من الباحثين في جامعة جونز هوبكنز إلى أن الأخبار السيئة «حالة الاشمئزاز والتوتر والضغط النفسي قد تجعل المرضى يتعرضون لعدة أيام لارتفاع الأدرينالين وغيره من الهرمونات التي تفتقر القلب التي توجد في الخلايا النابضة بالقلب» ووجدوا أن معدلات هذه الهرمونات أكثر نسبة/7/إلى/34/مرة، مما يوجد في حالات الإصابة بنوبة قلبية.

ويقول "إيلان ويتشاين" رئيس فريق البحث، بعد ملاحظة عدد من حالات ظاهرة انفطار القلب في مستشفيات هوبكنز: ((أدركنا أنه ظهرت على هؤلاء المرضى علامات إكلينيكية تختلف تماماً عن الحالات النموذجية للنوبات القلبية، وأن شيئاً مختلفاً تماماً كان يحدث))<sup>(1)</sup>، هذا ما يحدث لأهل الكفر عند سماعهم القرآن فتزداد حالة الضغط النفسي والتوتر مما يؤثر على انفطار قلوبهم.

لذا أمر الله تعالى المؤمنين اجتناب المستهزئين قال تعالى:

○ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾ النساء/140.

فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبهم فقد رضى فعلهم، والرضا بالكفر كفر، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية...

<sup>1</sup> - أخبار BBC العربية، في 2005/2/10.

أي أن الرضا بالمعصية معصية، فكل قرين بالمقارن يقتدي<sup>(1)</sup>، وكل فريق بفريقه يفرح، قال تعالى:

○ ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هود/24.

فقدوا توازنهم النفسي والأخلاقي والجسماني وظهرت طاقتهم السلبية، فطبع الله على قلوبهم:

○ ﴿وَنُطْبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الأعراف/100.

بل وضرب حجاباً مستوراً يسترهم عن فهم القرآن وتعقله فلا ينتفعون به:

○ ﴿وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا

مَسْتُورًا﴾ 45 ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا

ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّأَ عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء/45-46.

وفي الآخرة الندامة لأنهم أصحاب السعير:

○ ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ الملك/10.

وفي ختام هذا البحث يتأكد لنا أن الأذن هي الطريق الأقرب إلى القلب، وقد تكون معلومة مفيدة، لو وضعنا الأذنتين جنباً إلى جنب لتشكّل لنا القلب سبحانه.

فالحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على نعمة القرآن لأنه نور وشفاء ورحمة للعالمين، الحمد لله على نعمة سماع صوت الحق وفهم معانيه.

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، مجلد الثالث، ج 1 ص 279.

تعالواً معاً نتابع بعض صفات أولي الألباب:

وصف القرآن الكريم أولي الألباب بعشرات الصفات التي ميزتهم عن غيرهم من أهل العقول، لأن عقولهم أدركت من الله عز وجل ما لا تدركه العقول الخرية، ففي سورة الرعد:

○ قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ الرعد/19.

أي هل يستوى من آمن وصدق بما أنزل عليك أيها الرسول، من بقي يتخبط في ظلمات الجهل والضلال؟ لا لب له كالأعمى؟ المراد به عمى البصيرة، إنما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذو العقول السليمة<sup>(1)</sup>.

ثم عدد الله تعالى صفات أولي الألباب فقال سبحانه:

○ ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ 20 ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا

أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ 21 ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرعد/20-22.

ماذا كانت نتيجة أعمالهم:

○ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ 22 ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ

آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ 23 ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ الرعد/22-23.

<sup>1</sup> - تفسير صفوة التفاسير للصابوني ص576.

وصفة العلم والتذكر ملازمة لأهل الأبواب مع العمل الدائم ومواظبة العبادة  
للَّهِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ قَالَ تَعَالَى:

○ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنْاءُ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ  
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا  
الْأَبَابِ﴾ الزمر/8-9.

قال الإمام الفخر: ((وأعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة فأولها أنه بدأ  
فيها بذكر العمل، وختم فيها بذكر العلم، أما العمل فهو القنوت والسجود، والقيام،  
وأما العلم ففي قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا يدل على  
أن كمال الإنسان محصور في هذين المقصودين<sup>(1)</sup>.

صفات أولي الأبواب كثيرة أهمها التفكير بآيات الله وبعظمته، وذكر ربهم أثناء الليل  
وأطراف النهار.

قال تعالى في سورة آل عمران:

○ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي  
الْأَبَابِ﴾ آل عمران/190.

ثم وصف أعمالهم ودعائهم الدائم وإلحاحهم على ربهم أن يقبل ويستجيب  
دعائهم:

○ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران/191.

○ ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ آل عمران/191.

<sup>1</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 1063.



ومن صفاتهم الدعاء وذكر الله دائماً:

○ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران/191.

○ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾  
آل عمران/192.

○ ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾  
آل عمران/193

○ ﴿رَبَّنَا فَاعْرِضْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾  
آل عمران/193

○ ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ  
الْمِيعَادَ﴾ آل عمران/194.

الاستجابة أتت سريعاً:

○ قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ﴾  
آل عمران/195.

إن من أقوى الأسباب في دفع المكروه الاستمرار في الدعاء، ومن أسباب الإجابة الإلحاح في الدعاء واليقين بالإجابة من الله، وعنه ﷺ قال: ﴿الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعِمَادُ الدِّينِ، وَنُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(1)</sup>، فكيف لا يستجاب لأهل العقول الرزينة الذين يتفكرون أثناء الليل وأطراف النهار بآيات الله المقروءة والمنظورة؟!

كيف لا يستجاب لأهل البصيرة والاعتبار! عندما يدعون ربهم ويلحون بالدعاء بقلوب خاشعة وجلة وانكسار بين يدي الله عز وجل.

<sup>1</sup> - أخرجه الحاكم في مستدرکه، 1/492.

○ قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

البقرة/197.

الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وأخراه، هو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجلّ نعيم دائم أبداً، ومن ترك هذا الزاد فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين، فهذا مدح للتقوى فيا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل، وفساد الرأي<sup>(1)</sup>.

وأعظم صفة لأولي الألباب أنهم أهل التقوى خصهم القرآن على التزود الدائم بأفضل الزاد وخيره وأصل التقوى مأخوذ من اتقاء المكروه، مما تجعله حاجزاً بينك وبينه، فالمتقي هو الذي يقي نفسه مما يضرها.

وهو الذي يتقى عذاب الله بطاعته، وجماع التقوى أن يمثل العبد الأوامر، ويتجنب النواهي، قال ابن عباس رضي الله عنه: ((المتقون هم الذين يتقون الشرك، ويعملون بطاعة الله))<sup>(2)</sup>.

هؤلاء هم أولو الألباب الذين لا يهتمهم متاع الدنيا وزينتها وشهواتها من النساء والبنين والقناطر المنظرة من الذهب والفضة والخيل والأنعام والحراث، لكن ماذا ينبئنا الله بخير من ذلك؟، قال تعالى:

﴿قُلْ أُو۟سُب۟نٰكُمۡ بِخَيْرٍ مِّنۢ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنۡدَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِيۡ مِنۡ تَحۡتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضۡوَانٌ مِّنۡ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِالۼعِبَادِ﴾ آل عمران/15.

<sup>1</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص 82.

<sup>2</sup> - صفوة التفاسير للصابوني، ص 24 و 25.

## القرآن الكريم

### المعجزة الفكرية الخالدة

**التفكير** فريضة وعبادة لأن المؤمن العاقل المتبصر مطالب بأن يعمل فكره في كل مناحي الحياة، وخاصة التفكير بما أبدع الله عز وجل، فيتعرف لخالق الكون مما يزداد عبودية وخشية منه، لأن العقل هبة الله لنا لكي نعرفه، والتفكير مفتاح الوصول إلى الحق عز وجل بتقليب النظر والتأمل في مخلوقاته.

التفكير العقلي يؤدي بالمؤمن الإقرار والاستسلام والتصديق فيما قاله رسول البشرية ﷺ، ولا يأتي هذا إلا عندما يعرف أن تاريخه ناصع البياض في صدق الحديث وصدق التعامل.

إن التفكير يمر بمراحل ثلاث:

- 1- مشاهدة الحقائق ودراستها .
  - 2- ملاحظة الحقائق وتدبرها والتفكير بها لتتأكد من صدقها أو كذبها .
  - 3- بعد التحقق منها تكون قد وصلنا لحقيقة علمية .
- فحامل الرسالة ﷺ اجتمعت له خصائص ومميزات تؤكد وتؤيد صدق نبوته .

اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الرسول ﷺ أمياً لا يتلو الكتاب ولا يخطه يمينه حتى لا يرتاب العامة في نبوته ﷺ وحتى بيئته بيئة أمية بالنسبة للأمم الأخرى التي من حولها، حتى تكون معجزة النبوة والشريعة الإسلامية واضحة للأذهان لا لبس بينها وبين الدعوات البشرية<sup>(1)</sup>.

وكان ينادى في الجاهلية الصادق الأمين... هكذا عرف في مجتمعه القرشي، لأنه يحمل أخلاقاً عالية تميزه عن بقية الناس، فلا يخون الأمانة، ولا من طبعه الكذب.

عند بدء نزول الوحي، رجع إلى بيته خائفاً وقص كل ما حدث على زوجته خديجة، فقالت: ﴿أَبَشَّرَ فُوُ اللَّهِ لَا يَخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحْمُ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ﴾.

التفكير العقلي يثبت أن القرآن الكريم هو المعجزة الفكرية الخالدة، عرف العلماء المعجزة فقالوا! المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل إليهم، فالمعجزة حسب التعريف السابق لها ثلاثة أركان:

الأول: حدوث أمر خارق للعادة.

الثاني: تحدي الناس المعاصرين بهذا الأمر الخارق،

الثالث: عجز الناس المعاصرين عن المعارضة.

لو طبقنا مصطلح المعجزة على ما أجراه الله تعالى على يدي رسولنا محمد ﷺ من معجزات لوجدناه ينطبق على معجزة القرآن الكريم، حيث قال تعالى:

<sup>1</sup> - د. محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية، ص 32-33.

○ ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ 23 ﴿ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة/23-24 .

معجزات الرسول ﷺ كثيرة، مثل الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر ونبع الماء من بين يديه، وتكثير الطعام القليل، وتكليمه الشجر والحجر... إلخ.

فلا ينطبق عليها مصطلح المعجزة السابق، لأنها لم يقصد بها تحدي المدعويين، وإنما كانت لحكم متعددة أبرزها التسرية عن الرسول ﷺ وتثبيت المؤمنين، وزيادة إيمانهم بدعوة الإسلام، وزيادة يقينهم بنبوة محمد ﷺ، نخلص من كل الكلام السابق أن التفسير العلمي للآيات القرآنية فيه خير كثير، فهو يزيد الهداية، ويعمق اليقين بالهية القرآن الكريم، وقد جاء الإشكال والالتباس عند كثير من المسلمين من إسقاط المفاهيم مصطلح المعجزة على هذا التفسير، فإذا عرفنا أن مصطلح المعجزة جديد، وأن مضمونه حدده بعض علماء أصول الدين، وأن المصطلح الذي استخدمه القرآن والسنة للدلالة على المعجزة والمعجزات هو مصطلح الآية والآيات<sup>(1)</sup>.

والقرآن الكريم تحدى كل من يفكر أنه من عند غير الله.

هذا التحدي كان جلياً واضحاً لا غموض فيه، يؤكد أن الذي أنزل القرآن هو الله عز وجل:

○ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء/82 .

<sup>1</sup> - مجلة الإعجاز العلمي العدد/17/ ذو الحجة/1424هـ ص46.

أليس هذا التحدي هو إعجاز يحسب على القرآن الكريم ورداً على من ينكرونه، وإلى هذا اليوم وبعد مضي أربعة عشر قرناً لم ولن ولا يستطيع أحد أن يرد هذا التحدي في فصاحته وألفاظه ونظمه وبلاغته وبيانه وأسلوبه وقصصه وأمثاله وأخباره وأحكامه فالتحدي قائم وسيظل قائماً ما دامت السموات والأرض.

أليس هذا التحدي يثبت ويبرهن تلقائياً أنه كلام ليس من البشر بل هو من صمم وأبدع هذا الكون.

○ قال تعالى: ﴿قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ الإسراء/88.

فبالعقل يحكم الإنسان بأنه لا بد لهذا الكون من خالق وحيد، ومسير حكيم، واحد في ذاته، وفي أسمائه، وصفاته، وأفعاله وبالعقل يحكم الإنسان بأن هذا القرآن هو كلام الله أنزل إلى رسوله ﷺ.

وبعدئذ يأتي القرآن، ليخبر الإنسان، عما لا يستطيع العقل أن يدركه بذاته... إنها قصة خلق السموات والأرض، وحقيقة الحياة الدنيا والآخرة، وخلق الإنسان، وما المنهج الذي ينبغي أن يسير عليه ليحقق ذاته ويدرك السعادة في الدنيا والآخرة... فالدين عقل ونقل: عقل لمعرفة الله، وللتحقق من صحة النقل عنه ولفهمه، ونقل بيبين للعقل ما خفي عنه وما عجز عن إدراكه وما يضمن سلامته وسعادته<sup>(1)</sup>.

إنه الوحي الخالد والمعجزة الفكرية التي تشع نوراً ما دامت السموات والأرض، كثير من الأنبياء أظهروا بأمر الله تعالى بعض المعجزات الحسية لإثبات رسالتهم،

<sup>1</sup> - د . محمد راتب النابلسي: نظرات في الإسلام ، ص245.

عيسى عليه السلام معجزة إحياء الموتى، وموسى عليه السلام شق البحر، وانقلاب عصاه إلى أفعى تسعى، وصالح عليه السلام معجزة خروج الناقة من الصخر، كلها معجزات حسية مؤقتة، زالت بزوال صاحبها، لكن رسول الله وخاتم النبيين ﷺ معجزته فكرية دائمة وباقية إلى أن يرث الله الأرض.

وأسند عن الحارث عن الإمام علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿سَتَكُونُ فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمُخْرَجُ مِنْهَا ؟ قَالَ: كِتَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ نَبَأٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ أَفْصَلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جِبَارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ، اللَّهُ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْأَمْتِينَ، وَنُورُهُ الْأَمْبِينِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمِ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الَّذِي لَا تُزَيِّعُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَلَا تَتَشَعَّبُ مَعَهُ الْأَرَاءُ وَلَا يُشْبِعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ وَلَا يَمْلُهُ الْأَتَقِيَاءُ وَلَا يُخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ.

وَلَا تَتَّقِضِي عَجَائِبُهُ وَهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجَنُّ إِذْ سَمِعْتُهُ أَنْ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قِرْآنًا عَجَبًا مِنْ عِلْمٍ عَلَّمَهُ سَبَقَ وَمَنْ قَالَ بِهِ صِدْقٌ، وَمَنْ حُكِمَ بِهِ عَدْلٌ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرٌ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿<sup>(1)</sup>﴾.

إن القرآن الكريم معجزة خالدة معجزة فكرية لا ولن يستطيع إنس ولا جان تحريفه لأن الله عز وجل تكفل بحفظه.

○ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر/9.

<sup>1</sup> - أخرجه الترمذي.

أليس الله عزّ وجلّ أخبرنا بقرآنه أننا مهما اكتشفنا من مخلوقات، سيكون هنالك المزيد من المخلوقات وأشياء جديدة لم تكتشف وصدق الله تعالى:

○ ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ النحل/8.

○ قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت/53.

هكذا حث القرآن الكريم المؤمنين والناس أجمعين على التفكير بآياته حتى يتبين لهم أنه الحق المبين.

إن العقل البشري يقوم على مبدأ السببية، أي أن العقل لا يفهم حدثاً من دون محدث، ومن رحمة الله بنا، أن هذا النظام في الكون، وذاك المبدأ في العقل، يقودنا برفق إلى معرفه الله مسبب الأسباب، فالؤمن الصادق ليأخذ بالأسباب، من دون أن يعتقد أنها تصنع النتائج، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها، يأخذ بها وكأنه كل شيء، ويعتمد على الله وكأنها ليست بشيء، معتقداً أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج، إلا بمشيئة الله، وهذا التوحيد الإيجابي الذي يغيب عن كثير من المؤمنين<sup>(1)</sup>.

وفي الأثر (لا يعرف حقيقة الله إلا الله) إن عقل الإنسان من الضعف المتناهي بحيث لا يستطيع أن يحيط بذات الله مهما بلغ من الوصف ولا يعرف الله إلا الله لأن النسبة قائمة بين الله وذاته سبحانه.

**فتعالوا معاً نتعرف على المزيد....**

<sup>1</sup> - د . محمد راتب النابلسي: تأملات في الإسلام ، ص 264.



الدعوة إلى التفكير العقلاني في آيات القرآن الكريم:

○ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل/44.

○ قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ النحل/89.

في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين، وكل ما يحتاج إليه العباد فهو مبين فيه أتم تبين، بألفاظ واضحة، ومعان جلية... حتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح، معاني كثيرة، يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس، فلما كان هذا القرآن تبياناً لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم.

فانقطعت به حجة الظالمين، وانتفع به المسلمون، فصار هدى لهم، يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة.

وتمام العقل الذي لا يتم إلا بتربيته على معانيه التي هي أجل المعاني وأعلاها، والأعمال الكريمة والأخلاق الفاضلة والرزق الواسع، والنصر على الأعداء بالقول والفعل، ونيل رضا الله تعالى، وكرامته العظيمة التي لا يعلم ما فيها من النعيم المقيم إلا الرب الرحيم<sup>(1)</sup>.

لا تنتقض عجائبه فمنها الإعجاز العلمي واللغوي والتاريخي والرقمي والطبي وشفاء لما في الصدور تثبت أن القرآن تبيان لكل شيء وهو من عند الله.

فمثلاً نزلت في معركة بدر هذه الآية:

○ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ الأنفال/11.

ونزلت في معركة أحد هذه الآية:

<sup>1</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص 449.

○ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا﴾ آل عمران/154.

إن الخائف الفزع لا يغشاه النعاس وذلك لإفراز كمية كبيرة من الأدرينالين في جسمه فيزيده توتراً وقلقاً، لكن الله عزّ وجل ألقى بمعركة بدر، النعاس على المؤمنين ليجعل قلوبهم آمنة غير خائفة من عدوها، أليس النوم يخفف من هموم الحياة وضغوطها من قلق - خوف - غم - فزع - اضطراب الأعصاب- تعالوا نتابع الآية:

○ ﴿وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ﴾ الأنفال/11.

ما أهمية ماء المطر بعد النوم من المبدأ العلمي: ينشط الجسم والدورة الدموية ويخفف من ارتفاع الهستامين نتيجة آثار الضغط والتوتر من سطح الجسم حيث يقوم بتبريد الوجه والجسم المكشوف مما يسهم في عملية إفراز السيروتونين هذا الهرمون وظيفته أنه مضاد للاكتئاب ومرخٍ للانفعال فيشعر المرء بنشاط حيوي وطمانينة عالية مما يبعد وسوسة الشيطان وتخيفه للمؤمنين فيساهم ماء المطر بهذا التنشيط للجسم والقلب مما يساعد على إزالة الخوف بل يزيد الإحساس بالقوة والثبات.

ليربط على قلوب المؤمنين ويدفعهم إلى الثبات بأرض المعركة، فالنعاس والمطر ما هي إلا جنود من الله قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ الفتح/7.

الدعوة إلى التفكير العقلاني بآيات القرآن ليستدل المؤمن عن أطوار خلق الإنسان قال تعالى:

○ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الطارق/5.

○ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ﴿20﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الروم/21.

قال قتادة: ((تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة، وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله تعالى: ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب، فاطلبنى تجدني، فإن وجدتي وجدت كل شيء، وإن فتك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء))<sup>(1)</sup>.

الدعوة إلى التفكير في خلق النبات:

○ ﴿يُنَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل/11.

في صنع العسل من النحل:

○ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل/69.

الدعوة إلى التفكير العقلاني في حقيقة الدنيا، قال تعالى:

○ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام/32.

الدعوة إلى التفكير العقلاني لفهم سنن التغير والصراع بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ فاطر/43.

<sup>1</sup> - مختصر تفسير ابن كثير للصابوني، ج3، ص381-384.

○ قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ آل عمران/137.

الدعوة إلى التفكير العقلاني في نعم الله على عباده:

○ قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمَنْ كُلِّ  
الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد/3.

○ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ  
تُسِيمُونَ﴾ 10 ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ  
الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل/11.

الدعوة إلى التفكير العقلاني في المتناقضات:

○ قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام/50.

الدعوة إلى التفكير العقلاني في تسخير كل شيء للإنسان لإعمار الأرض:

○ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ 12 ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الجاثية/13.

الدعوة إلى التفكير العقلاني بأحسن الطرق:

○ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى ثُمَّ  
تَتَفَكَّرُوا﴾ سبأ/46.

قال الماوردي: ((إنما قال مثى وفرادى لأن الذهن حجة الله على العباد وهو  
العقل، فأوفرهم عقلاً أوفرهم حظاً من الله، فإذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة،

وإذا كانوا مثني تقابل الذهنان فتتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد والله أعلم<sup>(١)</sup>.

### التفكير العقلاني في الآيات المنظورة:

إن قضية الخلق قضية لا تقع تحت إدراك العلماء مباشرة لهذا فكل نظرية علمية تنتصر تكون بمقام الحقيقة عندما يؤكدوا القرآن ولو بأية وأي تعارض بين القرآن الكريم والنظرية العلمية ستسقط لا محال، يقول الشيخ الشعراوي: ((إن القرآن هو كلام الله والكون خلق الله، وما دام الذي خلق الكون هو الذي قال ذلك الكلام فيجب بدهاءة ألا تتعارض حقيقة قرآنية مع حقيقة كونية))<sup>(٢)</sup>.

○ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات/47<sup>(٣)</sup>.

إن الكون المحيط بنا كون دائم الاتساع، من سنوات أقرت جائزة نوبل لعالم أثبت أن الفضاء في توسع وتمدد مستمر، حقيقة علمية أكدها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً.

حتى أن الصياغة المصدرية الراقية باسم الفاعل لموسعون تشير إلى اتساع الكون منذ نشأته واستمرارية الاتساع إلى أن يشاء الله.

هذا الاتساع الكوني دفع العلماء إلى القول إننا إذا عدنا بهذا الاتساع إلى الوراء البعيد فلا بد أن تلتقي مادة الكون المنظور في جرم واحد وهي تكون نقطة البداية إلى الجرم الابتدائي ذو الكثافة العالية والطاقة العالية تجعله في حالة حرجة

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج3، ص439.

<sup>2</sup> - المرابط بن محمد لخديم الشنقيطي: معرفة الله دلائل الحقائق القرآنية والكونية، ص45.

<sup>3</sup> - د. زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية ثلاثة مجلدات بتصرف.

ينفجر هذا الجرم ويتحول إلى غلالة من الدخان، هذا الدخان يخلق منها دوامات تجتمع كماً من المادة والطاقة حول مراكز الجاذبية لتتم عملية التكديس ليتشكل بقدره الله على هيئة أجرام السماء المختلفة.

هذه أكثر النظريات قبولاً عن نشأة الكون وتسمى نظرية الانفجار العظيم

The Big Bang Theory، فيصف القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية:

○ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء/30.

الرتق: عكس الفتق في اللغة والرتق هو الجمع والضم والتكديس وهو وصف دقيق للحالة التي كان عليها الكون في الجرم الابتدائي الذي سبق عملية الانفجار العظيم.

والفتق: هو الانفجار والانتشار والانفصال (مرحلة توسع الكون) فسيبحان الذي أبداع السموات والأرض.

هذه الحقيقة العلمية ظهرت في القرآن الماضي، والقرآن الكريم تحدث عنها بآية واضحة جلية منذ ألف وأربعمائة سنة، مما يعطي هذه النظرية من الدعم ما يرتقي بها إلى مقام الحقيقة.

سيقول قائل مهلاً هنالك آية معاكسة تماماً لها :

○ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء/104.

إن عملية اتساع الكون لن تستمر إلى ما لا نهاية، لأنها محصلة انفجار الأول، ومعدل اتساع الكون اليوم أبطأ من المعدل الذي بدأ به، فسوف يأتي على هذا الكون زمان تتساوى فيه القوتان القوة الدافعة على الاتساع وقوة اللامة إلى

الداخل بالجاذبية، ثم مع ضعف القوة الدافعة إلى الخارج والانتساع تبدأ قوى الجاذبية في تجميع الكون بجرم واحد ويسمى العلماء هذه النظرية باسم (نظرية الانسحاق الشديد).

والقرآن أثبت هذه النظرية وجعلها حقيقة علمية قبل ألف وأربعمائة سنة، فسبحان من أوجد هذا الكون العظيم:

○ قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ الأنبياء/104.

وفي القرآن آيات تثبت تماماً أنه سيحصل جمع وتكديس المجرات الكونية كلها في تجمع واحد كما بدأ الخلق، وتظهر صدق القرآن بأنه سيحصل تجميع كامل للكون، وبأنه واجب علينا التفكير بهذا الآيات العظيمة.

○ قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ﴾7﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾8﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ القيامة/7-9.

○ قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾ الأنبياء/104.

وسيكون موعدنا نحن البشر، والكائنات الأخرى كلها مع رب العباد في يوم القيامة.

○ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم/48.

منذ فترة قريبة أعلن علماء الوكالة الفضائية الأميركية ناسا خيراً أن القمر يتباعد عن الأرض أكثر من 5 - 10 سم في السنة باتجاه الشمس وهذا دليل واضح على علامة تجميع الكون بدأت بالظهور، حتى التغيرات المناخية في الأرض وتبدل الشتاء صيفاً بدأنا نشعر بهذا نتيجة تغير في جاذبية القمر مع جاذبية الأرض،

بمعنى أن القمر لاحقاً ستبتلعه الشمس، كما أكد القرآن الكريم، مهلاً حقيقة علمية أخرى مكتشفة حديثاً من وكالة الفضاء الأميركية ناساً منذ عدة شهور أن سرعة الأرض حول محورها أخذت في التباطؤ التدريجي، ويتخوفون من تغير الاتجاهات لأقطاب المغناطيسية للأرض، ولاحقاً دمار كبير في التكنولوجيا الفضاء لعدم صلاحيتها؟.

السؤال المطروح؟ من علم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هذه الحقيقة التي بثتها ناساً منذ عدة أشهر، حول تباطؤ سرعة الكرة الأرضية وشروق الشمس من مغربها، فمن أحوال يوم القيامة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضَحَىٰ وَبَيْنَهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأَخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرَهَا قَرِيبًا﴾.

تباطؤ سرعة الأرض سيصل إلى حد أن يطول اليوم، فإن كان ذلك بفترة الليل ستصبح الليلة طويلة وكأنها ثلاثة ليال هنا يحدث الانقلاب ثم تشرق الشمس من مغربها، قال ﷺ: ﴿لَيَأْتِيَنَّآ عَلَى النَّاسِ لَيْلَةٌ تُعَدُّ ثَلَاثَ لَيَالٍ مِنْ لَيَالِيكُمْ...فَيُفْزِعُونَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فَإِذَا هُمْ بِالشَّمْسِ قَدْ طَلَعَتْ حَتَّى صَارَتْ وَسَطَ السَّمَاءِ﴾<sup>(1)</sup>.

وقال ﷺ: ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَأَاهَا النَّاسَ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، وَذَلِكَ حِينَ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾<sup>(2)</sup> الأنعام/158﴾.

<sup>1</sup> - أخرجه مسلم برقم/7310.

<sup>2</sup> - رواه البخاري برقم/4635 ومسلم برقم/394.



معجزة الغلاف الجوي<sup>(1)</sup>:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ الأنبياء/32.

السقف هو الغلاف الجوي الذي تمسكه الأرض عن طريق الجاذبية وتحول دون تسربه، ومؤلف من طبقات غازية هما النتروجين والهيدروجين 78%، والأوكسجين 21% و0.03% CO2 غاز ثاني أوكسيد الكربون اللازم للنبات. القبة الزرقاء التي نراها من الأرض ناجمة عن تفتت أشعة الشمس الزرقاء على ارتفاع 200 كم.

الغلاف الجوي يبلغ سماكته 35/ ألف كم ومقسم إلى سبع طبقات من ملامستها إلى الأرض ثم الأعلى أنظر الشكل رقم/13/:

1) طبقة التروبوسفير: الملاصقة للأرض سماكتها 11 كم، تسمى الطبقة المناخية غير مستقرة، يحدث فيها كل الظواهر الحيوية، تشكل الأمطار، والرعد والعواصف، وتحتوي على بخار الماء - وتقل درجة حرارة الهواء وكثافته وضغطه كلما ارتفعنا للأعلى.

2) طبقة الاستراتوسفير: سماكتها/11-50 كم/ فوق سطح البحر هنا الحرارة عالية لا يوجد بخار ماء وهي مستقرة تسمى الطبقة الأوزونية سماكتها/20-30 كم/ لها، فائدة عظيمة لحماية الأرض لأن لها قدرة على امتصاص الأشعة فوق البنفسجية الضارة جداً للإنسان أي هي حزام

---

<sup>1</sup> - أ. د. مسلم شلتوت: الغلاف الجوي، أستاذ بحوث الشمس والفضاء، مجلة الإعجاز العلمي من الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد/11/ سنة/1424/هـ، بتصرف.

واقى للعينين على سطح الأرض - هذه الطبقة حرارتها عالية لامتصاصها الأشعة فوق البنفسجية.

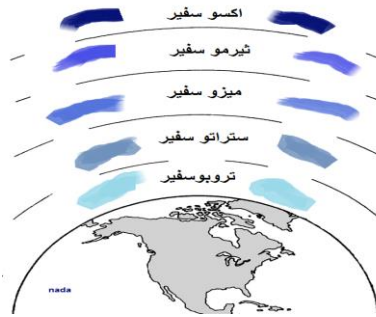
(3) طبقة الميزوسفير: سماكتها بين/50-80 كم هنا الحرارة أقل من (-90) درجة مئوية.

(4) طبقة الايونوسفير: سماكتها/85 كم إلى حوالي/700 كم فوق سطح البحر.

(5) طبقة الترموسفير: حرارتها عالية جداً.

(6) طبقة الإكسوسفير: سماكتها من/700 كم إلى/35000 كم فوق سطح البحر يوجد فيها الهيدروجين والهيليوم.

(7) طبقة الماكتوسفير: هامة جداً وهي آخر طبقة للغلاف الجوي وهي طبقة المجال المغناطيسي للأرض الذي يشكل غلافاً حولها/50.000 كم وهي تتألف من أحزمة إشعاعية تسمى (أحزمة فان ألن) وهي على نوعين من الأحزمة الإشعاعية على هيئة حلقتين تتطابق مع المستوى الاستوائي المغناطيسي للأرض.



الشكل رقم (13)

طبقات الغلاف الجوي

إن المسؤول عن الحقل المغناطيسي للأرض هو الحديد والنيكل الموجودين في لب الأرض.

ولكن رجاءً التركيز على هذه الطبقة، سبحان الله إنها آخر طبقة للغلاف الجوي وهي التي تغطي الغلاف الجوي وتتشكل من حقول الأرض المغناطيسية وتشكل درعاً واقياً للأرض من الأجرام السماوية والأشعة الكونية خاصة الدقائق المشحونة والهاربة من إكليل الشمس حيث تسبح في الفضاء الخارجي، وتسمى هذه الدقائق بالرياح الشمسية أي أن هذه الأشعة مهلكة لكل صور الحياة على الأرض وهي شبيهة بأشعة ألفا وبيتا التي تصدر من الانفجارات الذرية والنووية وهذه الطبقة (أحزمة فان ألن) تدفع الرياح الشمسية وتمنعها من اختراق الغلاف الجوي للأرض.



## القرآن الكريم

### معجزة فكرية في لغة كلماته

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرِيٌّ عَنْ مَسْأَلَتِي أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلُ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ، وَقَالَ: وَفَضَلَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ»<sup>(1)</sup>.

جميع لغات العالم هي وسائل للتواصل بين الناس، ولتبادل الأفكار، والمعلومات والأحداث، وأعظم لغة وجدت على سطح الأرض هي لغة القرآن الكريم. وأعظم الكلمات وأقواها كلمات القرآن الكريم كلام الله عز وجل والذي أنزله على سيد المرسلين رحمة للعالمين.

إن لغة القرآن الكريم هي اللغة العربية التي شاء الله عز وجل أن تكون ضاربة في القدم، لا يعلم عمرها إلا الذي أوجدها! والقرآن الكريم كلام الله أنزله ليتدبروا آياته، ويفهموا معانيه ولفظه كل من تكلم العربية،

○ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان/58.

<sup>1</sup> - أخرجه الترمذي.

أي سهلناه بلسانك الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها، فتيسير لفظه وتيسير معناه<sup>(1)</sup>.

أراد الله عزَّ وجل بهذا القرآن أن يحفظ اللغة العربية بحفظه، وهنا السؤال الهام أليست إرادة الله ومشيتته أن جعل القرآن الكريم «كلامه» باللغة العربية ليس للعرب بل للعالمين أجمع، وجعله وسيلة التواصل مع العالمين أجمع، أليس كلام الله أعظم الكلام وكلماته الخالدة والمعبرة عن فن التواصل مع الآخر، وفن الإقناع، وفن التحاور، والحجة البينة وفن التأويل والاعتبار.

وأما معنى عَرِيب أي أحدٌ يعرب عن نفسه وامرأة عروبة معربة بحالها عن عفتها ومحبة زوجها، وجمعها عُرُبٌ، والأتراب الخاليات من العيب.

○ قال تعالى: ﴿عُرْبًا أْتْرَابًا﴾ الواقعة/37.

ومعنى قوله: حُكْمًا عَرِيبًا قيل معناه مُفْصِحًا يحق الحق ويبطل الباطل، وقيل معناه شريفًا كريمًا كوصفه بكريم في قوله: كتاب كريم<sup>(2)</sup>.

فالعربية هي لغة إنسانية عالمية لكل العالمين، تعالوا نقرأ ما قاله الجن عن القرآن الكريم:

---

<sup>1</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص786.

<sup>2</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص331.

○ قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّندَرِينَ﴾ 29 ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ 30 ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ الأحقاف/31 .

سؤال هل الجن استمعوا إلى القرآن الكريم باللغة العربية؟

○ قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ 1 ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن/2<sup>(1)</sup> .

إنها أعظم لغة تحدث بها الإنسان على سطح الأرض، بها عرفنا أصلنا وعرفنا الأمم البائدة والسائدة، بها عرفنا أوامر الله ونواهيه، بها عرفنا حلاله وحرامه، إنها لغة آدم وحواء وإثبات ذلك من حديث أبي هريرة: ﴿لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ رواه الترمذي<sup>(1)</sup> .

الحمد لله لا توجد ترجمتها إلا بالعربية.

○ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ 31 ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ 32 ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة/31-33 .

سبحان الله الذي فضل آدم على الملائكة بالعلم، وأمرهم بالسجود إكراماً له ولعلمه.

<sup>1</sup> - الأحاديث القدسية بشرح الحديث من القسطلاني، ص 92.

تستمد اللغة العربية قوتها من حفظ القرآن الكريم لها، لأنه محفوظ في قلوب المؤمنين، والله حافظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر/9، قوتها في غناها بمفرداتها وعدد كلماتها يربو عن/12.300.000/مليون كلمة بينما الإنكليزية حوالي/600.000/كلمة.

والفرنسية/150.000/والروسية/130.000/كلمة، فيما اللغة العربية تمتلك أكثر من/16000/ جذر لغوي يفوق عدد جذور كل لغات العالم<sup>(1)</sup>، الذين ينطقون لغة القرآن أكثر من مليار ونصف إنسان، وهي أكثر اللغات المتداولة عالمياً، وكثير من الناس ينجذبون لتعلمها لفهم القرآن الكريم الذي حفظ هذه اللغة وجعلها أداة للفهم ولتدبر وتفكر القرآن الكريم.

أليس القرآن الكريم معجزة فكرية، سبحان الله به يرفع أقواماً وبه يضع آخرين. أنزله الله عزّ وجل لتفكر في آياته وتدبر معانيه، والتأمل في أمثاله والتبصر في إعجازه العلمي والرقمي والفلكي والحياتي، والتعقل فيما يقرأ منه وبرؤية وبنظر وتبصر عقلي لكي يفهم، وإتباع القرآن تلاوة، فمن يتلو القرآن حق تلاوته هؤلاء يتبعونه حق الإتياب.

فكل تلاوة قراءة وليس كل قراءة تلاوة:

○ ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ الأنفال/2، أما قوله:

○ ﴿يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ البقرة/121، أي إتباع أوامره ونواهيته وحلاله وحرامه، بالعلم والعمل.

---

<sup>1</sup> - قاموس المعاني الالكتروني.



سبحان الله كيف حثنا القرآن الكريم على التفكير العقلاني بكل آية، لا بل بكل كلمة واسم، الاسم ما يُعرف به ذات الشيء، بدلالة قولهم أسماء، وأصله من السمو وهو الذي به رفع ذكر المسمى فيعرف به قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ البقرة/31، أي الألفاظ والمعاني ومفرداتها مركباتها، ولا يعرف الإنسان الاسم إلا إذا عرض عليه المسمى، وعرف ذاته فمعرفة الأسماء لا تحصل إلا بمعرفة المسمى وحصول صورته - العقل - الذهن ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، أي صور المسميات في ذواتها، وقوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمِيَّتُمُوهَا﴾ يوسف/40، فمعناه أن الأسماء التي تذكرونها ليس لها مسميات، وإنما هي أسماء على غير مسمى إذ كان حقيقة ما يعتقدون في الأصنام بحسب تلك الأسماء غير موجودة فيها .

فليس المراد أن يذكروا أساميها نحو اللات والعزى، وإنما المعنى إظهار تحقيق ما تدعونه إلهاً وأنه هل يوجد معاني تلك الأسماء فيها ولهذا قال بعده:

○ ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ الرعد/34.

○ ﴿فَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ طه/89.

هي أسماء بدون مسميات وبدون معنى<sup>(1)</sup>.

تعالوا معاً نعرف المعنى الاعجازي اللغوي لأجمل اسم للفظ الجلالة - الله - تخرج كلمة الله من الصدر - الجوف - لأن كل حروفه جوفية.

الله قيل أصله إله فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فخص بالباري تعالى، ولتخصيصه به قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مريم/65، فالإله هو المعبود.

<sup>1</sup> - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، ص 247.

اسم الله ما نقصت حروفه يبقى معناه هو الله المعبود، فلو حذف الحرف الأول لله:

○ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف/180.

ولو حذف الألف واللام لكان له:

○ ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النحل/52.

ولو حذف الألف واللام الأولى والثانية بقيت (هـ):

○ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ طه/8.

ومن جهة أخرى قال بعض الحكماء: الله محبوب الأشياء كلها وعليه دل قوله تعالى:

○ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء/44.

اللهم قيل معناه يا الله فأبد من الياء في أوله الميممان في آخره وخُصَّ بدعاء الله وقيل تقدير يا الله أمنا بخير<sup>(1)</sup>.

الكلمة القرآنية لها قوة وطاقة إيجابية نورانية لا يعلم تأثيرها إلا الله عزّ وجل بها يحق الحق وبها يبطل الباطل.

(لا إله إلا الله) فحوى رسالات الأنبياء جميعاً، فالشيء الدقيق هو أن تضغط ديناً بكامله، وأن تجمع الشرائع السماوية في هذه الكلمات، وعنه ﷺ قال:

○ ﴿أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 31.

<sup>2</sup> - د. محمد راتب النابلسي: موسوعة أسماء الله الحسنى، ج 2، ص 6.

بهذه الكلمة ومعناها ولفظها تتحول إلى صورة ذهنية سمعية وبصرية تُطبع وتحتفظ في قلوبنا فما بالكم بعشرات الألوف من الكلمات والمسميات التي معناه لا يعد ولا يحصى لها صور ذهنية في عقول المؤمنين بهذه الصور الذهنية الهائلة تنمو الأفكار والمفاهيم ويتسع إدراك ووعي المؤمن الذي يتفكر بآيات الله، لأن كلمات القرآن ومعانيها مصورة ومسماة لحقائق الأمور بحذافيرها بلا زيادة ولا نقصان، وحتى رسمها بما يسمى الرسم القرآني، هذا ما أكده القرآن الكريم بأنه لا يمكن تغيير حرف واحد منه، وذكر العلامة ابن مبارك ما نصه: ((رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة وهو صادر من النبي ﷺ وهو الذي أمر الكتاب أن يكتبوه على هذه الهيئة)).

○ قال رسول الله ﷺ: ﴿أَحَبُّوا الْعَرَبَ لِنِثْلَاتِ لِيَأْتِي عَرَبِيٌّ وَالْقُرْآنَ عَرَبِيٌّ وَكَلَامَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ﴾<sup>(1)</sup>.

أحب أن أدون ما سمعته من اليوتيوب من عاشق للغة العربية قال: ((اللغة العربية لديها منطق وجود وحياء لأنها لغة معربة تتحرك كلماتها حسب موقعها. ولغة ترفع فاعلها والفاعل يجب أن يكون مرفوعاً وهذا منطق الحضارة لأن الفاعل من يصنع الحضارة. والذي يترقب حتى يقع عليه الفعل يكون منصوباً بمعنى عدم الحركة كالنصب التذكارية، أو بمعنى النصب أي التعب.

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج 1، المجلد الأول، ص 39.

في اللغة العربية المبتدأ إذا تقدم يجب أن يكون معرفة ويقتضي معه خبر، وكل خبر حكم مثال: المسألة صعبة - حكم/الطفل غبي - حكم/الفتاة جميلة - حكم/الحوار مفيد/حكم.

منطق الحياة يقول لا تحكم على أشياء لا تعرفها - والخبر حكم ولا حكم على نكرة فلا تحكم على أشياء لا تعرفها)).

فسبحان من يملك خزائن السموات والأرض، سبحان الله العظيم الذي أمدنا وهدانا وأنزل كتابه العظيم، وأما كلام الله، فإن من جملة صفاته، ليس لها حد ولا منتهى، فأبي سعة وعظمة تصورتها القلوب، فالله فوق ذلك، وهكذا سائر صفات الله تعالى، كعلمه، وحكمته، وقدرته ورحمته، فلو جمع علم الخلائق من الأولين والآخرين، أهل السموات وأهل الأرض لكان بالنسبة إلى علم العظيم، أقل من نسبة العصفور وقع على حافة البحر، فأخذ بمنقاره من البحر بالنسبة للبحر وعظمته، ذلك بأن له الصفات والعظمة الواسعة الكاملة وأن إلى ربك المنتهى<sup>(1)</sup>.

إنها كلمات خالدة في معجزة فكرية خالدة، قال تعالى:

○ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف/109.

<sup>1</sup> - تفسير تيسير كريم الرحمن للسعدي، ص490.

## خلق الله جميعاً يسبحون بحمده

**أيها** الإنسان لا تجعل نفسك مغروراً ومتعالياً بأنك تملك العقل لتمييز به الأشياء وتدرك وتعني، فأنت مهما عظم عقلك لا تدرك إلا ما تشاهده عيناك وتسمعه أذناك، فإدراك عقلك كحجمك بالنسبة لهذا الكون. فتعالوا نخشع ونتأدب مع خالق الكون كله الذي خضعت له بالعبودية والاستسلام كل من في السموات والأرض.

○ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ الحج/18.

وتسبح له الكائنات كلها :

○ قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الإسراء/44، ليس هذا مجازاً بل حقيقة كاملة.

فلا يجوز إطلاق المجاز في القرآن الكريم، لأنه من يؤيد هذا الرأي يدعم فرضية أن في القرآن الكريم ما يجوز نفيه.

○ قال تعالى: ﴿وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾  
الإسراء/44، أعلمنا علام الغيوب أن إدراكنا وفهمنا وعقولنا لا يمكن أن تفقه تسبيحهم.

أليس هذا دليل نقلي يتناغم مع الدليل العقلي، ألم يفهم الله تعالى داود عليه السلام على تسبيح بعض الكائنات لله:

○ قال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ ص/18.

كل جماعة وأمة تعلم كيف تصلي وتسبح خالقها:

○ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدٍّ عِلْمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ﴾ النور/41.

إنه إلهام الله لمخلوقاته بكيفية عبادته وتسبيحه، بلسان الحال ولسان المقال، لكن الإنسان لا يمكن أن يفهم تسبيحهم لعدم معرفته بلغات هذه الأمم.

لكن هل أعطاهم العقل كما أعطانا بالتأكيد لا لأنها غير مكلفة بتطبيق الشرع، لكن أعطاهم وميزها بإدراك ووعي وفهم خاص بها لا نقدر على فهمه ولا فقهاء ولكن علينا الإقرار بذلك.

فكما فطر الإنسان على الإيمان بخالقه، فطرت الكائنات الحيوانية والنباتية وكل شيء على الإقرار بالعبودية والاستسلام لخالقها، ألم يخاطب الله عز وجل السموات والأرض في قوله تعالى: ﴿أَتَتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت/11.

الرجاء الانتباه سؤال من الله عزّ وجل وجواب قول السموات والأرض: ﴿قَالَتَا

أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ فصلت/11.

لها إدراك، نحن بني البشر لا نفهمه لقصر فهمنا عن تفسيره وهذا يحسب علينا وليس لنا، مهلاً يا أيها الإنسان أعطاك الله الفطرة والإيمان وسخر لك كل شيء وأرسل الرسل، لكن كنت المقاوم الشرس والمتكبر والمتعالي على الحق، بل هم أفضل منك هم أقروا الاستسلام طائعين خاشعين وأنت كفرت بالذي خلقك وجعلك تمشي وصورك بأحسن صورة وأعطاك وأكرمك بالعقل لتمييز به الحق من الباطل، لكنك هويت إلى أسفل السافلين:

○ ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ 6 ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ 7

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ 8 ﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالذِّينِ﴾ الانفطار/6-9.

إلا من رحمه ربه وأقر بالعبودية لله، إذاً العيب فينا وليس بهذه الكائنات نحن الذين لا نفقهه تسبيحهم ثم من قال أن هذه الكائنات لا تدرك أوامر الله، لا بل تدرك وتفهم إنها أمم أمثالنا يبنون بيوتهم ويتزوجون ويحبون ويتخاصمون، لكن لا تعقل مثلنا، لأننا حملنا أمانة التكليف.

○ قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ

أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

الأنعام/38.

ألم يؤكد علماء الحيوان اليوم بأن الغريبان لها نظام اجتماعي تنقيد به تماماً ومن يخالف الأوامر تتألف محكمة لمحاكمته وينفذ الحكم عليه بالإعدام.

ألم يؤكد علماء الحيوان أن الفيلة لهم نظام خاص بهم وأنهم أكثر الحيوانات رحمة فيما بينهم.

فصيلة الذئاب لا تتكح محارمها، والذئب وفي لزوجته ولو ماتت، ووفي لوالديه فيخدمهم ويقدم الطعام لهم، فأين نحن بني البشر من فصيلة الذئاب؟  
 علم الله عز وجل سليمان منطق الطير، وقصة الهدهد كلنا نعرفها فقد أظهرت قصته أنه يعبد الله تمام العبودية، بل وأنكر إنكاراً شديداً على ملكة سبأ وقومها بأنهم لا يعبدون الله تعالى الذي يستحق سبحانه العباداة والاستلام الكامل له.  
 فتعالوا نتابع حوار سليمان عليه للسلام مع الهدهد.

○ قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿20﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿21﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿22﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿23﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿24﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿25﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ انمل/20-26.

هذا هو الهدهد كأنه فقيه، يعلم التوحيد، والعبودية أكثر بكثير من الناس، أدرك أموراً وأحاط بأخبار لا يعلمها سليمان عليه السلام، بل يعلم ويعرف أن من أغوى سبأ وأضلهم هو الشيطان الرجيم فأين نحن من الهدهد، أليست النملة خافت من جنود سليمان أن يحطمها:

○ قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ انمل/18.



﴿فَتَبَسَمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ النمل/19، وفي صحيح البخاري أن نملة قرصت نبياً من أنبياء الله فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله هذا تسبيح على حقيقته وليس مجازاً، فلديهم الإدراك والفهم العقلي ضمن محدودية غرائزهم.

إذاً هذه الحيوانات هي أمم أمثالنا لها تقاليدها وأنظمتها وحياتها كما نحن لنا حياتنا وتقاليدنا، وهي مثلنا في الخلق والرزق والموت والبعث:

○ قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ الأنعام/38، هي تدرك وتعي وتفهم، لها نظام اجتماعي قائم بذاته تمر بمرحلة الغضب والفرح والحزن والتعب وتتكلم بل وتشتكي ففي صحيح البخاري أنه ذكر: ﴿بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ، فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ بَقْرَةٌ تَتَكَلَّمُ! فقال عليه الصلاة والسلام: فقال: فَإِنِّي أومن بهذا﴾، أليس هذا تأكيداً أن الحيوانات تدرك وتعي وتفهم.

○ وفي زمن رسول الله ﷺ: ﴿أَنْ جَمَلًا قَدْ اشْتَكَى إِلَيْهِ التَّعْبَ وَالْعِذَابَ الَّذِي يُلَاقِيهِ مِنْ صَاحِبِهِ، دَخَلَ ﷺ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَزَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ سَرَاتَهُ إِلَى سَنَامِهِ وَذَفَرَاهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟، فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنْكَ تَجِيعُهُ وَتُدْتِيبُهُ﴾<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> - رواه أبي داود .

فسبحان الذي خلق فسوى وأقرت كل الكائنات بالعبودية لله عز وجل،  
فكيف نعذبها ونتعيبها بالحمل الزائد ولا نطعمها .

○ قال ﷺ: ﴿لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ﴾<sup>(١)</sup>.

هذه الكائنات خضعت وانقادت لربها وأكثر الناس رفضت وأنكرت خالقها، قال  
تعالى:

○ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ  
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ  
عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ الحج/18.

هناك شجر وحجر مؤيدة لأهل الدين، ويتدخلون لنصرة المسلمين كيف هذا؟!

تعالوا نتابع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

○ ﴿لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى  
يَخْتَبِيَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ يَا  
مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالِ فَأَقْتُلْهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

<sup>1</sup> - رواه أحمد وأبو داود .

<sup>2</sup> - رواه البخاري .

فمن أراد بهذا الحديث بالمعنى المجازي، نقول لهم تابعوا فلسطين المحتلة  
واسألوا اليهود كم يزرعون من شجر الفرقد لكي تحميهم خلفها .

وفي رواية ابن ماجه قال رسول الله ﷺ:

○ ﴿إِنَّا الْغَرْقَدُ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَأُتَنَطَّقُ﴾ .

أليس كل هذه الآيات والأحاديث النبوية تدل دلالة أكيدة على عظمة مبدع  
السموات والأرض، فكيف نحن بني البشر أكثرنا نكذب أنبياء الله ورسالاته وما  
زال الكثير من بني آدم يشركون بالله بل وينكرون وجوده .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

○ ﴿يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ وَشَتَمَنِي وَلَمْ  
يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا اللَّاحِدُ الصَّمَدُ  
لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ﴾<sup>(1)</sup> .

فانظروا رعاكم الله إلى بني البشر وبقية خلق الله، كلهم أقروا العبودية لله عزَّ  
وجل:

○ ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنَ عَبْدًا﴾ مريم/93 .

الكل تحت العبودية والخضوع الكامل لخالق الكون ولم يعترض إلا هذا الإنسان الذي  
أكرمه الله وفضله على بقية مخلوقاته، بل وازداد وقاحة أنه افتري على الله تعالى:

○ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ مريم/88 .

بل ومنهم استكبروا حتى جعل الأنا تطفئ فيصنف نفسه كما قال فرعون:

<sup>1</sup> - رواه البخاري .

○ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ اللَّاعِلَى﴾ النازعات/24.

ومنهم من أشرك بالله:

○ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة/22.

ولكن موعدهم قريب وعذابهم عظيم قال تعالى:

○ ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ الحج/18.

لأنهم اتبعوا أهواءهم وشهوات نفوسهم المريضة فانحرفوا وضلوا ضلالاً بعيداً. إلا من رحمه ربه، يا بن آدم إن لم تعقل أوامر الله فأنت أحمق جاهل ألا تستحي من الله... ألا تستحي من الحجر من الجبال التي تحب الله ورسوله، قال ﷺ عن جبل أحد: ﴿هَذَا الْجَبَلُ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ﴾<sup>(1)</sup>.

كلهم عبيده ويخافونه أقرروا الخضوع والانقياد له:

○ ﴿وَيَسْبِحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ الرعد/13.

حتى الظلال أقرت بعبوديتها لخالقها قال تعالى:

○ ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ضَلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجُوداً لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ النحل/48.

انتظروا قليلاً وتعالوا نتمعن بهذه الآية الكريمة:

○ قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾

التحريم/93.

<sup>1</sup> - رواه البخاري.

حتى الملائكة عباد الله قال تعالى:

○ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ الأنبياء/26.

○ قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم/6.

يؤمنون بالله ويسبحونه ويدعون للمؤمنين بالمغفرة.

○ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ غافر/7.

○ ﴿الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الشورى/5.

هم في حالة تسبيح دائم لا يفترون ولا يملون قال تعالى:

○ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ الأنبياء/20.

ونقيض عن جنس الملائكة الكرام جنس الجن مكلفين كما بني البشر.

○ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات/56.

فالكثير الكثير منهم ضلوا السبيل وعلى رأسهم الشيطان الرجيم عتواً واستكباراً.

ولكن منهم من آمنوا واستمعوا للقرآن الكريم بل وأنصتوا إليه بإصغاء تام وفهموا

أنه يهدي إلى الحق ويا أسفاه إلى يومنا هذا الكثير من بني آدم قلوبهم وعقولهم

لاهية عن سماع صوت الحق.

○ قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

عَجَبًا﴾ 1 ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ الجن/2<sup>(1)</sup>.

فيا أمة القرآن هنيئاً لكم بحمل راية التوحيد في الأرض، واستحقت هذه الأمة أن تكون الخيرية فيها وبأبنائها، قال تعالى:

○ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ آل عمران/110.

فأنتم العقلاء الذين عقلتم أوامر الله عز وجل، وكثيراً من خلق الله عقلوا أوامره، سبحانك اللهم بديع السموات والأرض ولا حول ولا قوة إلا بك.

## فهرس الأشكال

- الشكل رقم 1: أقسام الدماغ.....28
- الشكل رقم 2: القشرة الدماغية والجسم الجاسئ.....29
- الشكل رقم 3: الخلية العصبية.....31
- الشكل رقم 4: المشبك العصبي.....32
- الشكل رقم 5: تشريح العين.....39
- الشكل رقم 6: تشريح الجلد.....41
- الشكل رقم 7: تشريح حليلة ذوقية.....43
- الشكل رقم 8: تشريح الأذن.....44
- الشكل رقم 9: جهاز التوازن في الأذن.....45
- الشكل رقم 10: بنية الـ D.N.A.....59
- الشكل رقم 11: تشكل البروتينات في الخلية.....60
- الشكل رقم 12: قلب طبيعي...قلب اصطناعي.....76
- الشكل رقم 13: طبقات الغلاف الجوي.....370





## المحتويات

5.....	تُمهيد: انحطاط فكر الإنسانية وأثر الإسلام في التغيير الفكري عند العرب.....
13.....	البحث الأول: خلق الإنسان العاقل.....
17.....	الفرع الأول: ماذا قيل عن العقل.....
21.....	الفرع الثاني: حقيقة العقل.....
27.....	البحث الثاني: الجهاز العصبي للإنسان.....
37.....	الفرع الأول: هل العقل البشري موجود في الدماغ.....
39.....	الفرع الثاني: العقل المسموع البوابات الإدراكية للعقل الواعي.....
53.....	البحث الثالث: العقل الواعظ والضابط للنفس البشرية.....
59.....	البحث الرابع: توريث الصفات بين الوراثة والبيئة.....
67.....	البحث الخامس: المورثات السلوكية الموجودة في جيلة الإنسان.....
73.....	الفرع الأول: حادثة شق صدر الرسول الكريم ﷺ.....
83.....	الفرع الثاني: القلب أمير البدن.....
95.....	البحث السادس: العقل وأمانة التكليف الشرعي.....
103.....	البحث السابع: خواص النشاط العقلي.....
105.....	الفرع الأول: الإدراك العقلي.....
109.....	الفرع الثاني: الفهم العقلي (العقل وصراع الأفكار).....
119.....	الفرع الثالث: أداة العقل العلم والمعرفة.....

125.....	الفرع الرابع: الوعي العقلي
131.....	الفرع الخامس: التمييز العقلي
135.....	الفرع السادس: التفكير العقلي
149.....	الفرع السابع: الصفات الضابطة للنشاط العقلي
155.....	البحث الثامن: العقل وصراع الإرادات
171.....	البحث التاسع: منزلة التقوى نور العقل وشرفه
177.....	البحث العاشر: ثمرات إعمال العقل
253.....	البحث الحادي عشر: تهافت عقول الأشقياء
289.....	البحث الثاني عشر: لا تناقض بين العقل والنقل
297.....	البحث الثالث عشر: المهارات التفكيرية لأولي الألباب وصفاتهم
343.....	الفرع الأول: معجزة الكلمة القرآنية عند الاستماع والإنصات إليها
355.....	البحث الرابع عشر: القرآن الكريم المعجزة الفكرية الخالدة
373.....	البحث الخامس عشر: القرآن الكريم معجزة فكرية في لغة كلماته
381.....	البحث السادس عشر: خلق الله جميعاً يسبحون بحمده